

ANCORA IMPARO



البصيرة

السنة الثالثة

أغسطس ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٤

مطالعات

في سفر الخروج

في مقالنا الاول « مطالعات في سفر التكوين » الذي نشر في العدد الماضي ؛ استطعنا أن نستورد عدة وقائع ينص عليها سفر التكوين في خروج ابراهيم من أور الكلدان ، وفي وزارة الصديق يوسف في مصر . غير أنه فائنا أن نمضي في مقارنة علمية نوازن فيها بين ما ذكر في سفر التكوين وما ذكر في القرآن خاصاً بابراهيم . فقد ذهبنا مذهب القرآن في أن ابراهيم لم يغادر أور الكلدان هو وأبوه وابن أخيه لوطاً وبقية من كان معهم من الزوجات والاقارب الا لفكرة في التوحيد اعتنقها ابراهيم وبشر بها في أرض ما عرف أهلها الا التكثير . ولقد روى القرآن في ذلك رواية ابراهيم كاملة ونص على أشياء يستدل منها على

أن إبراهيم كان من اصل وثني ، وأن رأى بيديته انه لن يكون للعالم من رب الا الله الواحد الأحد ، رب العالمين .

« وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر (١) أتتخذ اصناماً آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدى ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما اشركتكم ولا تخافون انكم اشركتكم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأتى الفريقين احق بالأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » (٢)

(١) ينص سفر التكوين على أن أب إبراهيم هو تارح لا آزر . جاء فى التكوين
إص ١١ : ٢٧ ما نصه :

« وهذه مواليد تارح . ولد تارح ابرام وناحور وهاران . وجاء فى الاصحاح ذاته : ٣١ : « وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وسار الى كته امرأة ابرام ابنه . فخرجوا معاً من أور الكلدان ليذهبوا الى أرض كنعان . فاتوا الى حاران واغاموا هناك . »

(٢) سورة الانعام الجزء السابع

كذلك ينص القرآن على أن إبراهيم كان على خلاف مع أبيه وأن هذا الخلاف كان السبب في أن يخرج إبراهيم من أور السكدان إلى الأرض التي وعده بها الله .

« ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين . قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعالمهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا يا لهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعالمهم يشهدون . قالوا أو أنت فعلت هذا يا لهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا إلى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وادعوا به كيداً فجعلناهم الاخيرين » . (١)

ولا يذكر سفر التكوين شيئاً من كل هذا بل ينص على ما يأتي :
« وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريدك . فاجعلك أمة عظيمة وباركك وأعظم اسمك

وتكون بركة . وبارك مباركك ولاعنك ألعنه » . (١)

فلا يلتبس له سفر التكوين أى سبب من أسباب الخلاف ليخرج من أرض حاران التى نزلها هو وأبوه تارح وبقية عشيرته عند ما غادروا أور الكلدان . بل يحصر السبب فى أن الله أراد له أن يجعله أمة عظيمة (٢) كذلك يخطئ المفسرون الذين يقولون بأن دعوة ابراهيم ورسالته كانت فى عصر النمرود . ذلك لأن سفر التكوين ينص صراحة على أن النمرود من أولاد كوش بن حام بن نوح . (٣) فى حين أن ابراهيم بن تارح بن سام . فكان ابراهيم والنمرود ولدى عم . ولا يبعد أن يكون ابراهيم قد عاصر النمرود . ولكن رواية المفسرين مردودة بسياق النص القرآنى لأن الخطاب فيه بين جمع من ناحية ومفرد من ناحية أخرى ؛ لا بين شخص وآخر ، فكان الخلاف كان بين ابراهيم وعشيرته بالذات ، لا بينه وبين شخص معروف . كذلك لا تغيب عنا حقيقة : ان بطارقة العبرانيين العظام ، كانوا يجمعون بين السلطتين السياسية والدينية . وهذه الظاهرة جليلة كل جلاء فى كل بطارقتهم العظام ما عدا المسيح ، على الرغم من أنه عبراني قح على ما اعتقد .

ولقد ساعدتهم الجمع بين الصفتين ، والاستتار وراء الستارين ، ستار السياسة وستار الدين ، فى أن يفوزوا كل الفوز بدعواتهم التى دعوا إليها

(١) اص : ١٢ سفر التكوين .

(٢) (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله خيفاً ولم يكن من المشركين شاكرآ لا نعمة) القرآن سورة النحل .

(٣) . وكوش ولد نمرود الذى ابتداء يكون جبارآ فى الأرض . الذى كان جبار صيد امام الرب . لذلك يقال كنمرود جبار صيد امام الرب . تكوين ص : ١٠ .

فكانوا اذا اعوزتهم القوة لجأوا الى الدعوة السياسية ، واذا اعوزهم الارشاد والتسلط على قوى العقل من طريق اللاعقل ، لجأوا الى الدعوة الدينية . فكان الواحد منهم سياسياً آونة ونبياً اخرى ، على مقتضى الحاجات . والواقع أن الفصل بين الصفتين في زعيم ، كان من أعسر الامور في ظروف مثل الظروف التي حوطت العبرانيين في عصورهم الأولى . بل كانت الحكمة تقضى بالجمع بين الصفتين . لانه من أعسر الامور ان يدعى بطريق منهم السلطة السياسية بعد أن تكون دعوته قاصرة على الدين منذ البدء ، وكذلك الحال من بطريق يدعى السلطة الدينية والوحي الغيبي ؛ بعد ان تكون دعوته قاصرة على السياسة منذ أول ظهوره أميراً على أبناء عشيرته .

ولامشاحة في أن جمع بطارقة العبرانيين بين السلطتين كان فيه شيء كثير من مقتضيات الظروف وطبيعة العيشة البدوية في قبائل يحتاج الرئيس فيها الى أكبر السلطات وأوسعها لكي لا تتنافر الآراء وتتشعب الرياسات ؛ فيكون من وراء ذلك انصداع الشمل والتفرقة بين بطون العشيرة ، في زمان وتحت ظروف تدعو الحكمة والطبيعة معاً على القبيلة أن تكون إزاءها يداً واحدة وكلاً متماسكاً الاطراف متناسقاً الوحدات اساس نظامه الطاعة والخضوع لقانون العرف والسلطة المطلقة المنحصرة في يد البطريق الأكبر أو الرئيس الاعظم الموروثة سلطته عن آباء اعترف لهم بالزعامة ، واصبحت فيهم تقليداً ينتقل فيهم الى الخلف عن السلف وعلى مضي العصور .

وأية سلطة يمكن أن تكون أوسع مدى أو أقوى أثراً أو أنفذ سلاحاً أو أشد إخضاعاً لتأثر النزعات من سلطة تجمع بين قوات

مستمدة من عالم الشهادة وعالم الغيب معاً. ولا شك عندى فى أن هذا هو السر الأكبر فى قوة الجماعات العبرانية ومحور قوتها الاجتماعية التى كانت سبباً فى أن تقاوم المصارع التى كان من المحتوم أن تصرعهم ، والكوارث التى كان لزام أن تذهب بريحهم ، لولا خضوعهم الاعمى لبطارقة خصوا بأرقى المزايا التى اختص بها هذا الشعب العجيب

فإن شعباً يظل منذ عهد التفرقة سنة ٧٠ بعد الميلاد ، أى منذ سقطت اورشليم فى قبضة الرومان ، هائماً على وجهه إما سعيّاً وراء الربح التجارى أو فراراً من اضطهاد أو استبداد ينزل به من مختلف اصحاب المعتقدات الدينية ؛ وقد وقف فى وجهه نظام القطاعات عن أن يملك أرضاً كما صده نظام الاتحادات الصناعية عن أنه يشترك فى الانتاج الصناعى ؛ فاصبح محاصراً أينما حل وحيثما كان ، حصاراً تاماً قوياً ، ثم يخرج من بعد كل هذا ، وعند اول فرصة يتنفس فيها العالم ربح الحرية - اقوى تماسكا مما كان ؛ واشد نفوذاً منه فى كل عصر مر به منذ عشرين قرناً من الزمان ، لشعب جدير بأن تحنى له الرؤوس اجلالاً ، بل انه لشعب جدير بأن يبلغ ما بلغ من مدارج الشرف والقوة المعنوية . وعندى أن العبرانيين وفئة من قدماء اليونانيين ، هما الشعبان اللذان خلصا من الانسانية بازكى ما فيها من دماء ، واشرف ما انطوت عليه تضاعيفها من نزعات .

*
* *

وبعد . فنعود الى أشياء نرجع فيها الى سفر التكوين لنعرف منها كيف هبط اسرائيل - يعقوب - وبنوه أرض مصر فى زمان الصديق يوسف ؛ وأين نزلوا وكيف عاشوا ، ثم نرجع الى سفر الخروج لنتبين منه

شخصية موسى السياسي ؛ او على حد قول كارليل ، لنستخلص منه صورة من النبي في ثوب : بطل سياسي .

على اننا قبل أن نتابع البحث والمقارنة بين الروايتين اللتين وردتا في سفرى العهد القديم - التكوين والخروج - والقرآن ؛ يجب علينا ان ننبه على ان هذه المقارنات مقارنات علمية تقصد بها الجرى على الطريقة التى جرى عليها الذين كتبوا فى مقارنة الاديان والمقابلة بين الاقوال والاقاصيص التى وردت فى الكتب المقدسة على اختلاف صورها وتباين مصادرها . إذن فالابحاث التى نمضى فيها ابحاث علمية صرفه لا علاقة لها بالتفسير المقدسة ولا بالمذاهب التى ذهب اليها اهل اللاهوت فى تعليل حوادثها .

فاذا عقبنا على رواية من سفر من اسفار موسى برواية من القرآن ، او اذا شفّعنا رواية من القرآن برواية جاءت بها أسفار موسى ، فليس لنا فى ذلك من مقصد الا البحث العلمى البحت الخارج عن مجال الجدل اللاهوتى الذى يريد البعض أن يقذف بنا فى غمراته العميقة الداوية بالعبارات الجوفاء والمعانى العجاء ، التى لا تقع فيها على قصد معين أو غاية مرسومة . والحق أن الطرق التى انتحها الغرييون فى مقابلة الاديان لم تحز فى أول الأمر لدى اللاهوتيين قبولا ولا نزلت منهم فى المكان الذى نزلته من صدور العلماء ومحبي البحث . غير أن هذه الطريقة بعد أن اعيت أهل اللاهوت فى يد العلماء ، انتحلها اللاهوتيون لتسكون فى يدهم سلاحاً يؤيدون به مذاهبهم . فاذا كانوا نصارى قابلوا بين الاديان لينصروا النصرانية ؛ واذا كانوا يهوداً نصروا اليهودية ، واذا كانوا مسلمين نصروا الاسلام ، واذا

كانوا بوذيين نصرُوا البوذية ، وعلى الحق والحقيقة من بعد ذلك السلام .



تركنا يوسف الصديق في مقالنا الأول يهيء الأسباب للوكة الهكسوس - أبناء عمه في الدم - لكي يفوزوا بالنصر على المصريين بعد أن بدأت حرب الاستقلال التي دامت بفضل تديره خمسة أجيال متعاقبة علي ما أثبت المؤرخون . فلنمض من ثم في أتمام رواية نزول بني إسرائيل مصر ، ثم اضطهادهم ، بعد أن غاب الهكسوس على أمرهم وخرجوا من مصر بعد عهد الصديق يوسف بقليل .

وهنا يجب أن ننبه على حقيقة ذاتنا ذكرها في مقالنا الأول . فقد قال بعض المؤرخين إن عهد يوسف الصديق كان في بدء الحرب الاستقلالية وهذا على الغالب وهم وقع فيه المؤرخون . ولا جرم أنه لا يهمننا في بحث كهذا ، تحوطه الأخطاء التاريخية وتحف به الشكوك ، أن تعرف اسم الملك الذي استوزر يوسف الصديق ، بل يكفيننا أن نعرف أن يوسف استوزره ملك هكسوسى وأنه أعانه بسياسته التي شرعناها على مقاومة المصريين في طلبهم الاستقلال والعمل علي طرد الغاصبين من أرضهم . والراجع عندى أن كل الأدلة التاريخية التي يمكن استخلاصها من رواية يوسف وموسى ، إنما تدل على أن يوسف شهد آخر عهد الهكسوس في مصر ، لا أنه شهد بدء اشتعال الحرب الاستقلالية . والدليل القاطع على هذا أن نزول بني إسرائيل مصر في عهد يوسف كان تحت رعاية الملك الهكسوسى ثم لم يلبث الأمر أن انقلب بعد ذلك بقليل من رعاية الملك بهم إلى استبداد وعسف ، ليس لهما من سبب إلا أن يكون الهكسوس قد غلبوا

على امرهم وتسلط على البلاد ملك من أهلها اخذ يسوم عشيرة يوسف الخسف ، تلقاء سياسته التي اعان بها اعداء البلاد على اهل البلاد .
 كما انه من الجائز أن تكون رواية المؤرخين صحيحة ويكون مذهبنا الذي ذهبنا اليه في مقالنا الاول صحيح . فان سفر التكوين ينص على ان يوسف عمر الى سن المائة وعشر سنين . فاذا كان قد شهد ولاية الوزارة وهو في الثلاثين من عمره لانه هبط مصر وهو ابن سبعة عشرة سنة ، فيكون قد شهد الحرب الاستقلالية ثمانين سنة من عمره !!! كما ان موسى من الجائز ان يكون قد ولد في أواخر عمر يوسف الصديق وانه لم يرسل الى ملك مصر ليخلص شعب الله المختار الا وهو في سن الخمسين . فيكون مجموع ذلك مائة وثلاثين سنة . ويخطئ المؤرخون أو يصابون في بقية الخمسة الاجيال . هذا إذا اعتبرنا الجيل ثلاثين سنة . ولكن لماذا لا يكون خمسة وعشرون ؟ فيكون حسابنا صحيحاً ومذهبنا اقرب ما يكون من الصواب .

والحق ان الدلائل ، اذا صحت رواية سفر التكوين في عمر يوسف ، تدل على ان يوسف شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد أواخرها ؛ وان الحرب لم تكن متصلة متوالية ، بل كانت سجالاً ، تشب حيناً وترقد أخرى ؛ خلال هذا القدر العظيم من السنين .

*
* *

جاء في سفر التكوين ١٠ : ص ٤٧ . ٢٧ الى ٣١

« وسكن اسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان (١) وتملكوا »

(١) أرض جاسان - goschen - تقع بين بليس والاسماعيلية ، وهو سهل خصيب كثير المرعى قريب من سيناء مهبط العبرانيين .

فيها وأثروا و كثروا جداً . وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة . فكانت أيام يعقوب سنو حياته مئة وسبعاً وأربعين سنة . ولما قربت أيام إسرائيل ان يموت دعا ابنه يوسف وقال له إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفاً وأمانة . لا تدفني في مصر . بل اضطجع مع آبائي . فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم . فقال انا أفعل بحسب قولك . فقال احلف لي . فحلف له فسجد إسرائيل على رأس السرير .

وإليك نص القرآن - سورة يوسف الجزء الثالث عشر

« فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد احسن ابى اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي اظيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

وليس لنا أن نعتمد بعد هذا على النصوص القرآنية ، فان الایجاز الذي اختصت به عبارات القرآن لا يفيدنا في بحث مسألة تاريخية اجتماعية كمسألة خروج ابناء إسرائيل من مصر . لهذا نحصر ههنا في سفر الخروج لنستخلص منه ما يساعدنا على تفهم المسألة والخروج منها بوجه صحيح على قدر الامكان .

من ابناء يعقوب - الاسباط - الذي نزلوا مصر ولديقال له « لاوى » اتخذ رجل من بيته زوجة له من نفس البيت . ولاوى هذا اخو يوسف

ابن يعقوب . فولدت المرأة غلاماً سمي موسى . فكان موسى ويوسف أولاد عم بالنسب .

والنصوص التي نعثرت عليها في سفر التكوين صريحة في أن مصر قام فيها ملك جديد استبد بالعبانيين وسامهم الخسف والهضم . وليس من معنى ملك جديد الا ان يكون ملكاً مصرياً تملك بعد طرد ملوك الهكسوس من مصر . ولا شبهة أيضاً في أن قيام هذا الملك كان بعد موت يوسف . فكان كل الاحتمالات التاريخية التي ذهبنا اليها صحيحة بوجوهها التي رجحناها .

واليك النصوص :

« وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً . ولكن يوسف كان في مصر . ومات يوسف وكل اخوته وجميع ذلك الجيل . وأما بنو اسرائيل فاثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلات الأرض منهم » . (١)

« ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف . (٢) فقال لشعبه (٣) هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدث حرب أنهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . (٤) فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم (٥)

(١) خروج اص ١٠ ، ٥ الى ٧ (٢) اى لم يكن يوسف وزيراً له وهذه بالضرورة يكون من غير الهكسوس . (٣) اى للمصريين . (٤) دليل واضح على أن المصريين كانوا يخشون انضمام العبرانيين الى غزاة يغزون مصر كما نصروا الهكسوس من قبل . (٥) هذا بالضرورة يكون بعد حرب الاستقلال وانتصار المصريين وفوزهم بملك مصر من اعدائهم الغاصبين .

بأثقالهم . فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس . ولكن بحسبما
اذلواهم هكذا نمووا وامتدوا . فاختشوا من بنى اسرائيل . فاستعبد المصريون
بنى اسرائيل بعنف . ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي
كل عمل في الحقل . كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً . (١)
وأراد ملك مصر أن يستوثق لنفسه ، ولا ندرى من أى شيء ،
فأمر قابلى العبرانيات وكانت تدعى إحداهما «شفرة» - والاخرى «فوعة»
بان يقتلا كل ذكر تله عبرانية وتستبقيا كل أنثى . ولا يذكر سفر
الخروج لهذا من سبب ولا يرجع فيه إلى منطق مفهوم بل يعزى في
الرواية كأن فرعون أراد أن يقضى على الشعب بان يفنى ذكوره ويستبقى
اناثه ، فيضطرون الى التزاوج من المصريين فيندمج الشعب ويفنى باللقاح .
وليس من البعيد أن يتبع ملك في العصور القديمة مثل هذه السياسة
الموجاء الظلمة . اما الرواية التي يتناقضها بعض العامة من أن فرعون
قد انذر بان من أبناء العبرانيين من سيكون زعيما يخرج بالشعب من أرض
مصر ، فذلك مالا دليل عليه ؛ ولا برهان يؤيده . غير ان القابلتين لم
تفعلا بأمر فرعون وادعتا ان العبرانيات يلدن من غير مساعدة القابلات
وبذلك تخلصتا من أمر فرعون خوفا من الله وتقية .

وكان من ذلك ان فسدت سياسة فرعون في القضاء على الشعب
العبراني ، فكثرت ونما وازداد عدده ، وفرعون دائب على استعباده عامل
على افنائه بالظلم والعسف والسخرة في الأعمال العامة .
وكان في ذلك الوقت أن تزوج رجل من بيت « لاوى » اخي

يوسف الصديق بامرأة من نفس البيت فولدت له ولدًا هو موسى .
 وخشيت أمه أن يصل خبر مولده الى فرعون ، فبعد أن خبأته ثلاثة
 أشهر اخذت سفظا من البردى وطلته بالجرم والزفت ووضعت الولد فيه
 والقت به بين الحلفاء على شاطئ النهر ، واوعزت الى اخته ان تقف عن
 كسب ترى ماذا يحل بالغلام .

ونزلت ابنة فرعون الى شاطئ النهر تستحم ومعه جواربها
 ماشيات . فرأت السفظ بين الحلفاء فارسلت أمها وأخذته . ولما فتحتة
 وجدت به صبيًا يبكي . فرقت له وعرفت أنه من أولاد العبرانيين .
 فقالت اخته لابنة فرعون « هل أذاك على مرضعة من العبرانيات لترضع
 لك الولد » — فدلتهم على امه ، فاخذت الولد وأرضعته وقامت على
 تربيته .

ولا جرم اننا اذا أردنا أن نتابع القول في حياة موسى بالتفصيل
 وذكروا الوقائع التي وقعت له كما رواها كاتب سفر الخروج لطال بنا الشرح .
 ودخلنا في شروح تخص شخص موسى ولا علاقة لها بموضوعنا هذا
 من ناحية تاريخية صرفة .

*
* *

ولما ترعرع موسى ارتكب جناية . فقد وجد مصرياً يضرب
 عبرانياً ، فضرب المصري ضربة القت به صريعاً وهرب منتحياً نفس
 الطريق الذي سلكه من قبل جده الأكبر ابراهيم ، وجده الأدنى
 يعقوب ، وعمه يوسف مبيعاً لقافلة الاسماعيليين ، فقطع برية سينا حتى
 نزل الأرض التي كان يسكنها شعيباً وتزوج من كبرى بناته وبقي هنالك

عشر سنين ثم قفل راجعاً الى مصر ، لينزل الأرض التي يسكنها أهله
 في جاسان . ولما توسط البرية وكان البرد شديداً « قال لاهله امكثوا
 انى آتست ناراً على آتسكم منها بقبس او اجد على النار هدى » . — وهناك
 نزل عليه الوحي بأن يذهب الى فرعون ليخلص من يده أبناء اسرائيل .
 وكان بعد ذلك ما كان من خروجه من مصر بأبناء اسرائيل .

*
* *

إن كل ما نريد من بحثنا هذا أن نثبت :
 أولاً — أن يوسف كان وزيراً لملك هكسوسى
 ثانياً — انه لعب دور المصلح الاجتماعى ليعدم الهكسوس
 ثالثاً — انه شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد اواخرها
 رابعاً — ان الاستبداد بالebraيين لم يحدث الا بعد طرد الهكسوس
 من مصر

خامساً — ان موسى لعب دور البطل السياسى لابساً ثوب القداسة
 الذى لبسه آباؤه منذ أبعد العصور .

اسماعيل مظهر

قَصُّ نِطْرُطْفَالٍ

بِكَلَمٍ
كامل كيف لاني

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة ثمنه ٣ قروش تطلب
 من جميع المسكاتب المشهورة ومن عباس افندى عبدالرحمن بشارع خيرت بالقاهرة

شعر التصوير

الصيرفي وزوجته

Le Banquier et sa Femme

الرسم لتأسيس (١٤٦٦ م. - ١٥٣٠ م.) وهو من روائع متحف اللوفر



للصيرفي إذا تَمَعَّنَ نظرةً	هي رُوحُه مبشُوةٌ في ماله
تجد الحليَّ أمامَه أحلامَه	وما لها متعلقٌ بماله
فإذا البقاء لها بقاءُ شعوره	وإذا الضياع لها قرينُ زواله
وكأنَّما الإمعانُ أَسْبَ وجهَه	طولاً ، وكان التبرُّ لونَ خياله
يتأملُ المالَ العزيزَ كأنَّه	يتلو عبادةَ مؤمنٍ أو واه
ويكاد يحسبُ في الاطالةِ مُنتجاً	كالذهنِ - بعد تأملٍ - لنواله
هو كلُّ دنياءٍ وأخراه معاً	وجمالُ زوجته وأنسُ عياله
نظرتُ إليه وأمسكتُ عن نظرةٍ	بكتابها ، واستمتعتُ بمقاله ^(١)
وكانَّها قد زُوِّجتُ من ماله	وخصالها مقرونةٌ بخصاله
وتوَحَّدَا بالمالِ حتى أصبحَا	مُتَكَيِّفَيْنِ في التكييفِ من أمثاله

ماذا تضيرهما مَبَاءَةٌ عَزَلَةٌ وهما اللذانِ تَنَسَّما بِجِمالِه ؟
 عَرَفَا الحَيَاةَ تَفَانِيًا فَتَفَانِيًا بوجودِه ، واستنعمليَا بِجِلالِه
 واستغنيا بضيائِه عن بَسْمَةٍ للحُجبِ ، واقتنعا بِصدقِ خِلالِه
 وترى الجُودَ قَساحيَهما ، وما تَدْرِي سِوَاهُ بِيالِها وِيبالِه
 في حين أنكَ في ولُوعِكَ قانِما بالفِكرِ أو بالفنِّ أو « بِمثالِه »
 ما كنت أسعدَ منهما في مَيِّتَةٍ المالُ حَوَّلَها مَدَى آجالِه

أَبُو شادى

سيبويه والكسائي

في (سيبويه) إمام النحْوِ تَذَكُّرَةٌ لليائسين و مَنْ جُنُّوا بِتَقْدِيرِ
 قد كان أوَّلَ بَازٍ ، ثم ما بَرِحَتْ صُروحُه خُلُودٍ قَبْلَ تَعْمِيرِ
 فاز (الكسائي) عليه مِنْ مِغالَطَةٍ نَخابِ في حُكْمِ عِرْفانٍ وَتَفْكِيرِ
 والدَّهْرُ أَعْدَلُ قاضٍ بَعْدَ ما خَرَسَتْ لُسنُ الأُباطيلِ مِنْ بَأْسِ الدَّنانيرِ

أَبُو شادى

على السيفود



عباس محمود العقاد

— ٢ —

قلنا إن هذا العقاد لص من أخبث لصوص الأدب لانه مع هذه اللصوصية يدعى دائماً ملكية ما يسرقه ، ومع هذه الوقاحة في الادعاء يحقد على كل من يملك شيئاً من مواهب الله ، ومع هذا الحقد الدنيء لا يتصور الناس الا على أمثلة من نفسه . ولعله لا يعقل أن في أحد من خلق الله دماً شريفاً أو عرقاً سامياً ، أو أخلاقاً نبيلة ، ومن أجل ذلك لا يعرفه عارفوه الا أعمى الأخلاق ، كل ضدين عنده هما ضدان باسم واحد أو شيء واحد باسمين مختلفين كما يقول هو في بعض تخليطاته . فقد رأينا له اليوم في

مجلة ، الجديد ، مقالا عنوانه ، ربة الجمال بلايدين ، لم نكد نقرأ أوله حتى ضحكنا من
جهل هذا الدعى العامى فهو يقول :

« كان هينى الشاعر الالماني يعبد الجمال ويعشق كل جميل . وكان من عبادته فى
جحيم ، أو قل فى نعيم !!! »

خذا بطن ، هرشى ، أو قفاها فانما كلا جانبي ، هرشى ، لمن طريق

فان الجحيم والنعيم فى عبادة الجمال شئ واحد باسمين مختلفين ، كان « هرشى » طريق واحد من
حيثما أخذتها (١) وثق أنك اذا قلت النعيم وانت تعنى الجحيم ، أو قلت
الجحيم وانت تعنى النعيم فلا لوم عليك ولا مخالفة للحقيقة !!! لأن جحيم الجمال
ونعيمه كما قلنا شئ واحد . . . ولانهما داران موضوعان على رسم واحد !!! وفى
سعة واحدة !!! لا فرق بينهما داخلا ولا خارجا !!! الا اللوحة التى على الباب !!!

عند هذا الحد ألقينا المقالة واكتفينا من خلط الرجل بالكلمات الأولى ، اذ لو بقى
المعتوه يتكلم من طلوع الشمس الى غروبها لكان كل كلامه « باسم واحد ، طبعا .
وقد نهتتا هذه الكلمات الى الاصل الذى فى نفس العقاد مما يجعل الاشياء كلها شيئا
واحدا فى اعتباره لا على مذهب وحدة الوجود ، فهو أبعد الناس عن فهم هذا المذهب
وان ادعاه ، لان فهمه لا يكون الا بأنوار البصيرة وبأدراك التجلى الأقدس : يعنى لا
يمكن فهم هذا المذهب الا بعد أن يتصفي الإنسان من الرذائل كلها ويدرك بنور نفسه
معنى النور الذى انبثقت منه نفسه . والعقاد كله رذائل وظلمات .

واذا كان هذا الرجل يعتبر الاشياء كلها شيئا واحدا — لا على مذهب وحدة الوجود
فعلى أى مذهب إذن ؟ الجواب : على مذهب وحدة غريزته هو . لانه لو صح مايقال
إنه ابن تسعة أشهر حقد وغيظ فالفضائل والرذائل وكل ضدتين مختلفين لا فرق
بينهما الا الاسم ، وفى لغته هو : « الا اللوحة ، !!! »

وقبل أن تنتقل من بيان هذا الاصل نحمل الكلمات القليلة التى قلناها عنه ليعرف
القراء أنه لا يفهم ولا يكتب الا خطأ .

(١) ذكر هنا حكاية البدوى الذى تمثل بهذا البيت فى حضرة عمر بن عبد العزيز فتركناها

إذا كان هينى يعبد الجمال فهل يعبدّه إلا لأنه يعشق كل جميل ؟ إذن فباقى الجملة
حشو جرائد . « وكان من عبادته فى جحيم أو قل فى نعيم » . ان « أو » لآتأتى إلا لأحد
الشئتين . وهو يريد هنا الشئتين سعاً جحياً ونعياً ، فلا معنى لاستعمالها وإنما يتبع فى هذا
التعبير صغار المترجمين الذين يشتغلون بالترجمة الحرفية

ويقول كما أن « هرشى طريق واحد من حيثما أخذتها » ، فهرشى باحضرة العبرى !!!
ليست طريقاً ولا معنى البيت يدل على ذلك ولا لها « بطنى (١) » ، كما تقول ، وإنما
تنقل نقلاً عامياً وتفهم فهماً عامياً وليس فيك من العربية إلا كاتب جرائد لا غير .
أصل البيت « خدا جنب هرشى » الخ وفى رواية خذى أنف هرشى أو خذا أنف
هرشى الخ وهى ثنية أو هضبة لها طريقان ينتهى اليها من كليهما فمن سلكهما كان
مصيياً . إذن هي ليست « طريقاً واحداً من حيثما أخذتها » ، يا عقاد .
والعجائب كلها فى باقى العبارة وهى أسطر قليلة ولكنها تدل على ذهن جبار ،
جبار ، جبار !!!

رأينا مرة فنى يريد أن يظهر مظهر رجل مفتول العضل فحشا كيه وصداره
(شراميط) !! عضلات بارزة مكتنزة ، لكنها عضلات من شراميط !!
هكذا من يظن العقاد جبار الذهن ، والحقيقة أن الرجل جبار الغريزة منذ كان
دودة إلى أن كان جينياً إلى أن كان انساناً فيختلط الأمر فى وقاحته وادعائه وسلطته
على الضعفاء أو على الجبناء . ولكن الذى يعرف العضلات التى تخلع مع الثياب !! .
يصفع صاحبها الجبار مطمئناً ، لأنها عضلات من شراميط .
طيب !! « جحيم الجمال ونعيمه شئ واحد » ، فما معنى « لأنهما داران موضوعتان على
رسم واحد » وهل داران على رسم واحد تكونان شيئاً واحداً وتأخذ الحكومة
عليهما عوائد واحدة !!! يا أصحاب الأملاك وكلوا هذا المحامى الجبار الذهن ليقنع
الحكومة بهذه الفلسفة !!

(١) إذا كانت هضبة أو ثنية أى أرضاً مرتفعة فكيف يكون لها بطن ؟ ولكنه
وجدتها محرفة ممسوخة فنقل من غير تمييز كمادته وحكاية البدوى التى نقلها ممسوخة
أيضاً وأصلها الصحيح فى معجم ياقوت .

وإذا كانا دارين فلا معنى لأن يقول الجحيم والنعيم ، لأن النعيم هذه من تعبيرات العامة وإنما تأتي مضافا إليها فيقال جنة النعيم ودار النعيم بخلاف الجحيم فإنها هي الدار . ثم الداران في سعة واحدة بعد أن قال حضرته أنهما على رسم واحد . العقاد إذن مهندس من اشتغلوا في الجحيم والنعيم ومساح أيضاً موظف في ديوان المساحة الذي وراء الطبيعة !!! وأكثر من ذلك يظهر أن هذا الصعلوك من كبار أرباب الأملاك السماوية فأراد مرة أن يشتري الجحيم والنعيم فتفرج عليهما فإذا هما لا فرق بينهما داخلاً ولا خارجاً إلا اللوحة التي على الباب .

طبعا طبعا هذه اللوحة كان مكتوباً عليها : جحيم ونعيم للبيع !!! لا لا ! بل هي كما يظهر من معنى كلام الجبار لوحة من الرخام كتب عليها دار الجحيم . دار النعيم !!! وإذا كان هناك باب ، عليه اللوحة ، فكيف صارتا دارين ؟ كان ينبغي أن يكون هناك بابان عليهما لوحتان ولكن يظهر أن العقاد رفع دعوى يطلب الحكم فيها بسد أحد البابين لأنه يفتح على ملكه الخاص فحكم بسده وإزالة اللوحة التي كانت عليه وحينئذ صارتا دارين بباب واحد !!

أفتونا أيها القراء : أهذا جبار الذهن ؟ أهذا كاتب ؟ أهذا أديب ؟ أهذا يفهم بيان العربية ؟ أم هي صنعة جرائد ثم مغفلون من الكتاب لمغفلين من القراء ؟

وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء — مع أنه في نفسه يغلي حقدا وحسدا — طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الانجليزي الشهير «برنارد شو» ، الذي يقول أنه لا يجد عقلا يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير !!!

ولكن انظر الفرق بين الأصلي والتقليد . «برنارد شو» ، يحتقر النوايا من جهة عقلية فلا يحسد ، والعقاد من جهة نفسيته فلا يعقل ، والأول يضع الآراء ويبتكرها ، والثاني يسرق ويدعي ، وذلك يحتقر احتقارا ساميا أساسه التظرف وهذا دنيء دنيء . أساسه الحسد ولؤم الطبع ، والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع تلك التي توهم أهلها أن الأسمى لابد أن يحتقر الأدنى ، فإذا تظاهر العامي الوضع باحتقار رجل شريف أو نابه كان ذلك في منطقته دليلا مقنعا للناس أنه هو الأسمى والأشرف والأعظم !!!

فالعقاد لص حتى في الصفات .

ومع ان برنارد شو ذكى نابغة فقد خرجوا من نقده وتحليله بأنه كالمخدوع المغرور أو مخدوع مغرور على الحقيقة يمتاز بنقائص وعيوب اختس بعضها وشارك الناس في بعضها ، وان ثقته بنفسه تفقد الناس الثقة به فقد يعتقد أنه جاء بالكلمة الأخيرة في الموضوع الذى يعالجه فى حين ان النقاد يكونون مقتنعين بأنه لم يفهم قط، وينتهى من ذلك الى أسخف الآراء وأبعدها فى الخطأ مكانا ، بحيث يرجع أحيانا من شدة سموه الذى يتوهم وليس فيه الا رجل عامى سطحى ضعيف .

هذا فى برنارد شو الذى ولدته أمه برنارد شو . فكيف الحال فى لص مقلدينه وبين شو مثل ما بين اسوان ولندن ؟

ولكن لو سألت العقاد فى هذا لما كان شىء أسهل عليه من الجواب ، فانه يقول ان اسوان ولندن شىء واحد لافرق الا اللوحة ، و برنارد والعقاد شىء واحد لافرق الا . . . والله ما انا عارف الا إياه ... قول الا إياه يعقاد ؟!

وما دمنا فى بيان سوء فهم هذا المغرور فنقول ان بعض الأدباء سألنا عن رأى نشره العقاد فى مجلة الجديد ، يعلن فيه ميل ابن الرومى إلى الهجاء ، وإقذاعه فيه وإخاشه فى السب وذلك حيث يقول العقاد فى تلك المقالة : « فالرجل (ابن الرومى) لم يكن شريرا ولا ردىء النفس (خذ بالك من ردىء النفس) فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه فى أعراض المهجوين ؟ نظن أنه كان كذلك لانه كان طيب السريرة » انتهى بحروفه .

نقول إن صح هذا صح مذهب التناسخ ويكون ابن الرومى قديما هو هو عباس محمود العقاد اليوم ، جاء كما كان من قبل تماما !!! جبارا عند نفسه وقحا عند الناس .

يقول العقاد « كان ابن الرومى هجاء مقذعا فى الهجاء وكان لأهاجيه أثر كبير فى حياته وفى شهرته (تأمل) . والواقع أن ابن الرومى لم يدع أحدا من النابهين فى زمانه إلا هجاء أو أنذر بهجائه . هل كان ابن الرومى شريرا لانه كان كثير الهجاء ؟ لا . بل هو لو كان شريرا لما اضطر إلى كل هذا الهجاء أو لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

لأبناء عصره . ما كان هجاؤه يشف عن انكيد والنسكايه كما كان يشف عن الحرج والتبرم . هذا كلام جبار الذهن المضحك وقد وقفنا من نقله عند كلمة الحرج لأنها أذكرتنا ما حدثنا به بعضهم من أنه لام العقاد يوما على حقده وكله في أن هذا عجز منه وضعف ، لأنه لو كان قويا لنازل وصارع وأعطى كل ذي حق حقه ، فإن القوة تعجب بالقوة وتقر لما هو أقوى . وقال له إن المتلاكين أو المتصارعين يتصالحان على الحلقة ثم يتلاكان . وقد يقع أحدهما ثم يعودان صديقين لأنهما في قانون القوة الانسانية لا الوحشية . فقال العقاد : أنا طيب السريرة ولكن الناس يحرجونني أحيانا . كل كلام الرجل عن ابن الرومي هو من كلامه عن نفسه لذلك الأديب ، فلوم ابن الرومي وسبابه وافحاشه وبداءته وهجاء كل من مدحهم ووقعه في الأعراض ، كل ذلك لأنه طيب السريرة !!!

تعالوا يا علماء الاخلاق والآداب فخذوا هذا الاكتشاف الجديد عن جبار الذهن الذي لا يعرف ما هو الهجاء في الشعر العربي ولا ما هو تاريخه ، وأصلحو لغات العالم كلها في تحديد معنى السفاهة والبداءة وفحش القول ولعن أعراض الناس ، فقولوا إن كل ذلك معناه طيب السريرة !! على ما حققه جبار الذهن المسمى عباس العقاد !!

لقد سمعنا هذا الهذيان من هذا السخيف ولكن أنظر التركيب العربي في كلامه لتعرف أنه هو لا يفهم ما يكتبه وله من مثل هذا كثير جداً . يقول ان ابن الرومي لم يكن شريرا لأنه كان كثير الهجاء . ثم يقول لو كان شريرا لما اضطر إلى مثل كل هذا الهجاء . والمعنى في العبارتين ان كثرة الهجاء دليل قاطع في نفى الشر عن الرجل . ثم يقول «لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء» وهذه العبارة قاطعة في أن ابن الرومي كان شريرا لان أفعال التفضيل (أكبر) لا يذكر في الكلام إلا لتحقيق الزيادة في صفة يشترك فيها شيان . ويزيد أحدهما فيها على الآخر . فالمعنى بهذا التركيب ان ابن الرومي شرير ، ولكنه قليل الشر لأنه كثير الهجاء !!! ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

اذن فالعبارتان السابقتان لغو لا معنى لهما الاثرثة جرائد ساقطة لا تميز الصحيح من الفاسد ، وهما دليلان لا دليل واحد على ان العقاد كاتب ، كالعالمى قارئاً

وفي هذا المقال الذي سألنا عنه الأديب يفسر (جبار الذهن) بيتا لابن الرومي هو قوله:

لا يغضبني لعمرى من له خطر فليس يرضى بظلمي من له خطر

قال (جبار الذهن): كأنه يقول لقد صبرت على عمرو فرضى الناس بظله إياي

فإذا هجوته أنا الآن فما يحق لذى خطر أن يغضب له وهو منصف بيني وبينه (١)

ماذا فهمت أيها القارئ من (جبار الذهن) في تفسيره؟ أين صبر ابن الرومي على عمرو في هذا البيت الذي ترتب عليه رضا الناس بظلم عمرو لابن الرومي؟ ثم معنى ترتيب رضا الناس على صبر الشاعر - بدليل استعمال الفاء في قوله فرضى الناس - يفهم منه بدلالة اللزوم أنه لو لم يصبر ابن الرومي لغضب الناس على عمرو ولم يرضوا بظلمه للشاعر. فإذا كان كذلك فلماذا صبر ابن الرومي وهو يملك هذا السلاح الماحق، سلاح الرأي العام الذي أنعم الله عليه به بعدموته!!! بأكثر من ألف سنة على يد جبار الذهن؟ صبر ابن الرومي على الظلم فرضيه الناس له، فإذا نفد صبره الآن وهجا عمرا فلا يحق للناس أن يعضبوا عمرو إذا كانوا منصفين. هذا هو وجه العبارة لو كان العقاد يحسن الكتابة. ولكنه خلط فجعل الناس يرضون جملة بالظلم ثم لا يغضب منهم حين الغضب إلا ذو خطر وجعل ذا الخطر هو الذي ينصف وحده حين قصر عليه الجملة الحالية. وهذا من تلفيق الرجل وتعميته على القراء ليوافق كلامه الفاظ البيت، اذ لو قال رضى الناس ولا يحق للناس أن يغضبوا لتعرض للفضيحة لأن الشاعر نفسه لا يريد الناس بل من له خطر منهم.

ويبقى أنه يلزم من تفسير العقاد أن الناس في عصر ابن الرومي كانوا على هذا الشأن فيما بينه وبين عمرو فقط واهملوا أمره مع كل من هجأه وكل من ظلموه وكل من صبر عليهم. وهذا (فتح جديد) في التاريخ ويجب أن يضاف إلى اكتشافات العقاد ولعله كان كذلك لأنه عمرو بن أم عمرو والذي قال فيه الشاعر

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار!

نحن على يقين أن هذا العقاد ضعيف الفهم وهو يهرب دائما من التفسير في الآداب العربية لهذه العلة، فإن وقع مرة وقع على أم رأسه كما ترى في هذا البيت. ومع أن الكتب

الاورية التي يغير عليها كثيرة الشروح والتعليق والنقد ، فله سخافات في فهم الآراء الدقيقة منها كما سنبين ذلك . وما غطى عليه الا أنه دائماً يسرق ويتحلل ولا يبين الأصل الا فرنجي الذي يغار عليه .

معنى بيت ابن الرومي هو هذا : ان عمرا ذليل لا خطر له ولا شأن ، ولذلك لا يغضب له من له شأن ونباهة ، فان من كان بهذا الوصف لا يرضى بظلي لمنزلي عند ذوى الخطر ، وانما يرضى بظلي السفلة وامثالهم من الخشوة والطعام الذين لا يدركون قيمة الشعر وشاعره وليس لهم أعراض ولا مناصب يخافون عليها الهجاء على حد القول المشهور :

اذهب فانت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل!
وكل تاريخ الأدب العربي في باب الهجاء ناطق أنه لا يخاف الهجاء ولا يتحاماه إلا ذو خطر ، من عرض ونسب وجاء الخ.
هذا على اعتبار ان ولاء في قوله (لا يغضب) نافية فاذا كانت للنهي كان المعنى هكذا : لا يغضب ذو خطر وشأن لعمره لان ذا الخطر يتقني ويخشاني فلا يرضى بظلي فلا يغضب لمن ظلني .

وعلى كلا الوجهين فأساس البيت هو ان عمرو على الناس وفخر ابن الرومي بصولته وخشية ذوى الاحساب والجاه من لسانه وهجائه .
نحب الآن أن نعرف من هو أجهل الناس وأبلدهم وأشدهم جبنًا ؟ فان صاحب هذه الصفات هو الذي يجراً على المكابرة بعد هذا البيان أو يقول إن العقاد يفهم الشعر ويغضب لعمره !!!!

ونعود الى نظرة سريعة في شعر جبار الذهن وهذا الجبار أهون علينا من أن نضيع الوقت في قراءة شعره أو كتابته . انما سبيلنا أن نفتح أية الصفحات من ديوانه أو عددا يكون أمامنا من مجلة « الجديد » التي يكتب فيها الآن ، فاننا لثراكم الاعمال لا نقرأ المجلات الا بعد صدورها بزمان ، ولكننا نقرأ ما نحب منها على كل حال ومنها مجلة « الجديد ».

على غلاف ديوان العقاد هذه الكلمة (أربعة أجزاء في مجلد واحد) والديوان ورق لا يساوى ثمن تجليده ولم يخرج له صاحبه مجلداً فاما معنى (مجلد واحد) وكلمة مجلدة أو مجلد لا تستعمل الا في الكتاب يغطى بالجلد لأنها من جلد ، أى وضع الجلد عليه . واذا صح ان كل مطبوع يسمى مجلداً جاز حينئذ ان يكون معنى العبارة (اربعة مجلدات في مجلد واحد !!!) . هذا أيضاً من جهل الجبار لانه يريد في سفر واحد أو كتاب واحد أو مجموع واحد .

وبهذه المناسبة رجعنا الى أوائل الأجزاء فاذا اسم الجزء الاول « يقظة الصباح » ، والثاني « وهج الظهيرة » ، والثالث « أشباح الأصيل » ، والرابع « أشجان الليل » ، وهذه الأسماء لم تكن من قبل حين طبعت الأجزاء قديماً وانما لفتت حديثاً في السنة الماضية عند طبعها « في مجلد واحد » .

حسن جداً وجدأ حسن ، ولكن من أين جاء هذا التخليط ؟ يقول جبار الذهن في كلمة الختام « فاذا قرأ القارىء فربما وجد في أشجان الليل ما هو أخلق بهج الظهيرة !! أو وجد في يقظة الصباح ما هو أخلق بأشباح الأصيل ، !!! الجبار إذن يقر بالتخليط ويعترف به لأنه لا يستطيع أن يكابر أن كل نظمه هراء في هراء . فاذا كان هذا الخلط واقعاً معترفاً به فما معنى هذه الأسماء ؟

معناها أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور ، فيسرق ويدعى الملكية . هو يعترف أن الأسماء ليست على مسمياتها ، إذن فهو لم يضعها لأنه لا يخطر لمؤلف أن يضع اسماً على غير مسماه ، إذن فهو قد سرقها وهذا هو الصحيح .

وضع الشاعر الفرنسى الكبير ملكريور دفوجيه Melcior de Vogué عضو الاكاديمية الفرنسية رواية شعرية سماها (جان داجريف) Jean'Agrève وجعلها أربعة أناشيد لأنها تصف حياة حب بديع من بدته إلى منتهاه ، ومن أمله إلى خيبته . وسمى النشيد الاول (الفجر) والثاني (الظهر) والثالث (الأصيل) والرابع (الليل) لأن في الاول انبثاق نور الحب والثاني توجهه والثالث تخافته والرابع ظلامه وفناؤه .

أسماء على مسمياتها كما ترى ، وهو في كل نشيد يدع في التصوير والقصة والحادثة ، ولا

يعدو الحد الذي يفصل بين الاسمين . بل يمر بالقصة وحوادثها ومعانيها كما تمر الشمس إلى أن تغيب وتظلم الدنيا وتموت الحبيبة في ناحية والمحب في ناحية أخرى .

ومع اعتراف جبار الذهن أن هذه الأوضاع لا تنطبق على سخافات التي سماها
« أربعة أجزاء في مجلد واحد » ، فإن طبع اللصوصية المنغرس فيه أبى عليه إلا أن يسرقها
ويدعيها ويذهب في تحليلها تدجيلاً وتعمية على القراء . وهذا كله صريح في أنه لص
مخادع مدع لا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق ولا الحقيقة .

عجبية عجبية . نفتح الآن صفحة ١١٣ من « يقظة الصباح » !!! فإذا نرى ؟ تهنته بعيد:

عثمان يا عيد من يحظى بصحبته بلغت ما شئت في الأيام والناس

أولى الأنام بأسعاد وتهنته من كان كالعيد في بشر وائناس

إذا بلغ الحرص بشاعر على أن يثبت في ديوانه مثل هذين البيتين فقل فيه ما شئت

ولا تبال واعلم أنك مصيب في كل ما تقول .

وقوله (يحظى بصحبته) غلط يتابع فيه العامة وبعض كتاب الجرائد المنحطة لأن

الخطوة المكثفة فتقول حظيت عند فلان وحظيت المرأة عند زوجها والعامة - ومنهم

العقاد - يظنونها بمعنى تشرف فيقولون حظينا بقاء فلان وبصحبه أى تشرفنا ولا

معنى لها ، وإنما تجوز بعض المتأخرين فقال حظيت بالمال . فإن كان جبار الذهن شحاذاً

وكان يريد من قوله يحظى بصحبته أى يحظى بماله جاز له هذا الاستعمال .

فأما أن يقر بالخطأ وأما أن يقر بالشحاذة

ومن سخافة ذوقه جبار الذهن ، أنه يدعو على الناس في يوم العيد لأنه يدعو لعثمان

ان يبلغه الله ما يشاء فيهم . وماذا يشاء عثمان في الناس ؟ أيجعلهم عبيداً له أم يأكل

أموالهم أم ينكبهم ويتقم منهم ؟ ان العبارة نفسها في هذا التركيب لا تقال الا في

الشرفائك تقول لانسان بلغك الله ماشئت في أعدائك ولا يمكن أبداً أن تقول بلغك

الله ماشئت في اصدقائك وأصحابك اذ لا يشاء (فيهم) ولكن يشاء (لهم) .

ومعنى البيتين مبتذل متداول على ألسنة الناس حتى العامة وقد مسخ المتشاعر

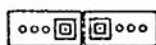
كلام المتنبي في تهنته سيف الدولة بعيد الأضحى في قوله:

هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده وعيد لمن سعى وضحي وعيدا
 فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا
 المتنبي جعل أميره عيداً للعيد ولأهل العيد، والمتشاعر جعل عثمان ١١ عيد من يحظى
 بصحبته. والمتنبي جعل يوم العيد فى تفرده مثل الأمير فى كونه أوحداً للناس، والمتشاعر
 جعل عثمان (كالعيد) فى بشر وإيناس وزمارات ولعب وكحك وغريبة !!!
 من الإهانة للمتنبي أن يقول أن العقاد سرقة وأن كان سرقة، ولكننا فى كل ما نذكر من سرقات
 هذا المتشاعر الجبار، لا نريد إلا أن يقابل القراء بين الشعر الحقيقى فى قوته ومئاته
 واحكام صنعته وبين الشعر الزائف المنحط فى سخافته وركاكته مع أنه مسروق
 من ذلك !! فلو سرقة شاعر حقيقى يستحق اسم الشاعر لجاء به على الأقل فى طبقة
 الأول أن لم يكن أبدع واسمى منه.

فاذا كان جبارنا المضحك يسرق ومع ذلك لا يجهنمنا إلا بالسخيف الذى لا يذكر
 بجانب الأصل فانه .. فانه إيه ؟ ..

فانه سيف نجار !!! تقلة من زنده عضلات من شراميط

(حاشية) فى عدد شهر يوليو الماضى من العصور مقال عن «أشتين المفهوم» بين
 صاحبه غلطات كاتب لم يذكر اسمه فهذا الكاتب هو جبارنا حامل السيف الخشبى .



الشفق الباكي
 سر، شمس
 للدكتور أبى شادى
 شعر، ونقد، وأدب عام

يقع هذا الديوان العصرى الحافل فى ١٣٣٦ صفحة جامعة
 لمئات القصائد والمقطوعات المتنوعة. وهو مطبوع بالشكل
 أنظر طبع ومزبان بطانة من الصور والدراسات القيمة ،
 ومجلد بالفهارس تجليد نفيساً . ويطلب من المطبعة السلفية
 بالقاهرة، ومن جميع الكنائس الشهيرة فى مصر والعالم العربى، ومن مكتبة
 لوزان فى لندن . « عمر العشرى قرنا مصرنا فى البرية »

شیطان بنتور

تفضل أمير الشعراء بان ينشر كتابه (شيطان بنتور) على صفحات
المصور اختصاصاً بهذا الفضل قبل أن يخرج الناس في صورة كتاب .
وتنم لبدا ينشر هذه القطعة الخالدة من الادب المعصرى ، راجين ان
يتم طبع الكتاب في اقرب حين ، ليكون في متناول الادياء في انحاء
العالم العربى ، فينبج للادب منها ، ولتتلم مورداً ، وللمهذب مثالا ،
والوطنية نموذجاً اعلى .

المحادثة الاولى

حكى المهدهدمنيء الانباء ، وشيطان بعض الشعراء ، قال أكثرت مخالطة الناس
حتى ندمت ، وأطلت النظر في الكتب حتى شمت . واشتقت الى عبرة مرموقة موموقة ،
وحكمة من نفسها مسوقة ، آخذها ولو من سوقة ، لا مطروقة ولا مسروقة . فخرجت
الى الاهرام في وقت من أوقاتنا الموصوفة ، ويوم من أيامنا المختارة ، ذهب نهاره الا
إواخره ، وتناوب على الجو صاحبه وما طره .

تعرض الغيم فيه * للشمس في كل مسلك
تروغ منه فتبدو * وتختفى حين تدرك
والأفق منه ومنها * كالطفل يبكي ويضحك

فبلغت فضاءها واذا ذهب الاصيل عليه يزهو آونة ، ويصدأ بالغيم آونة ، والشمس
صفراء في الأفق منكسرة الاشعة ، قد كادت ولما تفعل ، كأنها عين الاشقر الاحول .
فوثبت الى الهرم الاكبر ، وحططت فوق حجر ، ثم تقصيت النظر ، فكانت فاتحة
العبر ؛ وباكورة العظاات الكبر ، أن رأيت السياح حوالى الاثر ، يرتعون في الاصيل
ويلعبون ، وينزلون عن الابل ويركبون ، وقد ضفت عليهم ثياب الكبرياء ، وجروا
ذبول الزهو والخيلاء . فنضبت من رؤيتهم على هذه الصورة ، وعبشهم في القبور
بعد عبشهم بالجثث المقبورة : فقلت

وأيتها الحجاره الخالدة : اسخرى من هؤلاء كما سخرت من قبيز وخيله ، واستهزئى
بهم كما استهزأت بنابليون وجنوده ،

ثم خرجت من الغضب فأبصرت ، وتألفت ما كنت أنكرت . وما زال الغضب
يعمى صاحبه ، ويضل راكمه ، ويريه صدور الامر ولا يريه عواقبه . ابصرت فرأيت

الغادى والرائح ، والترجمان بجانب السائح ، ولم أر من باك ولا نائح ، ولا مهيب بالجندل
والصفائح ، يحياه صدى من جانب القبر صائح . فرجعت في أمر القوم الى الرضى وقلت : أنما
يزورون قبور الفراعنة في مصر ، كما تزار قصور الملوك في هذا العصر . وذكرت ساعة
قضيتها في قصر (وندسور) منذ سنين ، والملكة يومئذ في الحياة لا تخرج الشمس عن
طرفي ملكها ، كأنهما حاشيتا النهار . فدخلت المقاصير وتنقلت في الحجر ، ورأيت فراش
الملكة وقد هجرته ، كما ينظر هؤلاء إلى مراقد الفراعنة ، وقد نقل ما فيها إلى دور التحف
وحيل بين ذلك اللؤلؤ وهذا الصدف . فرحم الله المصريين القدماء ، لولا هم ما ذكر مصر
الذاكرون ، ولا ظلت كعبة يزورها الزائرون .

مضوا والدور باقية وأودوا وليس شخوصهم بالموديات

فما ذهبوا ولكن في اغتراب وما ماتوا ولكن في سبات

(قال) ثم وقفت أتأمل قبور الملوك العظام ، واذا كر عبث الأنام لا الأيام ،
واعجب للأهرام ، وهى من عمل الاسرة الرابعة و بنيان المصرى فى أول عهده بالحياة ،
وبداية دخوله فى الحضارة ، كيف رسخت فى الارض رسوخه فى العلم ، ووقفت للدهر
وقوفه فى الفن ، وكلما تأملت جزئى العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت
التعيم كيف يزول ، والمحال كيف يحول ، والدولة كيف تدول ، والملك الكبير اليـم
يؤول ، وبعث الموقف منى فقلت :

لما رأيت قبورهم كملت فما فيها لناقد

وكأنها نهد الثرى وكأنه مذ كان ناهد

بليت رواسيه ولم تبل العظام ولا المراقد

وهوت حوالها الهيا كل والكنائس والمساجد

دخلت ممالك وانطوت دول زواهر كالفرائد

أيقنت أن المرء بعدا لموت بالآثار خالد

وأدمت النظر الى الاهرام لا لعظم فى الجرم وفخامة فى البنيان ، ورسوخ فى
الأرض وطول زمان ، فان استعظام رؤية الأجرام من خلاق الصيان ، لكن كمرآة
أرى فيها قدماء المصريين كما هم فى الأعصر الأول ولما لم يكتملوا دولا أربع ، فلا أرى
الا صوراً واضحة وأشباحاً قديمة ، ثم أنظر فيها المصريين الأحياء ، وكأنما أتأملهم فى

مرآة محدبة مقعرة ، صور ممسوخة ، وأشباح معوجة ، وأعضاء كمختلط الاشلاء ، من ضياع التناسب ، وما اختلف الزجاج لكن هي الاخلاق ، تحسن وتقبح ، وتعلو وتسفل وتقوم وتعوج ، وتريك من قوم مالا تريك من آخرين . ما أبعد ما بين الاصل والفرع ، وشتان ما بين الوالد والمولود . ذلك قبيل شادوساد ، وأجار من البلى الاجساد ، ونشر سلطانه على البلاد والعباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقا من الآباد . حياته للبوت وموته للحياة ، يعمل للذكر ويهيى للاحاديث ، ويترك للابناء ويعلم أن السير حياة ثانية ، في هذه الدار الفانية ، وان ليس الموت إلا سفراً من الاسفار ، ونقله من دار إلى دار ولا يستوى ناء يعطل ذكره وآخر مذكور بكل لسان

ونحن معشر الابناء فيما نزعم ، وذراى المصريين القدماء فيما توهم ، أمة نيام لاتعرف الملك إلا فى الاحلام ، كأننا ولاية العهود ، شابوا وآباؤهم قيام ، يومنا يوم العاجزين ، وغدنا غد النائسين ، وأمسنا لا للدنيا ولا للدين . معنى الحياة عندنا شيء باطل ، وطرفاها نعيم زائل ، وماهيتها أيام قلائل . لا ندخر صالحات ولا باقيات ، ولا نرجو علوا فى حياة ولا نلمات ، يترك أحدنا لولده من وجده ، ولا يترك لهم من مجده .

قال الهدهد : وما لبثت الشمس ان غربت عن بلاد وطلعت على بلاد ، فآفاق فى مهرجان وآخر فى حداد . فحدثت نفسى بالانثاء ، فرارا من وحشة الظلماء . لكنى ما هممت حتى شعرت بانقراض طائر من الجوارح ، وسمعت هاتفا يقول : يا منادى الحجر ، ومناجى الأثر ، أخطأتك مصدوقة الخبر ، وغابت عنك أمهات العبر . هلا قلت فى شكوى الحال ، ونجوى هذه الاطلاع :

يا أيها الهرم المنحوت من زحل * صب النحوس علينا أنت والزمن
هو حواليك ملك لا قيام له * وغيت فى ثراك الأربع المدن
وأمسك الهاتف عن الكلام ، فالتفت مذعورا لعلى أرى على المكان شبح انسان
او خيال شيطان ، فلم أر غير نسر ، مستجمع فى وكر نسج عليه الدهر ، وهو يرنو
بصفراوين كالنبر ، فى كليهما انسان كنقطة من حبر . فدنوت منه وتأملت فيه ، وإذا
هو قد وهن منه العظم وتناثر الريش من الكبير ، وشد منسره إلى ساقيه بالسباب من

الهرم ، وأكل على جوجته الزمن وشرب القدم . فقلت لعله نوح النسور ، او بعض ما حمل نوح معه من الطيور . وابتدرت خطابه فقلت :-

« سلاما أيها الشيطان ، ان كنت لبد لقمان ، فاني هدهد سليمان ، قال النسر واستضحك » . افتريت على النيين والطير ، واتحلت لى ولك ما للغير . أنا آدم الشعراء ، ولا اطراء ، وأول من نطق بالقافية الغراء ، فوق هذه الغبراء ،

قال الهدهد : وكنت لم افقه ما رمز اليه ، ولم أعلم مراده من بيته ، فبشرت نفسى وقلت شيطان قديم ، فلا أعلن منه مالم أعلم وفوق كل ذى علم عليم . ثم قلت اخاطبه : « الايام ايها النسر مدارس الاحلام ، ولا يستوى فى العلم كهل ولا غلام ، فلا أستحى ان أسألك من أنت ، فقد استبهم على ما بينت ،

قال : أنا من سميت فى قريضك ، وكرمت فى شعرك ، وبعثت فى قوافيك ، فضل لك لا أنساه ، وما كنت ترانى لولاه . قلت

اثن صدقت مزاعمى فانت الروح الاكبر ، والشيطان الأشهر ، والنسر المعمر ، بنتور شاعر الملك رعمسيس ، وحامل لواء البيان فى طيبة ومنفيس . قال إنه أنا وانى بك لقرير . كنت أراك تسمع لواعظ الدهر فوق هذه المناير ، وتجمع الخبر والخبر عن ذلك الملك الغابر ، والسلطان الغائب الحاضر . وجدير بأقدم المقابر ، ان تعظ الزائر والعاير . فهمست فى اذنك بالبيتين ، أريد ان اريك مالم تر عين : انظر كيف ترى . منف ؟ قلت أطلال بالية ، ورسوم عافيه ، عندها قرية كبعض القرى ، لا تكاد تحسب من الثرى . قال فكيف « عين شمس » ؟ قلت مزارع ورمال ، لاجلال عليها ولا جمال . قال فانظر « الفسطاط » كيف تراها ؟ قلت بيوتات واديره ، وتلال مستكره . قال فما هذه البلدة الزاهرة ، والروضة الناضرة ، والدرية السافرة : ؟ قلت مدينة القاهرة . قال لمن هي : ؟ قلت لغير أهلها . قال هي اذن فى حكم المدن الغابرة . عواصم أربع كن مقار دول ، وكراسى ممالك ، وقواعد حكومات تغير أحداهن الشمس بابهة الملك ، وعظمة السلطان : حضرت الاهرام يومها وأمسها ، وشهدت مصرعها وكانت رمسها ، فاسأل ربك لقومك ان يكفهم نحسها . قال الهدهد : فاطرقت أنامل فى معانى هذه الكلم الجوامع ، واتدبر مغازى الحكم الروائع ، وانا أستعرض كرة الارض فى خاطرى ، واقلب صفحات التاريخ فى فكرى ، فلا أجد لفضاء الاهرام مثلا فيما وصفه النسر عليه ، الى ان اخرجنى من اطراقى بأن قال :

أرى الهدهد بين عبدة جلت ، حين تجلت ، وفكرة في المدائن الأربع كيف
تولت . فهل لك في كلمات تمثلك وقومك في الظلمات ، وتريك الامم في حال ذهابها
كيف ينقصها الآلهة من اخلاقها وآدابها اقلت : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ، انى
اراك في ضلالك القديم . قال قطعت حديثى لأمر لا يعينك ، لك ما تعبد ولى ما اعبد ،
ولا يزر الذر و زر الهدهد . فان كان لك في الصعبة فعلى ثلاث . ان لا تجرى الأمور على
هواك ، وان لا تنظر فيها بمقتضى طباعك ، وان لا تأخذها ولا تسأل عن اسبابها . فهذه الثلاثة
تخرج من العلم الى الجهل ، فكيف تخرج من الجهل الى العلم ؟ قلت ذلك لك يا شاعر الآلهة ،
فأنجز الآن ما وعدت . قال هلك الفراعنة وخلت الاسرة منهم وذهبت دولهم ، ونبشت
قبورهم ، وعرضت جثث عزت عليهم . على الناس . ماتمهم بينكم معاشر المصريين
قائم لا ينفض ، وما مقعدكم منه إلا كالمعدة تبكى ولادمع ، وتندب ولا حزن ، وتهتف
بما لا تعرف من أخلاق الميت وصفاته ، وسنة سارها في حياته . يفخر أحدكم بالعظم
الرميم ، ويتحلى في حديثه بالمجد القديم ، ويسر — وهو عطل من الغنى عديم — بما بلغ غيره
من اليسارة والنعيم . فاذا ذكر المصريون القدماء ، رفعت الأنوف للسماء ، وزعمتم
أنكم سلالة الفراعنة العظام . لكم التاجان وعرشكم على الماء . واذا جرت أحاديث العرب
قلتم ينذا أقرب النسب ، ولنا ما تركوا من حسب ، وما هو إلا سبب قطعتموه ، ودين
ضيعتموه . ولسان عربى بالعجمة بعتموه . واذا سمي جد الأتقياء ، وواسطة عقد
الانبياء ، كنتم كلكم لآلى الشرف ، وما خرج قط خزف ، من ذلك الصدف . واذا
نصر الترك في حرب ، وتركوا دويا في الشرق والغرب ، كنتم السيوف والا كف
والضرب ، وما ذقم لها من حرب ولا كرب . واذا مات ملك ليس منكم ولستم
منه ولا يسأل عنكم ولا تسألون عنه ، وخلف لقومه سيرة تسير كالأمثال ، وخلى
مفاخر لن تبيد ولن تنال ، كنتم المؤننين الشعراء ، لغيركم الميراث وعليكم الرثاء .

قال الهدهد : وبيننا أنا في الاصغاء ، آخذ الحكمة الغراء ، عن آدم الشعراء ،
اذ قطع الحديث ، وتركنى مفكرا فى كل ما هاجبى ذكره من قديم حديث . ثم صرفنى
على أن التقيه فى منف أصيل الغد ، وان غدا لناظره قريب .

المحادثة الثانية

قال الهدهد . فأقلعت للطيران ، أؤم عشي في حلوان ، وأنا كمن مر به غرام ،
على منازل الآرام ، يتلفت قلبي إلى تلك الأجرام ، ويعز على نفسي أن تفارق الأهرام .
ثم جاشت في صدرى هواجس ، وامتلاً خطرات من الوسوس . فتمنيت على فئة
غير هذه الفئة ، وأملت من حكام مصر بعد مئة ، أن يتخذوا من الأهرام مقابر ،
لنفر الانفعين الأكابر ، فيدفن فيها الجليل والعزیز ، كالبتيون في روما وباريز .
أمنية إن شئت عدها سخافة . وإن شئت قل حديث خرافة .

من لى بان تجعل الأهرام مقبرة • كالبتيون لأهل الفضل والفضل
مفتوحة لوفود الأرض قاطبة • يزورها الناس من شام ومن يمن
مغيين من الأجلال في جدث • مدرجين من الأعظام في كفن
مسطورة بمذاب التبر فوقهم • آثارهم والذي أسدوا من المن

تخيلت ، ثم خلت الأمر قد تم ، وأعلنت الحكومة مشيئتها فيه وصدر الأمر العالى
به ، ولم يبق إلا العمل بموجبه . فأنشئت الأضرحة الفخيمة ، فى تلك الحجر القديمة ،
وأقيم الحراس على أبواب الأهرام ، وكتب على مداخلها بماء الذهب ولعطاء الرجال
شكر الأوطان ، وقيل هذا القبر فاين الميت ؟

قال الهدهد : خطرات شاعر وأمنية شيطان ، فمن حضر بعده تحقيقها فليذكره ،
ومن علم بها ولم يرها أبرزت من القول إلى العمل فليعذره . ثم بلغت عشى فتمت
ناعم البال مغتبطاً بما وعدت من لقيا النسر ، كأنما وعدت ملكاً كبيراً . فلما أصبح
الصبح قطعت نهارى متعللاً حتى الأصيل ، وأنا لا أدري ماذا عني النسر بمنف ؟
أهذه القرية أم تلك المدينة ؟ وهل موعدا من نفيس أم ميت رهينة ؟
حتى إذا ذهب معظم النهار ، طرت إلى النيل أريد أن أعبره فوق سارية
من معدية ، فلما شارفته ، رأيت ما ملئت منه تعجباً وتحيراً . رأيت شاطئين يتغايران
وضفتين تختلفان . هذه تلوح موحشة كأنها قبر ، بمكان قفر . أرض على الطبيعة ،
وفلاح على الفطرة ، وجيئة لغير مطلب ، وذهاب فى غير مغنم ، وزرع للفلاح انباته ،

وللتاجر ثمراته . وهذه تموج بمعالم العمران ، وتجلى في زخارف الحضارة ، وتدفق حياة ، وتوثب وجدانا . فوقفت أنأمل هذا المرأى البهيج ، والمنظر العجب ، والمشهد البديع ، وأنا أتهم الخيال ولا أتهم الحس ، ولا أبرئ نفسى من سحر أو مس . وقد أنساني الدهول ذكر ما وعدنى النسر أمس . أنظر إلى النيل فأرى المجاديف تنتهب مياهه من تكاثر السفن لديه وتلاقى الزوارق عليه ، مشحونة بالبضاعة ، مملوءة من الجماعة . فكأنما أنظر إلى السين أو الرون أو الدانوب . فذكرت عندئذ ما قاله نابليون لجماعة من جنده في مصر ، قد مر بهم فرآهم ينظرون إلى النهر ، وسمعمهم يتساءلون : . أهذا هو النيل الذى تشيد الكتب المقدسة بذكره ، وتبالغ الأجيال فى قدره ؟ إن السماع به خير من رؤيته ، فاقرب منهم وقال : . انه لا يعوز النيل إلا خمسون عاماً ، ثم يبدو لكم كما تصفه الكتب المقدسة أو أجل ، : فقلت فى نفسى : لئن زعم نابليون أن مصر لا ينقصها إلا التمدن ، ولا بد من أن تتاله على يد الفرنساويين أو غيرهم من الأمم المتقدمة ، فقد مر مائة عام لا خمسون . فما بالى أرى هذه الضفة بحالتها التى رآها جنود نابليون عليها ، وأرى لدى هذه نعيما وملكا كبيرا ؟

وبينما أنا فى التخيّل تارة ، والتأمل تارة ، والتوهم مرة ، واليقن كرة . بصرت بزورق يقترب منى ، ويجريه عصبة من المجدفين فى الزى المصرى القديم ، كما تمثلهم لنا الآثار ، وقد نهض فيه رجل كأنه المثال المنصب رونقا واعتدالا ، وسكينة ومهابة . وهو مكشوف الرأس لابس ثياب المصريين القدماء كذلك ، فأشفت من رؤيته الزورق ورجاله لأول وهلة ، وتحفزت للمطار فصاح الرجل بى يقول :
إلى يا هدهد . إني أنا النسر ، فلا تخف ولا تجزع . قلت وما بذلك يا مولاي ، وما هذه الحال ؟ وهبى جئت لك فأين تريد أن تجعلى ؟ قال تقدم ثم تكلم ، فطرت من فورى إليه فتلقتانى بكلتا يديه ، ثم رفعني فوق كتفه ، وقال هذا مكانك ، فاستقم فيه ولا يكثر من التلفت والاتفاض فتؤذنى . قلت سمعاً وطاعة يا مولاي . عندئذ أشار إلى الملاحين ، ان ينثوا بنا راجعين ، فسالت أيديهم بالزورق فى نهرسرى به الجلال وخط عليه الجمال ، تتلاقى السفن فيه كالجبال ، تنوء بالبضائع والغلال ، وتفيض من الرجال والأموال . فسالت النسر لمن هذه الأرباح يا مولاي ؟ لقد أذكرتنى كنوز سليمان

عليه السلام ، وجواريه المنشآت في البحر كالأعلام ؟ قال هذه رعية مولانا الملك رمسيس ، تروح وتغدو بين طيبة ومنفيس . ناهضين بالمناجر الجسيمة قائمين بالأعمال العظيمة تجري السفن بهم ليل نهار ، بين شاطئين كلاهما محط لرحال التجار . قلت وإلى أين تمضي في الآن يا مولاي ؟ قال ألم أقل لك موعدنا منف وها نحن قادمون وهذه معالمها تبدو وتظهر ، وتلك بجاليها تضي . وتزهر ؟ فأخذني الدهش وصحت : الله أكبر ! فأنكر النسر على صيحتي وقال ألم أزدبك بالأمس ؟ فهلا دار يتنافى في دارنا وأرضيتنا في أرضنا ؟ قلت وما عساي كنت أقول يا مولاي ؟ قال كان أولى بك أن تسكت . أو تقول الشمس كبيرة وحفيدها رمسيس كبير . قلت لا أعود لمثلها يا مولاي فهل لي أن أرى حفيد الشمس ذاك ؟ قال ستراه وتسمعه . فلا تعجل ولا تؤذي بأسئلتك .

ثم استقر بنا الزورق ونالت أقدامنا منفيس ، فاذا بها تحلت من الزخارف بكل نفيس ، وتحلت نخثال في حلل البهاء وتميس . حيث التفت رأيت حولي عزازة وعماره ، وثروة ويساره ، وصناعة وتجاره ، وجاهاً واماره ، وجنود البر والبحاره ، من كل زى وشاره . فلم أتمالك أن اغرورقت عيناى بالدع فالتفت النسر إلى وقال ، أدمعة سرور وفرح ، أم عبرة أسى وترح ؟ قلت بل كلتاها يا مولاي . فكنن سرنى أن أرى هذا المجد لمصر أولاً ، لقد ساءنى أنى لا أراه لها أخيراً . قال لو أن فوق كل شبر من أرض مصر . هدهداً . يملؤه دمعاً لما اغني ذلك عنها شيئاً فعليك بالتأمل والاستقراء . قبل البكاء والاشتكا . والتبصر والاعتبار ، قبل النحيب والاستعبار . فكفكفت دمعى وقلت لا يكونن إلا ما أمرت يا مولاي .

قال الهدهد : ثم مررنا بهيكل يأخذ العين ، ويتملك النفس ، ويأسر الخاطرة . ويستوقف اللب قبل الناظر . فتوجه النسر وجهته ثم دخل بين حراس ينجنون له تعظيماً واجلالاً ، وكأن يوفونه تحية واستقبالاً . وهناك جعل يطوف في حول القواعد والأركان ، ويرفع بصره إلى دعائم البنيان ، وينتقل في من مكان ، ويذهب في صعداً وصيباً في حجر غالية غالية ، ومقاصير حالية ، من عيب خالية . منها الداجي

المظلم الحالك، وبعضها منور للشمس اليه مسالك، وهو يقول: هذا يا بني الهيكل الأشهر، بيت (فتاح) الآله الأكبر، حامى هذه المدينة، وملبسها الأمن والنعمة والزينة. تنقل معي من حجر إلى حجر، وصل معي من أثر إلى أثر، وأنعم النظر في هذه النقوش والصور، ترها في ضمائر الجفن أدق من الخواطر والفكر، وما صنعت في نور الشمس ولا في ضياء القمر، لكن في ضوء سراج ضئيل غير وهاج. ثم تأمل في الحجر بجانب الحجر كأنهما واحد، انقسم على نفسه شطرين.

انظر إلى هذه الجبال كيف قطعت، وإلى الأساس كيف وضعت، وإلى العمدة كيف رفعت، وإلى الزخارف كيف جمعت. هل ترى في جميع ذلك إلا معرفة في العلم، ودراية في الفن ومهارة في الصناعة؟ وغير أحكام في الصنع، واتقان في العمل، ورغبة في الثناء، وهمة عالية في الأمر وذكاء فائق في الأمور، وطاعة واجبة للملك على الرعايا، وعدالة مفروضة للرعايا على الملك؟ وهذه يا بني أسس الآداب وروس الأخلاق، وقوى الحياة في الأمم، وسر نجاح الشعوب.

قال الهدهد. وكنت أراعي النسر وفكرتي في الملك، أتمنى أن أراه مرة واحدة، فتاجيته بذلك فغضب من هذه المفاجأة وقال: الملوك أيها الهدهد في كل مكان من ممالكهم، إذا تغيّبوا حضرت ما أثرهم، وإذا احتجبوا اسفرت مفاخرهم. فحيث نقلت القدم في هذه العاصمة حدثك عز الملك عن الملك، ووصفته لك هذه الدولة الكبرى كأنك تراه. على أني سأنبئك سؤلك واجعلك من رمسيس بحيث تسمع وترى، فلا تعجل على ولا تكن كمن يزورون الاستانة ولا أرب لهم إلا حفلة السلام، وإذا قضوا أربهم من حضورها رجعوا إلى أوطانهم متبجحين بما لم يعلموا من أهبة ذلك الملك وعظمة ذلك السلطان.

قلت أفيرضيك أن أكف عن السؤال يا ولاي؟ قال أسأل ما شئت إلا الصغائر فإنها تقتل النفوس، وتطفئ نور العقول، وما اشتغل بها شعب إلا هلك حيا.

إن لرمسيس وجهها كبعض الوجوه، وجسمها كسائر الاجسام، لكن إذا وقفت على شيء من بسطة ملكه؛ وامتلات نفسك مهابة من سعة دولته؛ ورأيت آثار نعمته على رعيته، ثم لقيته بالذات لقيت آلهة في زى أنسان، تنحسر في جلالته العينان.

ويحقق لأدنى لحظة منه الجنان، قلت مررنا في بجيتنا الى الهيكل بعثرت شتى وأبنية تشيد ،
 وهياكل تعمير ، فكنت أرى العمال صنفين ، والصناع فريقين مختلفين ، فما شرف
 من الاعمال وكان للعقل والرأى معظم الاثر فيه ، تولاه المصريون بأنفسهم
 وما خسر منها وكان شاقا ، يشترك فيه الساعد والجسم كعمل الطوب وجرا الاثقال ، قام به
 طوائف من الناس ، زرية أزياءهم ، مختلفة صورهم ، مسودة وجوههم ، فمن
 هؤلاء يا مولاي ؟

قال غرباء أسروا في الحروب وجيء بهم الى مصر فأرواحهم مباحة للملك ينهب
 منها ما يشاء ، ويسخر من استبقى فيما يشاء ، ويجود ببعضها على قواد جيوشه الذين
 جنوا معه ثمر الوقائع ، وشهدوا بجناحه المعارك والمعامع . قلت عجبا لكم معشر الآباء
 تبلغون هذه المبالغ من المدنية ، وتأخذون بهذا النصيب من الحضارة ، ثم تقسو
 قلوبكم فهي كاللحجارة ، أو أشد قسوة ؟ فلو اطلع الافرنج خلفاؤكم في الارض اليوم
 على سيرتكم هذه في معاملة الغريب والأسير ، لأنكروها عليكم إنكارا ، ثم لولوا
 منكم فرارا . قال يبقى الحيف ، ما بقي السيف ؟ وليس ما نسبت الى أصحابك من
 الرحمة المتناهية ، وعزوت اليهم من الفلسفة العالية ، الاضلة من حيلك ، وقلة في علمك .
 ينكرون على ملوكنا أن يلغوا من ليس من دينهم من الأمم وما أشبههم في
 ذلك بادوارد السابع يوم ذم المذهب الكاثوليكي بمسمع من الاشراف ، أتباع هذا
 المذهب . يرموننا بفرط البكراهية للغريب واقتناء الحقد له ، ولنا في ذلك اعداء
 مقبولة . فابشمتنا في وجهه قط ، ولا استمننا اليه مرة ، الا طمع في ملكنا ، وافسد
 علينا أمرنا . على أننا علمنا الأمم من بعدنا شرع الوطنية . وعرفناهم كيف يطول
 عمر الدولة عند قوم ، وتمتد برهة الحكم بينهم ، إذا هم اعتمدوا في جميع أمرهم على
 أنفسهم وضربوا على يد الاجنبي أن تعبت في شؤونهم . ولئن بالغنا للغرباء في
 سوء المعاملة ، فلنا من موقع بلادنا الطبيعي عذر واضح . فما في مصر الا سهل
 سهل غزوه والاغارة عليه ، وواد مكشوف للأبصار الطامحة اليه ، فلو لم يسهر عليه منا
 الساهرون ، لما لبث في قبضتنا طول تلك القرون

وما أسير الحرب عندنا بأشقى من أسير الاستعمار عندهم ، يزرع لهم ويحصدون ،
 ويبني لهم ويسكنون ، ويسهر عليهم وينامون ، ويفتح لهم البلاد ويمتلكون ، والى

بعض هذا ينتهى الشقاء والصغار والهنون . قلت يكاد علمك يسع الأشياء كلها يا مولاي
فلو علمت ما مراد الملك رمسيس من مواصلة الغزو ومتابعة الغارة والخروج من
حرب والدخول فى حرب ، ومنزله بين الملوك الغابرين منهم والحاضرين ما لا ترى
أبصارهم خلفها مطرحا ، فهلا أقر السيف وحقن الدماء ، فقد ملك الأرض فهل يريد
أن يملك السماء ؟ قال السيف يابنى يعلى السيف ، والدول اذا كبرت وعز مقامها
وتغلبت وعرفت الجاه والنفوذ جد بها الحرص على البقاء ، وطمعت فى المزيد من
الارتقاء ، مخافة ان تقف فيدركها اللاحقون ، او تتمهل فيفوتها السابقون . وقد
جرت العادة بين الناس أن الضعيف لا يزال يرمى القوى بالبغى حتى يصير ذا قوة
مثله ، فيطغى مثل طغيانه . والفقر لا يزال يتهم الغنى بالجشع حتى يثرى فيصبح هو
الأجشع . وليس ما ترى من رحمة الناس بالبوير (١) وما تسمع من ذمهم الانكليز
المعملين السيف فى جنوب افريقيا منذ عامين ، إلا حسدا لا ينفع البوير ولا يصغر الانكليز .
ولو أن إحدى الدول مكانهم ما كان شأنها الا شأنهم . على أن الفتح إذا نفع القاهرة
مرة ، نفع المقهور ألف مرة . فرميس انما يخرج الأمم من الظلمات الى النور . فيفك
عقولهم من عقابها ، ويشفى نفوسهم من ضلالها . ولولا فضل المصريين على أهل
العصر الأول ما قامت للأحباش دولة ، ولا اجتمع للعبرانيين أمر ، ولا انعقد
للاشوريين لواء .

سرى نورهم فى الأمم المجاورة . وامتدت حياتهم الى الشعوب المعاصرة . وهكذا
سنة الدهر فى الناس ، أو اخر يرثون الأول . ودول تبني على انقاض دول .

قال الهدد . فعذبت مقالة النسر فى نفسى ، كأنها لفظ الشفاء على لسان طبيب ، وقلت لقد
أخرجتني من يأسى يا مولاي . وعلمتني من مستقبل مصر ما لم أكن أعلم . فتهدبت ووروقا تجمع
كل أمة جوامع شتى من لغة ودين وجنس وأمل ويأس ، وسراء وضراء ، وأتم لا تعرفون
غير جامعة الموت تجمع الأعداء . ثم قطع الحديث ، وقال هذا شئ متحدث فيه بعد ، فلبق فيما
نحن فيه من اجتلاء المناظر والمشاهد ، ومناجاة المعالم والمعاهد . وقلت ذلك أنفع لى

(١) اشارة الى حرب جنوب افريقية بين البوير والانجليز التى اشتهر فيها القائد

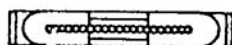
» دوويت ، البويرى المعروف

يامولاي، فما هذا التمثال القائم بين مقاصير الآلهة من الهيكل وبين مجلس الملك ومنصب عرشه، فاني أراه كعون بن عنق في ضخامته التي يزعمون . فمضى النسر إلى التمثال وجثا لديه ثم نهض وقال . فرغ الملك من حروبه التي تسير كالأمثال، وأمن تخوم ممالكه، وأخذ بالثقة من المستعمرات الواسعة، وفرق جيوشه في البسيطة بعز زون منها آية الملك، ويحمون أطرافها، وأصبح من ثبوت الدنيا له واستقامة الأمر في يده بحيث قلت في وصفه ومدحه .

رمسيس ياملك الدنيا وواحدها وبضعة النور وابن الكوكب الأحده
الشمس مثلك بعد اليوم . اولدت والشمس مثلك قبل اليوم لم تلد
فان تكن في سرير المجد خالدة فان عرشك مرفوع إلى الأبد
حتي إذا فرغ من تشييد مملكته، والأحتياط لحفظها، وجعلها بأمن من الحساد والأعداء، فكر فيما يخلد اسمه، ويؤبد ذكره، ويكفل لتاريخه الدوام . فبنى المدائن وأنشأ في كل واحدة منها هيكلًا خاصًا بآله أهلها الذي يعبدون، وسور هذا الهيكل القديم بالأعمدة التي تراها محيطة به، وليس أنغم ولا أضخم ولا أجل في الأعين منها . ثم أمر أن تصنع صورته معظمة وتجعل في الهيكل، فعمل له هذا التمثال وطوله ثلاثون ذراعًا، وهو من عمل الأسرى وحدهم : وقد غنى الملك بأمر ذلك فرغب أن يكتب أنه « لم يعمل مصري في هذا التمثال » قلت وفيه هذا التبرؤ يامولاي، ولو أنه من صنع المصريين لكان بالملك أليق، ولكانوا به أحق ؟ قال أن رجلا يرفع أكبر دولة في الأرض، ويقهر أربعين أمة، ويضع حدود مملكة أنى شاء، لا يؤخذ بكبيرة . فكيف ينتقد في صغيرة ؟ قلت لأنك في دفاعك هذا عن الملك، أشعر منك في مدحه . قال انما أدبت بعض حقه .

وهنا غلب النعاس على النسر، فجعل موعد الهدهد ميدان الملك في أصيل الغد

(يتبع)



الفضاء والمادة

يقف المرء في الليالي الصافية الأديم يتأمل في مظهر السماء مأخذوا بعظمة هذا الفضاء الذي يحيط به . وإذا كان ملأ بعلم الفلك فإن دهشته تزداد من جراء رؤيته نور النجوم الذي تقطع من المسافات مالا يحصى ، ومن الوقت الوف السنين النورية كما يصل إلينا . وقد يحنى رأسه باحترام أمام هذه العظمة ، ويقوده التخيل إلى الدخول في ناحية غيبية صرفة ، يفسر بها هذا السر العجيب فيقول : من أوجد هذه النجوم ومن بسط هذه الأبعاد ؟ ومن رتب هذه النواميس ؟ الله !!! الله القادر على كل شيء . وما الله عنده سوى قدرة خفية ، ينسب إليها إيجاد كل مالا يقدر على كشف سر . كالجاهل الذي إذا سمع صوت الرعد قال هذا صوت الله ! ولكن العالم لا يقول هذا ولا يتكل على قدرة خفية يعلل بها أسرار الطبيعة . فهو يتعب ويشقى في التفكير والبحث كما يعرف أسرار الكون من غير أن يتطلب شيئا غير الوصول للحقيقة . ولهذا فإن مظهر الفضاء عنده ، بعد أن تحقق مصدر المحسوسات الطبيعية ، لم يعد مظهرا غريبا ، ولم يعد الله موجوده . لهذا يبعد عن أن يلج ناحية الغيب كي يعمله ، بل يستخدم العدد الرياضي كواسطة لا تخطئ في الحكم ، والكشف عن سر أهم مشكلة عاجلها الفلاسفة والعلماء منذ قديم الزمان حتى اليوم وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى .

- ماهو الفضاء ؟ ؟

- الفضاء لاشئ في ذاته ، فهو الوقت واحد . واليك السبب :

أن المسافة بين بيروت ومصر ليست واحدة في اعتبار الناس . فالذي يسير على قدميه إلى مصر ليس كالذي يسير راكبا فرسا ، وهذا ليس كالذي يركب الباكسة ، وهذا ليس كالذي يركب الطائرة ، وهذا ليس كالذي يسير بسرعة النور . فالمسافة هنا تغيرت بتغير السرعة . ولكن ربما يعترض البعض بأن المسافة بين بيروت ومصر محدودة بكذا كليلوا مترات ، فلا عبرة إذا قطعها الإنسان في ثانية أو في شهر . غير أن هذا الاعتراض مردود . إذ من الذي حدد المسافة بين بيروت ومصر ؟

هو - الانسان :

وما هو الانسان ؟؟ .

هذا هو السر في هذا البحث . فالانسان هو الذى يحدد المسافات ، وهو ساكن في كون سريع الحركة ، فما يحدد من المسافات لا يرجع للكون ، بل اليه . لان ما يراد من الفسحة ، يرجع للنور الذى يحمل اليه مظهر قدر الكبر . والنور قوة مسرعة . فهذا الكيلومتر الذى يحدده ليس له وجود حقيقى لان الفترة التى يحدده بها ، ترجع لسرعة النور ، وسرعة النور تقطع في الثانية و ٢٩٠ كيلو مترا (١) فلو أرد مهندس أن يقيس فسحة تبلغ كليومترا ، لما أمكنه عمل القياس في أقل من عشر دقائق . وفي أثناء هذه الدقائق العشر ، يكون النور قد قطع مسافة ١٧٤ كيلو مترا . هذا من حيث أن المهندس ساكن ! ولكنه إذا سار بسرعة النور ، لما وجد مكانا للفسحة ولا زمانا لان الفسحة والزمان من جملة مظاهر سرعة النور ، وبحث هذه السرعة يقودنا الى ناحية أخرى لا محل لبحثها هنا .

من هنا نقول ان الكون محدود ، ولكنه غير متناه . لان سرعة النور التى توجد الفسحة والزمان ، تسير في خط منحني ، وهذا الانحناء يؤلف حجما محدودا هو الكون . فمعرفة قدر المسافات (٢) ترجع لوضعية الانسان الذى يقيس ، والالات التى يستخدمها من حيث أنه وأدواته جزء من كل . وما يحدده يكون بالنسبة اليه ، لا الى الكون . لان الكون وان كان محدودا في نظر المهندس الساكن ، فهو ليس في ذاته سوى (كم) quantum للنشاط ؛ يظهر في آخر تحليل ساكنا . وهذا السكون ليس شيئا ، انما نحن في وضعيتنا الحاضرة لا نقدر أن ندرك اللاشئ . لاننا باذرا كنا اياه يصبح شيئا ! ولهذا كتبت الى العلامة آنيشتين استوضحه هذه المشكلة ، وحسب رأيي يجب أن يضاف على المعادلة التى أرتاها نسبة وضعية الانسان المفكر ، لكي لا يبقى مجال للبحث والشك ، لأن تركه الحالة

(١) اليك السرعة الحقيقية في انتشار الضوء . فهو ينتشر في الهواء ، وهو جسم ، بسرعة ٢٩٩٩٨١٨ كيلو مترا في الثانية . فاذا انتشر في خلا ، أى في فضاء خلو من الاجسام ، ازادت سرعته ٨٢ كيلو مترا في الثانية ، فيصبح ٢٩٩٩٩١٠ كيلو مترا في الثانية .
الوحدة (٢) الفسحة والمسافة شيء واحد في هذا المقال (العصور)

التي تحسب اصل كل المحسوسات بدون معادلة ، يجعل البعض من الرياضيين في حيرة .
 لانه كيف يمكن ان توجد هذه الحالة من ذاتها ؟؟ فانا لا اقر بوجود هذه الحالة
 موجوداً ذاتاً ، بل اثبتنا من حيث وضعية الانسان المحقق ، فهي موجودة لان الفكر
 موجود ، فلو اتفنى الفكر ، لانفت هي ايضا . وهذا من أصعب مشكلات النسبية .
 يوجد في علم الجبر هذه المعادلة $m = \frac{\infty}{0}$ اي ان المتر من القياس لانه لا نهاية له
 في التقسيم . ولكن لماذا لا ندرك اللانهاية ؟ لان فكرنا الذي نحدد به الاشياء
 يرجع بدوره الى مادة لها حجم ولانهاية لتقسيمها : إذن فالاصح ان نقول ان فكرنا
 الذي لانه لا نهاية لتقسيم مادته ، يعادل المتر من القياس الذي لانه لا نهاية لتقسيمه ، او ان
 مادة فكرنا مع المتر يعادلان الاشياء !

ولكن لا يجب ان نشذ في البحث عن اظهار حقيقة الفضاء : فقبل اعلان نظرية
 النسبية كان البعض من العلماء يذهبون مذهب الديوياليست Dualiste اي ان
 الكون يقوم على مبدئين أو نظامين هما - . الاجسام ، ذوات الحجم والثقل والشكل
 وبقي ما يتعلق بالمادة و - . القوة ، التي ليست قابلة للوزن ولا ثقل لها : ومن مجموع
 الاثنين يظهر النشاط ويتوزع ويشكل كافة المحسوسات ، سواء أمن جهة الحركة
 والمظهر ، أم من جهة التفاعل والامتداد والضغط والتكهرب والتغيط ، تغير الحالات
 الخ . وكل هذه تتطلب حجما ، والحجم هو الفضاء . وقد اختصر روبرت ماير ،
 هذا المذهب بقوله - ان الطبيعة تنقسم الى قسمين . ومن مجموعهما تظهر كافة
 المحسوسات . فالقسم الاول يختص بصفة ، الثقل ، التي لا تدرك ، وهذه الصفة هي
 المادة ذات الحجم . والقسم الثاني يختص بما يتقضى الصفة الاولى وهو - . القوة ،
 غير القابلة للوزن - وهذه القوة غير قابلة للفناء . فالحجم والنشاط ، شيان ابديان مختلفان
 في الاصل كل الاختلاف . والواحد منهما لا يتكاثر إلا بالاندغام في الآخر . والمادة
 لا يمكن ان تدوم البقاء إلا بكمية متعادلة مع النشاط اندغم فيها في حالة أولية .
 فهي من هذه الجهة تشبه اسفنجة تمتص من الماء بقدر كبرها ولكن لا يزيد النشاط
 حجم المادة في هذه الحالة ، لأن النشاط لا ثقل له ، والمادة ليست سوى مجموعة
 نشاط طبيعي الذي لا يوجد بدونها . فحجم الاجسام الثقيلة والنشاط الذي لا ثقل له

يبقيان كمالين مستقلين في الاصل . فقد قال (بول جانيه) في كتابه — مبادئ الكهرباثيه الذي ذهب فيه مذهب (الديواليسيت) ان العالم الذي نعيش فيه هو في الحقيقة (Realité) عالم مزدوج . من حيث انه مركب من عالين مختلفين الاول عالم (المادة) والثاني عالم (النشاط) فالتحاس والحديد والكربون تدل على المادة والاشغال الميكانيكية والحرارة تدل على النشاط . وكل من هذين العالمين له قواعد ونواميس يسير بموجبها ، فلا يمكن خلق مادة جديدة ، أو إفناء الموجود . كما أنه لا يمكن ايجاد نشاطا فوق الموجود ، أو جعل هذا الموجود يتلاشى . فالمادة يمكنها أن تتغير إلى مئات الاشكال مع النشاط ، بدون أن تصبح نشاطا ، ومن غير أن يصير النشاط مادة . ولا يمكن أن ندرك مادة مستقلة عن النشاط ، أو نشاطا مستقلا عن المادة . ومذهب « الديواليسيت » ينحصر في هذه الجملة : — إن المادة وحدها تحتوى على الحجم والثقل والشكل أما النشاط فلا حجم له ولا ثقل ولا شكل — ومن هنا يظهر هذا الفرض

١ — إن النشاط لا يمكن أن يدرك خارج المادة :

٢ — إن اندغام النشاط في الاجسام لا يدع هذه الاجسام ساكنة :

٣ — إن السكون الموضعي في الاجسام لا يزيد حجمها :

٤ — ان ظهور النشاط في تموج النور لا يزيد ولا يقلل حجم الاجسام :

٥ — ان حجم الاجسام لا يضمحل ، ومبدأ بقاء الحجم يختلف عن مبدأ عدم

اضمحلال النشاط :

ولكن فروض هذا المذهب يناقض بعضها بعضا . إذا كيف يمكن أن تكون القوة غير القابلة للفناء منتقلة الى الاجسام ومسببة لحركتها ؟ وكيف يكون اشعاع النور العديم الحجم من مظاهر النشاط الذي يوجد الدفع في أصل المادة ؟

قال هرتر ، Hertz ، في كتابه — مبادئ الميكانيكيات — أن القوة ليست سوى مظهر من مظاهر الحجم أو الحركة . لأن لاشئ يحد الحجم والحركة . انما هذا الرأي لا يعد من جملة الآراء الرياضية النهائية ، وهو يشبه رأي « مكسول » ، في الكهرباثية ، ورأي اللورد « كالفين » ، في الأثير ورأي « هلهولتز » ، في القواعد

« السيكليكية »، (١) لان الحجم والحركة مظهران ديناميان معلولان من مركز القوى التي تنفرج وتتغير بخطوط مستقيمة من مركزها . وقد اثبتت نظرية النسبية هذه الحقيقة ، حيث جمعت بين الحجم والحركة ، وأوجدت معادلة رياضية بحثة ، ظهر منها سر الكون . فالاجرام الطبيعية ذات الاحجام ينقص من أحجامها في كل ثانية ما يوازي الباقي من قسمة مربع سرعة النور على مربع سرعتها . ومن جراء هذا فان الارض تنقص في كل ثانية ما يبلغ ٦ سنتيمترات و ٤ ميلليمترات . لان سرعتها ٣٠ كيلو مترا في الثانية ومربع هذه السرعة ٩٠٠ كيلو مترا وسرعة النور ٣٠٠.٠٠٠ كيلو مترا (تقريبا) ومربع هذه السرعة ٩٠ مليارا ، فلو قسمنا مربع سرعة النور على مربع سرعة الارض ، لكان الباقي جزء من مائة مليون جزء . وفي هذه الحالة يكون مترنا قد قصره أجزاء من مليون جزء من الميليمتر فتأمل (٢) . من هذه المعادلة ، ظهر سر انحراف عطارد في دورته . فالعلماء قبل اعلان نظرية النسبية ، كانوا يجهلون كل الجهل سبب زيفان هذا السيار في دورته عن فلكه المقرر وظهر لهم ان فرق هذا الزيفان يبلغ ٤٣ جزء من الدرجة في ظرف مائة سنة . ولكن نظرية النسبية جعلتهم يعرفون سر هذا الزيفان . فعطارد سيار ذو حجم يسرع في فلكه ككل السيارات . فلو أخذوا مربع سرعة النور ، لعرفوا مبلغ قصر حجمه في كل ثانية ، وهذا القصر في الحجم يجعل المسافة تقل بينه وبين الشمس . لان الابعاد تكون بنسبة الاحجام وسرعتها كما بين . كيلر . فالكون حسب نظرية النسبية صائر الى الاندغام . وهذا الاندغام يذهب بالوقت والفسحة . لان الوقت والفسحة من مظاهر وضعية السيارات . فلو وازت سرعة السيارات سرعة النور ، لما كان من سيارات ووقت وفسحة . لان الاختلاف في السرعات هو الذي يوجد الاحجام . والاحجام مظهر الوقت والفسحة . ولما كانت القوانين الدنياية تدل على ان السيارات من الظاهرات التي تسير مع الزمان ، فن الطبيعي ان يكون الزمان سائرا بهذه السيارات الى أصلها .

ابراهيم حداد

(١) يمكن ان تدعى الزوبيعة ترجمة (العصور)

(٢) راجع لكي تفهم آينشتين « لموره » ، صفحة ٣٧ ومبادئ النسبية ونظرية

نواميس الاتقال لبكرل صفحة ٢٠ (حداد)

Ascenseur

كلمة افرنسية مشتقة من كلمة (Ascention) ومعناها صعود ، ويراد بها صعود
الآمال كن المرتفعة كالجبال مثلا

وقد اختلفت الآراء في وضع مرادف لها باللغة العربية فقبل عنها ، رافعة ، وهذه
اللفظة لا تؤدي معناها فضلا عن أن علماء الطبيعة اصطالحوا عليها في علمهم على ساق
ترتكز على محور وتعمل في أحد طرفيها قوة وفي الآخر مقاومة، لتلك القوة ومن أمثلتها
المعول والميزان والمقص — الخ —

وقيل عنها ، مصعد ، بالكسر وهذه أيضا تلبس على المطالع مع لفظة ، مصعد ،
بالفتح المستعملة في علم الطبيعة للقطب الموجب في عمود التحليل بالكهربائية
وقيل عنها ، مرقاة ، بالكسر أو الفتح وهذه تؤدي فقط معنى السلم أو الدرج
وحيث كانت هذه الألفاظ الثلاثة ، رافعة ومصعد ومارقة ، بعضها مستعمل في
علوم أخرى وبعضها لا يؤدي المعنى، فيحسن أن يطلق عليها كلمة ، مصعد ، على مثل
منطاد منعا للالتباس

والمصعد في العرف غرفة صغيرة يصعد بها وتحرك بقوة إما مائية أو كهربائية،
والثانية أكثر استعمالا

وايست فكرة الصعود بهذا الأسلوب حديثة العهد كما يظن ، بل هي قديمة معروفة
عند الشرقيين. فقد كان القدماء يستعملون مثالا لها في الآبار بوضع بكرة في الخشب يدل
منها دلو معلق بحبل يجذب، فينسحب عليها رافعا الماء في الدلو ، وينطوى الحبل على
جهاز لا يزال إلى الآن معروفا عند الأهالي ، بالدولاب ، وقد وجدت نفس الطريقة
المذكورة ولا تزال في بعض الدور القديمة بمصر والمدينة المنورة وغيرهما، حيث كانت
تستعمل في رفع الادوات من طبقة إلى أخرى أعلى منها

على أن ما ورد في بعض الكتب التاريخية الموثوق بها من حكاية الزنيل ، الذي
صعد فيه اسحق بن ابراهيم الموصلى وعبدالله المأمون بن هرون الرشيد في القرن الثاني

المهجرى بينغداد والذي كان معلقاً بأربع مقابض مربوطة بجبال تجذب إلى أعلى، لا كبر شاهد على أن فكرة المصعد قديمة وكانت متداولة في كثير من المدن الشرقية

وإذا نظرنا إلى العهد التركي، نجد مثال المصعد واضحاً تماماً في ذلك الجهاز الذي يستعملونه في القصور لرفع الطعام من المطابخ السفلية إلى الطبقات العليا. أما استعمال المصعد للعرض المستخدم له عادة الآن، فيرجع إلى سنة ١٨٦٧ م إذ فكر المهندس الفرنسي إيدو (Edouard) في استعمال ضغط الماء لرفع المصاعد، وهو أول من كانت له هذه الفكرة

ثم كان في سنة ١٨٨٠ أن عرض ويمرسيمنس (Weimer Seimens) في معرض منهم (Manheim) بالولايات المتحدة مصعداً كهربائياً قوياً بالاستحسان وجاء بعده المهندس هرتيميز Heurtemiz فرفع القوة المائبة مع القوة الكهربائية في المصاعد فصارت من ذلك الوقت على ثلاثة أنواع

١- التي تتحرك بضغط الماء

٢- التي تتحرك بالكهرباء

٣- التي تتحرك بضغط الماء والكهرباء معاً

وهناك مصعد آخر اكتشفه أميو (Amiot) ولم يعم استعماله بالرغم من بساطة تركيبه وصغر حجمه. وهو عبارة عن مقعد يصعد بتبع اعوجاج السلم ويمكن سنده إلى الدربزين عند عدم استعماله

وإذا وجهنا نظرنا إلى التاريخ، نجد فكرة رفع الأجسام بطريقة المصعد كانت شائعة مستعملة منذ عهد بعيد، ولا تزال إلى الآن تستعمل في وقت الحرب وهي فكرة تصعيد المعدات الحربية والخيول إلى الجبال العالية التي يتعذر فيها السبل السهلة وان دققنا فيها نجد أنها نفس الفكرة التي استعملها الشرقيون لرفع مياه الآبار، وقد يذكرنا التاريخ بها في زمن القائد «هانيبال» عند ماعبر بجندة ومعداتهم جبال الألب لأول مرة في التاريخ

وكيف جاء بعده « نابليون بونابرت » ، عند ما أراد غزو إيطاليا من الشمال ، فعبر نفس الجبال للمرة الثانية وصعد إليها الخيل والمدافع وذخائر القتال

نعود إلى وصف المصعد الكهربائي الشائع الآن فنقول : إنه عبارة عن غرفة صغيرة ذات باب ومقاعد ، وهي مشدودة إلى جبال من السلك متينة تلفت حول بكر في الأعلى مقام على مساند قوية من كمرات الحديد تشد بالجبال من جهة واحدة بواسطة محرك كهربائي موضوع في أسفل المكان فتسحب من البكر العلوى جاذبة الغرفة معها إلى أعلى ، ثم تاف حول بكره بجانب المحرك الكهربائي ، وفي الجهة الأخرى من الجبال ثقل من الحديد يوازن الغرفة . وهو الذي يعيدها إلى مكانها بعد صعودها ولا يستعمل المصعد في المنازل فقط ولكنه يستعمل أيضاً في مناجم الفحم وغيره لرفع المحصول إلى خارج المنجم . وكذلك في معامل السيارات ، حيث يكون على مساحة كبيرة تسع عدة سيارات لرفعها في المعمل من طبقة إلى طبقة وقد اجتمعت الثلاثة الأنواع من المصاعيد في برج إيفل بباريس حيث تستعمل المصاعيد المائية والكهربائية والمائية الكهربائية كل نوع في دور من أدوار البرج الثلاثة

يوسف أحمد

القاهرة ٣ يولييه سنة ١٩٢٩

مفتش الآثار العربية

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكتاب المعروفة كتاب

العقائد

خطرات في السياسة والتاريخ

خطاب ألقاه اللورد جون مورلي — John Morely — في صيف سنة ١٩١٢ بصفته العميد الاكبر للجامعة مانشستر بانكلترا .

اللورد جون مورلي سياسي من اقران غلادستون العظيم ومن ابطال السياسيين الذين اشتركوا في تسوية المسألة الارلندية في خلال القرن التاسع عشر . وهو فوق ذلك كاتب من اكبر الكتاب وأديب من أحصاف الادباء . مال الى درس الادب الفرنسي على الاخص ، وفاز فوزاً عظيماً في الترجمة عن حياة الانسكلونيين ورجال عصر النهضة التي سبقت الثورة الفرنسية ، فكتب في ديدرو كتاباً في جزأين ، كذلك كتاباً في روسو في جزأين ، كما ترجم عن حياة فولتير وتيرجو وكوندورسيه وفوفينارج وغيرهم . وله في أوغست كونت مقالة في أربعين صحيفة تعتبر من المراجع الهامة في فلسفة هذا الرجل العظيم . وقد عني الأستاذ محمد رفعت أستاذ الآداب بمدرسة فؤاد الاول الثانوية بترجمة خطابه هذا الذي نفتبط بان ننشره على صفحات العصور قبل ظهوره مطبوعاً عما قريب

— ١ —

الجامعات وتكوين مزاج سياسي للفكر — لجنة الدفاع الامبراطوري — الجو والخلق القومي — بعض أسباب التحول الاجتماعي — المشاهدة الدقيقة بدء التفكير — قيمة الخلق الجامعي — المثل العليا وتحقيقها — الوهم الشريف والصراع الممانوي — اساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك — مثل أمريكي — كلمات بسيطة مثار مشاكل حادة — الحرية الدينية — أشكال الحكومة

الجامعات وتكوين مزاج سياسي للفكر

حينما سنحت لي الفرصة السعيدة ان أقف بينكم منذ شهور قليلة ، عن لي ابدا

بعض ملاحظات عن الحقيقة الناصعة التي تثبت ان الديموقراطية في معرض مناقشاتنا اليومية، معناها الحكومة تعمل مباشرة بواسطة الرأى العام . كما أثبتت الاهمية القصوى التي تحدها هيئة كهذه الجامعة أن تعتبر شطرا من وظيفتها المساعدة على تكوين طبائع الفكر والمزاج التي يترتب عليها ، مقرونة بمعرفة الوقائع الصحيحة ، وسلامة الرأى . وقد عن لى الآن أن أضرب على نفس النغمة وان أقول شيئا فى السياسة والتاريخ ، وان أصيب هدفين بحجر واحد ، واستميج رحابة صدركم لأنى لا أعرف الا القليل من التاريخ . أما عن السياسة فقد يظن البعض ان معرفتى بها تفوق الحد المناسب، وان درايتى بهاليسست عن خطأ . فان هناك جذورا للشروا واضحة بعض الوضع . ومن السهل أن تفسد السياسى والمؤرخ من المعاصرين . وقد يمتد ضررها للوزير أو الناخب فى عصرنا الحاضر ، بل والى كل من يتصدى لتفسير وقائع الماضى . واحدى هذه الشروا تفكك الفكر ، ثم ضيق مدى البصيرة .

هذا فضلا عن نواحي كثيرة أخرى من الضعف . واتمم تعلمون ، أو على الأقل تسمعون ، عن اسوئها وهى الخول والتبرم والتخرج والتسويق وعدم التماسك بين الآراء ، والنفور . وقد أدرجت الأخيرة ضمن النقائص اذ ليس بمنقصة ان يكون أولى موافقنا نحو الآراء الجديدة موقف الاستعداد والقبول للاستماع ، لامناصة العدااء والكفاح الجدلى . فالعقلية السمحة لا تعوق محبة الحق . بيد أن الحياة قصيرة وهناك حدود للصبر على آراء الدجاجلة التي تثبت كالطفيليات . وبلذلى أن أذكر انكم لم تنسوا بعد الروح التي أملت هذه العبارة على سينيوزاء . وقد ذكرت لها لكم فى خطابتى الأخيرة إذ يقول : . حينما وجهت عقلى لدرس السياسة بالدقة التي كنت اعالج بها تفهم الرياضيات ، كنت أجهد نفسى كل الجهد كي لا أسخر من أعمال البشر ولا أتبرم بها ، أو اتضجر أو اغضب ، بل لافقها ، وكان يعنى بذلك النظر الى دوافع الشعور الانسانى من حب وكراهية وحسد وشفقة وحب للطموح ، لا كذائل فى الطبيعة البشرية . بل كخواص وصفات فطرية فيها لاصفة بها لصوق الحرارة والبرودة والصواعق والعواصف بالهواء والسماء .

ظواهر الزمن

ومن هذه البداية . ومن تبيان مزاج زماننا ، ندرج إلى التطبيق والمناسبات . ففى

مقدور كل ناقد مفكر، متى شاء، أن يصور بعض ظواهر هذا الزمن في صورة مروعة واضحة الحدود كل الوضوح. فلنعمن النظر فيها، فقد وصفوا القوة السياسية كقوة محصورة في أيدي جمهور هائل متنقل من المنتخبين، لاتعنى إلا القليل بشئون التاريخ والتقاليد. وقد يتساءل الرجل العادي المنهمك في كسب عيشه ما قيمة التاريخ لي؟ ما يعينني منه؟ ويحذروننا من أن الديموقراطية ستلح في وضع برنامجها بنفسها. فبكل الاعضاء والوظائف التنفيذية تتباه الآن تغييرات قديخفي علينا شطرها. بيد أنها عميقة بعيدة الأثر. ومجلسا البرلمان في دور تحول اساسي تحت نظرنا، ولم تصبح هيئة الوزارة، وهي حجر الاساس في مأمن حريز من عوادي الزمن بالنسبة لحجمها وامتيازاتها. فنظام الاحزاب، هذا النظام العظيم السليم، يقال انه ذائب متحول الى جماعات وهيئات متآلفة. وقد حول نمو مصالح خاصة كل يدعى لها نصير من الوزراء بمثلها، هيئة الوزارة الى اسم جمع لا يصلح كل الصلاحية لتركيز الجدل والمناقشة اللذين كانا مستطاعين حين كان "Pitt" ستة وزراء ثم اصبحوا سبعة. ولبيل Lord Peel اثني عشرة ولفلادستون Gladstone اربعة عشرة. في حين ان عددهم الآن يقرب من العشرين.

لجنة الدفاع الامبراطوري

وقد ضمت الآن هيئة من الاختصاصيين الخبراء لهيئة مختارة من الوزراء لوضع قرارات ونتائج في شئون الدفاع الحربي والانفاق على الشئون العسكرية. وهذه النتائج ولو انها اسما للاستشارة والاستشارة لا غير، الا انها بطبيعة الحال لها من الاهمية والاعتبار ما يؤثر حتما في حكم هيئة الوزارة على الامور ومسئوليتها. وفوق ذلك فجلوس زعيم الحزب المعارض في هذه اللجنة الهامة، اشارة ظاهرة الى انتقال الروح الحزبية في اعتبار الشئون الحربية والخارجية (لان كلا من هذين الشأين متوقف ضرورة على الآخر) وسحب هذين من ميدان الخلاف والصراع الحزبي.

وليس ذلك اول مثال في تاريخنا لتحول هائل بطيء صامت في نظام امبراطوريتنا غير مدون في وثيقة او مصوغ في شكل تفنين منظم. فمن المعروف عند الجميع خطه السير وليم تيمبل W. Tumpell المشهورة في زمن شارل الثاني (ولو انه لم يفهم احد مداها تماما)

وقد يرى بعض النقاد ذوى البصيرة ، شبه رجوع لمشروع تمبل ، فيما يعتبرونه تحولا بطيئاً فى تشكيل هيئة مجلس الوزارة ، بحيث أصبحت كمجلس شيوخ أعلى الامبراطورية مع قيد واحد ، وهو الارتكاز دائماً على أغلبية مجلس النواب . وهذا شرط حيوى بعيد كل البعد عن تصور عصر تمبل ، وعقليته . وهناك عنصر هام يجب أن لا يفوتنا ولو فى لمحة عجلي كهذه فدهـ يلاتنا المستقلة وراء البحار Dominions بدأت تطالب مبدئياً بحقها فى الاشتراك فى إدارة دفة شئون الامبراطورية . فى حين أن الحركة الأخيرة ، وليدة هذه الرغبة (وهى تعديل الاشتراك فى النفقات البحرية) لم تسفر عن نتيجة حاسمة

الجو والخلق القومى

وأهم من التعديل فى الآلة الحكومية ، دلائل التغير فى الجو القومى . وقد تكون هذه الدلائل سطحية مؤقتة - وهناك ما يحملنا على الاعتقاد بصحة ذلك - فانه ما من شئ أبعد على التأكىد فى استعراض أحوال العالم الحديث من ظاهرة إن الخلق القومى أبداً الأشياء تغيراً وتحولاً فى أسسه وقواعده . بيد أن البحث قد كشف لنا عن تزعزع الايمان فى اعتبار القانون كقانون ، والانحراف عن المنشآت القديمة المتوارثة كشئآت حتى أن المحامين الأقوياء الحجة قد يستعملون لغة تم عن اعتبارهم القوانين كمنسج من غزل العنكبوت .

والاتفاقات المقررة بين الهيئات الصناعية ليس لها أحياناً من القيمة أكثر مما لحبال الرمل . وليس هذا التحول بقاصر على انجلترا وحدها . وينبثنا المفكرون من الأمر يكيين عن مثل هذا التيار حتى فى بلادهم ولو ذكرنا مثلاً أن قيام العدالة ونفاذ القانون على الجميع عماد كل الحكومات المتعدية ، فمن الداعى إلى العجب أن نسمع رسالة الأمريكيين بمن تقلدوا وظائف تضطلع باسمى المسؤوليات ، ينددون بحرارة بتنفيذ قانون العقوبات كسبة لبلادهم ، ويعترفون ان نظام تعيين القضاة مدى الحياة عندنا ، خير من نظام القضاة المعينين فى بلادهم ، أو من جهة أخرى يطلبون حق الاستئناف لاستثناء شعبى ، ضد قرارات محاكم الدولة فى المسائل الدستورية ، وإقالة القضاة الذين أصدروها . وفى كلتا الحالتين ، فإن ما آل ذلك انهيار أسس النظام القضائى . ولئن

كان أضعاف الثقة في برلماننا شيء مخيف ، فإن القضاء على الثقة في محاكنا أمر لنا ان نكون منه اكثر خوفاً واشد خشية . وليس من الصواب ان نقول ان الحس بالاهتمام بالسياسة والتطلع الى شئوننا وواجباتها ، قد ضعف وتضاءل !!!

إن الواقع يكذب ذلك . فالشعور بالتكاليف السياسية ، إذا كان معياره عدد المشتركين في عمليات الانتخاب العام ، قد أصبح أشد قوة بدلاً من أن يؤول إلى الضعف . والاحساس بالواجب الاجتماعي (وهذا احساس مغاير تماماً للشعور بالتكليف السياسي) قد نما نماء كبيراً ، من حيث القوة والمدى . وقد يعرف الجميع أن « سايس » أحد رجال الثورة الفرنسية ، نشر قبل انفجار الصاعقة على فرنسا سنة ١٧٨٩ رسالة من أقوى ما كتب عنوانها « ما هي الدولة الثالثة ؟ هي كل شيء ! ماذا كان شأنها في عالم السياسة حتى الآن ؟ لا شيء ! ماذا تطلب ؟ تطلب أن تكون شيئاً . ويحذرنا الآن ناقد بصير ، أن وراء الدولة الثالثة دولة رابعة وخامسة قد نهضت ، ويجب أن يعمل لها حساباً . فالمرأة التي لم تكن شيئاً وتطالب الآن بكل شيء ، سيكون لها بعض الشأن في الغد » (١)

بعض أسباب التحول الاجتماعي

وسيتساءل القادرون على التفكير الجدي الصحيح ما هي الصلة الدقيقة (إن كان هناك صلة) بين التغيرات المحيرة للأفكار التي تجري الآن أمام أعيننا ومثيلاتنا الخمس ، في نظام حياتنا القومية وأفكارنا خلال نصف القرن الماضي ؟ — وهذه التغيرات هي — أولاً :

نقل السلطة السياسية الغالبة من أيدي إرستوقراطية وراثية مؤسسة على التملك العقاري ومن الطبقات المتوسطة إلى كافة أفراد الأمة جمعاء . وثانياً : انتشار نظام التعليم الإجباري في طول البلاد وعرضها . وثالثاً : زوال دعاوى رجال الكهنوت بعد أن حلت محلها مرونة غريبة تغلغل الآن في كافة أوضاع العقائد الكهنوتية ورموزها ومعاييرها . ورابعاً : اعتلاء العلم والروح العلمية في أيماننا هذه على الأقل ، على عروش الأدب والفن . خامساً وأخيراً : اتساع أفق تصورنا للدولة اتساعاً عظيماً . ويلحف الجميع في

طلب استخدام الدولة كل السلطات والواجبات التي في يدها . وإحدى نتائج هذا التقدم الأخير مرتبطة بالتحول في نظام مجلس الوزارة الذي أشرت إليه ، إذ يؤول إلى اتساع الأعمال المصلحية التي يشرف عليها الوزير . وذلك مما يجعل مهمة المداولة العامة في مختلف الشئون أشق أداء أو مستحيلة التحقيق

المشاهدة الدقيقة بدء التفكير

ومن السهل أن تصور أن توافق الظروف الممتعة للمشاهد ، المحيرة للفكر ، المثيرة للعادي من الناس والثامها وتلاصقها بهذه السكيفية البارزة ، لا محالة آيل إلى تكوين عناصر تحدث أزمت ومازق يصعب الخروج منها . إلا أن الخبرة الواسعة التي جنيها من تاريخنا القومي ، قد دلتنا على أن أسلم الأشياء مغبة ، وأكثرها سدادا وهدي ، فيما يتعلق بكل الجماعات التي تتكلم بالانجليزية ، أن لا تسارع إلى تصديق عبارة « جون بانيان » - « إن الهوى سيتغلب على كل شيء في زماننا » .

فلنضرع إلى الله أن يهبنا الخلاص من الغلو ، وأن يهبنا روح التوازن المصحوب بالحدز التي هي من أهم الصفات الفاضلة بين الحصيف والسخيف . ويحمل بكل من له يد في بناء المستقبل أن ينقش على مخيلته كلمات أول عالم استخدم الطرق العلمية للحكم على الشئون الاجتماعية إذ يقول « مالتوس Malthus » عن نفسه « أن السكان يس في حالة من المزاج الفكري بحيث يجد الطرق التي تبتر لتخسين حال المجتمع في المستقبل خيالية خضة » بيد أنه ليس له من قوة التسلط على فكره ما يمكنه من الاعتقاد في كل ما يميل إليه دون مشاهدة وتحقيق ، أو تمتع عن تصديق ما قد يبدو جافا بغضا ، إذا اقترن البرهان والدليل على صحته . وهذا هو المزاج الفكري الذي نأمل نموه وانتشاره في أواسط جامعاتنا .

قيمة الخلق الجامعي

إن مناقشتنا الحالية للأسباب والنتائج في المسائل الاجتماعية يهيئ لنا مادة شيقة طريفة للزراع الحزبي والتراشق بمصطلح التسفيه الجدلى . وليس ذلك في موضوعنا ولا هو مجرد لنا ، أو جدير يبحث ناقد حصيف في أيامنا هذه يبحث عن التقدم في قوة اجتماعية حديثة في الكم إن لم تكن في الكيف . وهي ما يسمى التحالف الحديث بين العلم البحث والصناعة (١) .

والآن لا يمكننا أن نكهن عن مدى هذه القوة الجديدة. فإن كل ما تكتسبه من عزم ومضاء، يجب أن يكون مركزه هذه الهيئات التعليمية العظيمة أى «الجامعات» ويجب أن تكون هذه أعضاؤها الرئيسية، وأن روحها الكامنة، وقوتها الروحية، هما اللتان يقوداننا. وعليهما نستند في سيرنا إلى الأمام، فضلاً عما تقدم لنا من حكمة وإرشاد. وقد اعتبر جهازة المؤرخين، الجامعات، إحدى المؤسسات الرئيسية في القرون الوسطى. كالحكمة بواسطة المحلفين والمجالس النيابية. وكان ذلك دون تردد. فتأثير الجامعات والمدارس العامة التي تغذيها في نظام معاهدنا الأخرى، وسيرها، بين هائل. فقد كانت عوامل رئيسية في تكوين السياستين، المدنية، الدينية، وقد كانت أحياناً عوامل للظلام. كما كانت مبعثاً للنور. وكانت أحياناً كذلك، وفي ظروف عدة. مرآة التغرض الجامد الوثيق. والأوضاع التقليدية الصيانية، وذبول النظم الاجتماعية البالية. عن أن تكون المنائر الوضاعة تشع النور فيما حولها. وتضيء هذه الشعلة المقدسة: ألا وهى حب الحقائق الجديدة التي لا تنبت البتة إلا في فضول الشباب. وليس من المحتمل أن تفتقر جامعاتنا الحديثة لقوة لها مثل هذا المدى الهائل والأثر العميق. ولو أن أوضاعها في تحول سريع وقد قيل صدقا. «إن العالم الممتاز هو الذى يحكم العالم دائماً» — وهذا القول أكثر صدقا وصواباً مما يرى الناس، حتى في بلاد كبلادنا قل فيها كثيراً نفوذ الأساليب الارستوقراطية. في حين أن امتيازات العالم الممتاز في الطبقة الاجتماعية. يجب أن تخضع من الآن للعوامل التي تكون المزاج العالمى. وقوة الحكم ومدى الاهتمام بالشئون العامة في سرا كز العلم والتعليم بجامعتكم. فإن بث تعاليمها ونزعاتها بما يكسب الجدل في الشئون العامة لونه وطابعه الخاص. وسوف يقلل من عدد هؤلاء الذين يدعون أن لهم آراء، وهم في الحقيقة خلو منها. ومهمة الجامعات، فضلاً عن تلقين علوم الخاصة، أنها معقل العقل والادراك وحصنهما الحصين. وأن أعداء العقل الالءاء، رغم الأسلحة الجديدة والرموز المستحدثة والوجود المستعارة، لهم على ما كانوا عليه في كل زمان ومكان.

وسوف أوفر عليكم تلاوة سجل نقائص الانسان بما اسبغت الكلام فيه آففاً، ومن الأطراف الأمتع أن نحول وجهنا الشطر الآخر، لناحية قوة الانسان (لا صوب

ضعفه) نحو الانصاف والصراحة، والهمة والمثابرة والاحسان والنزاهة، في خدمة الأغراض العامة، والاقدام دون سبق الوهم أو الافتراض، وكل الصفات النادرة التي ينقشها الاصدقاء الاوفياء على لوحات قبور اصدقائهم. وأن مدى هذه الصفات لواسع وحافز للهمم.

ومن الحقائق المفيدة التي يجب أن يبحث الشعب على ادراكها، خصوصاً في ظل الحكومات الشعبية، أن الزمن وتحول الجو السياسي، يعملان دائماً على الصاق معان ومدلولات مختلفة لنفس الآراء والالفاظ القديمة. وقد ألفنا أن تتقدم إلى المعامع الكلامية ونشتبك في الحروب الجدلية، كما لو كانت الاعلام والشارات التي تقا تل في ظلها. والالفاظ العنيفة التي تتراشق بها، كل هذه رموز ومدلولات على القضايا القديمة. وليس ذلك إلا مظهر واحد لوجوه هذا الزمن المتغيرة. وقد اسلفت الكلام عن ضيق مرامي الفكر ومطارح العقل، وأن بصيرتنا لتضيق حقاً لو اغفلت التأثير الذي للظروف الخارجية في شئوننا — من خريطة أوروبا الجديدة — إلى التغير في توازن القوى المقاتلة ومحاكم العدل الدولية في لاهاي، والتعاريف الجركية وقناة بناما وكل التيارات الغربية التي يسابق بعضها بعضاً بسرعة هائلة وسط العوالم المتغلبة — عوالم لانسان الابيض والاسود والاصفر والاسمر.

المثل العليا وتحقيها

يسلم أكثر الناس تعصبا لمبادئهم، أن من أصعب الصعاب الوصول إلى الحقيقة. ألا أننا نتساءل هل هناك ما هو ادعى لاثارة الغضب أكثر من الرأي السديد؟ فقد يكون فيه خراب الصحيفة اليومية، كما أنه هو الذي يكتب حدة المناقشة. وقد يقضى على فرصة التربع في كرسى الوزارة. وان لم يكن صاحبه حاذقاً فقد يبعث في نفوس المنتخبين السآمة والضرر. وسبب ذلك في غاية البساطة. فالرأي السديد لا يفيد إلا القليل أو لا يفيد مطلقاً في انهاء الاعمال. وقد قال الحكيم « هاليفا كس » Halifax « من لا يترك شيئاً للصادقات لن تزل قدمه إلا في مواطن قليلة. بيد أنه لن يأتي من جديد إلا بالنذر القليل،

وكما قال سليمان « من يفكر في الرياح لن يبذر، ومن يتطلع إلى الغيوم لن يحصد، وقد يكون الاعتدال أحياناً لفظاً مطلقاً للتردد، وليس من صفات القاضي المزاج

لحزبي . ويحسن بكل انسان أن يرى أن لمعظم المسائل وجهين ؛ ولو أنه من دواعي
الاسف في هذا العالم العملي أن لاتأكد يوماً ما هو جانب الصواب ، ونظل حيارى
مترددين ونحن مفتقرون إلى الرجال ذوى البطولة وشجاعة الرأي ، الذين لاتغلب
عندهم آلاف الحقائق إذا تعارضت مع فكرة واحدة راسخة .

والامم سعيدة مادامت الفكرة السائدة تستند على ثلاث حقائق أو أربع ،
لها من القيمة والوزن أكثر من آلاف هذه الحقائق متجمعة . ويرى بعض النقاد
أولى البصيرة أن التاريخ حافل بالثورات البركانية تقذف اللهب والحجم ، ولاترك ظاهراً
إلا الطمي المتجمدة .

وإني ، مع الاسف . لعلى دراية تامة بالاسلوب العقلي في الفلسفة . هذا الاسلوب
المعوج القائم على الغلو ، والذي لايدع للتصور والتخيل سيلاً . الاسلوب الذي
يتشكك في كل عاطفة ويزدري بكل التقاليد ، ويقوض أسس الماضي ، بل وكل ماهو
قائم على عقيدة الجماعات ، والثقة في حاضرنا . في حين أن الغلو في التبرم والتضجر
ازاء الحركات الفكرية التي قد تسفر مع الزمن عن نعم وبركات ، كمياه النيل المنحسبة ،
لهو السخف كل السخف . فسوف تهبط مياه هذا الفيضان ، وسوف يبقى لنا محصول
يستحق الاعتبار ، جني للجنازين

أنوهم الشريف والصراع المنايخي «المانوي»

إن النفوس المتهبة بالحماس لها مساوى . مشتركة في عصر طموح وتطلع الى السمو . وانا
لأعرف كل مساوئهم . فهاسرعهم الى الابتداء حيث يجب الاختتام . وتحت تأثير وخزات
التفكير في مساوىء العالم وشروعه ، يغمرهم تيار التبرم الشريف الى الرغبة في رفع
هذه الشرور وتقليلها وتخفيف وطأتها .

وقيل أن تبجر بهم سفينة الآمال ، يؤكدون لك أنهم قد رأوا انجما جديدا يسبح
في سماء افكارهم ، وانهم قد وصلوا حقا الى بر السلامة — الى أرض الميعاد — ففكرة أو نظرية
يفترض صحتها بادية ذى بدء . وتختمر مستقلة عن كل تجربة وعن كل شواهد وأدلة ،
يسبل عليها بلا روية جلباب التقديس الذي لا يكسو الا المبادئ المقطوع بصحتها .
فالآمال الشريفة والحماسة الفياضة تحل محل البحث العقلي ، وتمحيص الآراء ، فتراهم
يسارعون الى استغلال كل حقيقة وظرف يرونه في مصلحتهم ، ويتعاملون عن كل اعتبار

آخر. فتعصبهم للاوهام رائد هم ، وهم ميالون الى الغلو، وميزان الاعتدال عندهم فاسد. محتل . ولو كان معنا بعض ساسة الاحزاب للاحتظوا انى في هذا المكان مضطر الى الاسهاب فى الكلام عن النزاهة السياسية لدرجة التحمس والهوى . ولن يلوموننى فى القول بان بعض مساوىء الطرق السياسية مثل التى اشرت اليها — كاحلال الوهم الشريف محل الاستنتاج الهادىء — لفاشية بين المتحمسين من المحافظين تفشيها بين جماعة الخياليين من الاحرار . ولن يختلف معى أحدهما . كانت عقيدته الحزبية فى القول بان من الحاجات الماسة فى عصرنا هذا السعى الحثيث فى تنظيم الرأى السياسى وتنسيقه و ايجاد صلة أوثق وامتن بين المثل العليا والحقيقة

وليس فى هذه الاعتبارات ما يدعو أوى الأمل والأقدام إلى أن ينقلبوا ضعيفى الفكر ضعيفى الايمان ، قليلى التحمس . فالثورة الفرنسية لم تحقق الاغراض التى كانت ترمى اليها ، وهذا أيضاً شأن حركة الاصلاح الدينى . أما المسيحية فمن أشهر الأقوال المأثورة فى القرن الثامن عشر « إن المسيحية جربت وفشلت تجربتها ، وبقي أن نجرب ديانة المسيح ، ولم تبل جدة هذا القول للآن .

وما زال الكفاح الماينخى ، — المانوى — (١) بين الخير والشر . والخير والآخر . يتجدد فى أشكال وأوضاع شتى . فثلث الأحياء يدينون بالمسيحية — منهم ٢٤ مليوناً من أتباع كنيسة روما و ١٥٠ من البروتستانت و ١٠٠ من أتباع الكنيسة اليونانية و بينا اليهود أقل الأديان عدداً (نحواً من عشرة ملايين) فلهم من النفوذ الهائل فى سياسة أوروبا ما لا يتناسب البتة وعددهم .

على أن علاقة المعتقدات بوجوه جديدة من المثل الاجتماعية العليا لتنفذ إلى كبريات المسائل . ويمكننا أن نشكر فى هذا البحث الطريف وهو : ما نسبة الآراء التى بها يعيش الناس وهى عمادهم فى الحياة ، مع ما يقبلون أن يكون موضع التسامح والمناقشة إذا خلوا إلى عقولهم ؟ وكم هى تلك الآراء التى هى موضع التقديس عندهم . بحيث يتعصبون لها كل التعصب وتسمو لديهم فوق كل بحث ؟

وهناك بشائر تبعث على الأمل فى أن المزاج الفكرى ، الذى له من الاستعداد

(١) الماينخية أو المانوية ديانة « مانى » وأساسها الفكرة الثنائية الفارسية القديمة فى أن هناك قوى الخير ومثلها الشر — أى عبادة الخير والشر وعبادة الشمس كمصدر القوى والخير

ما يحدوه إلى تجربة كل شيء ، والتمسك بنواصي ما ثبت على التجربة والامتحان ،
سوف يسود .

أساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك

ولن يضيرنا أن نهضم هذه الفكرة السديدة للفيلسوف جون لوك : « إذا أنعم أى
إنسان النظر فى الاخطاء والترهات وضروب الارتباك الفاشية فى العالم بسبب سوء
استعمال الألفاظ ، فسيجد بعض السبب يدعو إلى التشكك : هل اللغة كما استعمالها
الإنسان للآن قد أدت إلى تحسين المعارف بين البشر أكثر مما عاقت تقدمها ؟
وإذا كانت هذه الفكرة بما يدعو إلى التشاؤم فى كل زمان ، فكم تبحث فينا من
القلق والجزع فى زماننا هذا . حيث علينا أن نواجه شتى المسائل ؟ وكم يترتب على
سوء استعمال المصطلحات والمدلولات السياسية من الاخطاء والارتباك ، وما يتبعها
من الآراء التى ما هذه المصطلحات إلا رموز لها .

وماذا يكون شأن المحامى فى محاكم العدالة إذا ترفع فى قضاياها بألفاظ وأدلة مفككة
لا ارتباط بينها ، وتجاهل السوابق التى تنطبق على قضيتها ، وأهمل تسلسل الفروض
والنتائج ، وسارع إلى المساواة بين المراجع قويمها وضعيفها — مما يجده خير الناس
بيننا كافياً كل الكفاية فى ميدان السياسة ؟

وهل هناك ميدان آخر غير السياسة تجتمع فيه الأصنام التى أشار إليها « يكون » Bacon
فى وثام وأنتلاف — أصنام (١) المسرح والطائفة والسوق والكهف ؟ ومنذ خمس
وعشرين قرناً ندد أحد كبار المؤرخين الاغريق بجهل البشر وأهمهم الحقيقة فى كلمات
خالدة — قال تيوسيديد :

« إن الناس لا يميزون — فهم يقلدون بعضهم بعضاً دون تجربة . وحتى فى
المسائل اليومية التى لم تضعف من ذكرها الأيام ، نرى اليونانيين أسرع ما يكونون
جميعاً إلى الزلل . فما أقل ما يجهد الناس أنفسهم سعياً وراء الحقيقة ، وما أكثر ما
يسارعون إلى قبول أول شيء يصادفهم »

(١) هذه الاصنام هى رموز أخرجتها مفكرة بيبكون (وهو من أحد الأذهان التى برزت بين البشر)
فضم المسرح رمز على الوهم الخلاب لدى يتسلل إلى العقل مكان الحقيقة ، وضم الطائفة هو التعصب إلى
الجنس أو الطائفة أو القبيلة أو الفئدة . وضم السوق هو الاوهام الفاشية بين السواد من أفكار ومطامح خلافة
يبهرك ظاهرها بيد أن حقيقتها لا تخرج عن الخيالات . وضم الكهف هو أوهام المعتزلين النساك الزاهدين
فى العالم تجاهلا لطبيعة الإنسان والبشرية وضعفها ونقائصها يرمون إلى الكمال المخفى

وقد أوردت صحيفة امريكية مثلاً يوضح تمام الوضوح هذه الملاحظات . فيقول الكاتب إن عدد المسائل التي هي لزام على الشعب الامريكي أن يكون له رأى مستنير فيها ، مما يحير الالاب . خذ إحداها ومن أكثرها تشعباً — كيف نعالج مسألة الاحتكارات (Trusts) ؟ كيف السبيل إلى تفهيم السواد بالضبط ما هي النتائج القانونية والمالية لقرار المحكمة القاضي بحل شركات احتكار الدخان ؟ إذ يرون كبار رجال القانون في خلاف يتناول أساس المسألة

ويسمعون السياسيين يشددون التكثير على معارضتهم . ولا يمكن أى انسان ان يدعى جدياً ان مشا كل إيقاف شركات الاحتكار عند حد ، وتنظيم طرق احتكارها ، مما فى مقدور ما يقال عليه . حكمة الشعب ، التغلب عليه . اذ كل ما فى استطاعة الشعب تكوين آراء جلية راسخة رسوخ العقائد عن المبادئ الاساسية التي يرتكز عليها الموضوع كله . ويمكن تكوين رأى عام صحيح سديد حول المسائل الاساسية . وهى هل يجب علينا ان نحافظ فى التجارة والصناعة على مبدأ المنافسة الحقة . أو هل يجب أن تقوم الدولة بوظيفة الادماج والاحتكار والاشراف عليها ؟ ومتى حلت هذه النقط الهامة الأولية ، فسوف تهتدى القوى التشريعية والتنفيذية ، والمحاكم الى الحل السوى . وهذا مثال من امريكا ولن يكون من الصعب أن نجد له مثيلاً فى بلادنا . . .

كلمات بسيطة منار مشاكل حادة

ان الآراء والالفاظ التي تبدو ابسط ما يكون تنقلب فى آخر الامر أكثر الامور تشعباً ولو رأيت أى انسان فى شك من أمره فمثله تجربة هذه الالفاظ — الحرية والاخاء والمساواة .

وانه ليكون من حسن الحظ حقاً اذا لم يقف به الأمر عن تبين ان هذه المصطلحات جوفاً . لا من التعقيد فى الفكرة لا غير ، بل من جهة المعنى والتطبيق . فانه ولا شك يراها متناقضة الدلائل . وقد قال لنا خير الثقة إن للحرية مائتا تعريف . وقد قال لنكولن ، — Lincoln — اثناء الحرب الامريكية : « لم يتأت للعالم حتى الآن تعريف صالح للفظه » الحرية . بيد ان الشعب الامريكي الآن بحاجة الى هذا التعريف

القويم . وكلنا ينشد الحرية و ينادى بها . إننا في استخدام اللفظ الواحد لانرمى الى معنى واحد وشئ واحد ، وانا لنفترض ان لفظة « الحرية » قد تنصرف الى فعل كل انسان ما يشتهى فيما بينه وبين نفسه وتناج عمله . وقد تؤول عند البعض الآخر بانهم أحرار في التصرف مع الغير وفي ثمار أعمال هؤلاء كما يشاؤون . . ولن ننسى سريعا قول « كافور » Cavour التاريخي « الكنيسة الحرة في الدولة الحرة » .

فهل هناك أسهل من هذه العبارة وانفذها الى الفكر وأجل رينا منها واطرب صدى في اذن السياسى ؟

غير ان هذه العبارة بعينها كثيرأما كانت مبدأ لارتفاع أصوات متنافرة ومنافرات من الجدل المستحكم المطرد المتواصل ، وفتاحة رنات من النزاع حادة غير متآلفة: والحادثة التاريخية التى تم بها انشاء مملكة إيطاليا وروما عاصمة لها ، لأجل شأننا واعظم خطرا ، من ان تحصر فى نطاق قاعدة سياسية واحدة . وليس من السفه أن نصفها بأنها أهم حقيقة ظهرت فى تاريخ أوروبا مدة قرنين أى منذ صلح « وستفاليا » ولهذين الحادتين الجليلين (أى تشييد مملكة إيطاليا و صلح وستفاليا) وجه واحد ذى أهمية كبرى . فكلاهما خاتمة تغير هام وتحول لا يمحى فى حياة الدول والكنائس على حد سوى . وقد أثر كلاهما فى نظام العلاقات بين السلطين ، السياسية والروحية ، بحيث غيرا من أسسهما ، وجددا من أنظمتها ، فكانت خاتمة نظام القرون الوسطى . فى حين أنه مازالت ثمة حلقات ثقيلة باقية من السلاسل المحطمة تحيط كالنير بريقة الحكام المحررين .

الحرية الدينية

وان أقرب العبارات لنا وأكثرها حيوية فى مناقشات هذا الزمن ، لهى الحرية الدينية . فهى مسألة مضطربة الاوار فى فرنسا وإيطاليا و فى ايرلندا وإيقوسيا ، وحتى فى انكلترا لم تحب نارها تماما حتى تنقلب رمادا فى جوف التاريخ . ومع كثرة تداول هذا اللفظ بيننا ، فانه يشمل معانى مختلفة تمام الاختلاف فى مبناها ومدلولها . وقد اهتدى « ليون الثالث عشر » الى اثنين منها فى حرية الضمير ، احدها حرية الفرد فى اتباع أوامر الله ، والآخر حرية تحديد الا ، شادات الالهية حسب تصوره وادراكه وهداه واختياره .

واحيانا تدل الحرية الدينية على الحرية غير المقيدة في التعبير عن الآراء والمناداة بها في المسائل الكهنوتية واسسها، كحقائق مسطورة. وتفسيراتها للمعتقدات الراسخة وتآلفها واتساقها او تناقضها وعدم توافقها تماما مع المعايير والاقيسة المسلم بها في دائرة العلوم الانبائية والنقد الجريء، اللذين يتسع نطاقهما كل يوم. وحيانا تدل على ادعاء هيئة لاهوتية حق فرض قواعد الزواج والتعليم والاجتماع لاهياء الشعائر الدينية، وغير ذلك مما يختار رؤساء الكهنوت فرضه على المخلصين والمتطوعين من الاعضاء والاتباع دون اعتبار النزعات الاجتماعية المتغلغلة في الانسان، او مقتضيات الدولة. وهل ينتهك مبدء الحرية السياسية حين يمنع البوليس موكبا من الكاثوليك من المرور في شوارع وستمنستر، ؟ او حين يطرد جمعا من الرهبان او الراهبات من الفرنسييس ؟ او حينما تقرر محكمة انكليزية (كما حصل منذ سنوات قلائل) الغاء وقف على جمعية تعتنق آراء مخالفة للمسيحية ؟ وما رأيك في القوانين الشديدة والقرارات الصارمة التي لا يحيد عنها، والتي اتخذت في العالمين، القديم والجديد، مدى قرن ونصف ضد جماعة الجزويت المهيبة. وقد كان الاغريق وبعض الشعوب الأخرى. في القرنين السابع والثامن، مغرمين في كفاحهم ضد السلطة العليا المتحكمة، بالالتجاء الى المصطلحات الدينية، مما توحى به الضغائن السياسية والطائفية. ولم تقلع بعض الجماعات ذات المدينة الراقية، التي لا تبعد عنا اكثر من الاستانة، عن اساءة استعمال هذه المدلولات. غير انه يمكننا القول، عن انصاف وبعد عن كل غلو وزهو، أننا في نظامنا الحكومي على الاقل، قد وصلنا في جيل واحد الى تغلغل قانون التسامح في أنظمتنا وسريانه في قوانيننا ومحاكمنا لا غير، بل اشربت به عاداتنا، ومألوفنا، وسبل تفكيرنا العادية. ولم يكن ذلك التحول ثمرة عدم المبالاة والتشكك وانتفاء العقيدة، بل هو أحد حركات التطور العميق الصامت، التي تجعل التاريخ احتملا غير مملول

اشكال الحكومة

وفي الميدان الشاسع للمسائل المتصلة باشكل الحكومة، تتوارد اكثر المصطلحات شيوعا في اضطراب واهام. وقد كتب السرجورج لويس، وزير المالية سنة ١٨٥٧ ومن اعلم الرجال الذين اسندت اليهم هذه الوظيفة، رسالة صغيرة فيما اسماه استخدام المدلولات السياسية وسوء استعمالها. والحق يقال انه لم يشع علينا من

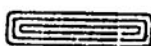
نور الهداية اكثر مما اوصلنا اليه حوار اشرف فارس السبع قبل المسيح بخمسة قرون. (هيرودوت — الكتاب الثالث) وما في هذا الحوار درس يبدأ بأسئلة عن التقسيم الدقيق لاشكال الجمهورية والملكية ، حيث يكون لاغلبية الذكور تأثير قانونى مباشر فى تكوين الهيئة السائدة فى الامة . هناك الديمقراطية . فان لم يكن لهذه الاغلبية نفوذ قانونى مباشر ، فهناك الارستقراطية . وهل الديمقراطية هي النظام الذى بمقتضاه تحكم الاكثرية ، او كما افترض ارسطو هي النظام الذى فيه يحكم الفقراء ؟ او هل يكفينا ان نوجز ونختصر ونحمل الديمقراطية على انها نظام يفتح امام اولى المواهب السبل ويهيئ لهم طرق الحياة وغير ذلك من مقترحات التعاريف العامة والمصطلحات المفككة التى لا روابط بينها . بل هي غير قابلة للتطبيق ، فضلا عن أنها حلقات السلاسل تقيد الناس فى طرق من التفكير لا تستند الى المعقول ، كما لو كانت نصف شروق العالم لا تحدث من تلك المخادعة التى لا سبيل الى شفائها منها ، وهى اتخاذ لفظة والاصطلاح عليها بدلا من شئ محدودا وفكرة معينة . وقد انتشر لفظ (سوسيو كراسى) اى حكم الجماعة منذ زمن لويس . يبدان هذا الخليط المركب من اللفظ الذى يستدل به احيانا على التوافق المشكوك فيه ما بين اتساع نطاق الديمقراطية وبين البلوتوقراطية (حكم الاكثرية) لم يتأقلم فى بيئاتنا الفكرية بعد .

وقد وصفوا الجمعية الحاكمة عندنا بانها أم المجالس النيابية . وهذا التشبيه مما يثير فىنا الفخار القومى الحق . بيد ان الفوارق فى السلطة ومنع هذه السلطة بين الاصل والفروع ، تحجب جميع أوجه الشبه . نخذ مجلس العموم مثلا . فهناك من كتاب الطراز الاول من يتكلم على مداولاته وقراراته وميول اعضائه وامتيازات سلطنة خلال الحرب مع مستعمراتنا الامريكىة أو ضد نابليون : كما لو كان هذا المجلس مدة هذين الحادثين التاريخيين الجليلين ، هو نفس مجلس العموم الذى يحكمنا الآن — أى انه منتخب باصوات الشعب . والحقيقة ان اعضائه كانوا مرشحي عدد من الاشراف ذوى الامتيازات السياسية لا يزيدون على اصابع اليد عدداً .

(يتبع)

الغراب والبستاني

(عن الجزء الأول من ديوان وحى العام ، للدكتور أبى شادى الذى ستشره قريباً
دار العصور ، ، والترجمة الانجليزية من نظم الأديب النابغة الاستاذ محمد افندى عبد الله مصطفى



(١)

إني لا أذكر فناناً سررتُ به	نعيمه كُلهُ في حظ بستانى
يهوى الجمال ويوفيه عبادته	وإن تنوع في شكل وألوان
ما كان يؤثر منه مظهراً ابداً	بل كان يعشق رُوحه السانى
كلُّ المظاهر كانت عنده شرعاً	وحبه هو صنو النور روحانى
لكنا فتدته زهرة بسمت	كما هى جمعُ الحسن فى آن
فصار يُعنى بها من عهد نشأتها	وزاد عمراً لها من برِّه الحانى
وخصها بأغانيه ومُهَجِّته	فى اليسر والعسر ، فى صفو وأشجان
وغاب عنها ولماً عاد فى شغف	وكله خشيّة من بُعدِه الجانى
قال الغراب له : « لا تخش سقطتها	فقد خدمتك عرفاناً لا إحسان
انظرُ إليها ، تجدها لم نزل مأكلاً	فى عالم الزهر ، قد خصت بتيجان
فراح يشكر هذا الودّ مغتبطاً	وأمّ زهرته فى شوق جدّ لأن
فلم يجد عند رؤياها سوى شبح	قد شوّهته جنایات لغير بان !

(۲)

THE CROW AND THE GARDENER.

An Allegory

An artist I ver'ly remember,
Whose lot was that of a blest gard'ner.

With love of Beauty him did the Muse
Instil and enchant with her forms and hues.

This shape or that design should she take,
His love, light-begot, never did shake.

Once charmed was he by a blooming bud,
Which he with tender care did fain tend,

Until a flower did she become
And smile and shine in fragrance wholesome.

Of her radiant grace he sang and thought
In times of joy, grief, plenty and naught;

Yet was a doomed by absence to part
From the adored concern of his heart,

And when he with yearning did return,
His exalted symbol to discern,

A crow, to him obliged for favours,
Him on the way did meet with murmurs

And unto him did say earnestly : —
„Thy flower have I treated kindly,

Thou wilt anon behold her a queen
Crowned in a hole of lustrous sheen. ”

Deluded by the crow's sham saying,
To the flower goeth hastening

The Gardener, her to find defiled
By the mischiefs of crows fierce and wild.

رد مفتوح

إلى اسماعيل مظهر محرر مجلة العصور
 الند كالد والنظير مثيل والسؤال يجوز من أى كان وإلى أى كان ، وحرية الفكر
 لا تحتقر الأديان ، وآداب الصحافة لا توافق على مثل ذلك
 قد تلتفتكم بنشر كتابي المفتوح (المرسل اليكم) في عدد ٢١ من مجلتكم وبردكم
 القيم عليه مطولا في عدد ٢٢ منها بعد أن كنت سائلا جعلتموني مناظرا وخطبتموني
 خطاب الند للد فشكرا جزيل لكم
 ولقد أساءني وآلمني كما يسوء كل مسيحي وكل مسلم أيضا ما احتوت مقالة
 الاتحاد والتي نشرت في عدد ١٩ من (مجلتكم) من الطعن والتحقيق في الكتب
 المقدسة لذلك انتقدت ذلك التحقيق وليس إني تعديت أو عارضت حرية الفكر كما
 نسبتم إلى

١ - سبب السؤال

وحيث أن شعار المجلة المصدرة به هو « انتقادية » في الأدب والعلم والسياسة
 فقط ، لا في الدين ، أرسلت كتابي المفتوح اليكم لأنكم حدثم عن ذلك الشعار . وكان
 المنتظر من حضرتكم كسلم يعتبر هذه الكتب أن لا تنشروا مقالة كهذه لما تحويه
 من مطاعن الملحد في الكتب المنزلة منه تعالى وبأفواه أنبيائه الكرام . بل أن
 تراعوا شعور مئات الملايين الذين يعتقدون صحتها من يهود ونصارى
 ومسلمين

وقلت إن حق الانتقاد بحسب عنوان المجلة « انتقادية » هو لما يعرض عليها من
 المؤلفات أو تهدي إليها وليس لنشر مطاعن رئيس جمية نشر الاتحاد في الكتب الدينية
 . وإلا فلنزد المجلة على شعارها بعد « الأدب والعلم والسياسة كلمة » والدين ، أيضا
 وقد اتضح من ردكم على كتابي بأنكم مسلمون بالله ويحمده تعالى على ذلك
 . ومن كان مسلما لا ينتظر منه أن يجذب الاتحاد بحرية فكره وينشر مقالات ضد الدين

وشرائعه الآلهية. وإذا فعل مثل ذلك يكون جامع الضدين الدين والاحاد معا. كما يجتمع النور والظلمة والحق والباطل، وهذا لو أمكن يعد مقدرة عظيمة لفاعله

٢ - خطأ حداد عندكم

إذا راجعتم كتابي المفتوح اليكم بتأن تجدون أنني لم أخطئ بقولي فيه كما تصورتم. فقلت ومن يطالع المقالة ولا يجد تعليقا عليها منكم ولا بكلمة تعارض فحواها يظن حالا بأنكم على رأى كاتبها ومن دعاة الحاد. فهل أتم على مبدأ هذا الملحد ومن دعاة الاحاد حتي نشرتموها بدون تعليق أو انكم بنشرها حسب القول. وناقل الكفر ليس بكافر، فتلطفوا بالافادة على صفحات مجلتكم الغراء بكلمة صريحة. وهذه الخطيئة الكبرى التي صدرت مني فعظمتوها وحسبتم أنها من روح التعصب القديمة ظهرت على يد القس حداد والحمد لله. وقلت: يظن بأنكم وليس إنى أو كد أنكم الخ. الا يظن هكذا كل من يقرأها غيرى؟ وعلى فرض اننى غلطت بقولي يظن وان الحق لا يظن هكذا. فكان يكفي أنكم تجاوزوني بجلسكم بنعم أو لا. أو بأن هذا الظن ليس بمحل وأنا حر فأنشر ما أريد ولا حرج على. وليس لك يا حداد أن تسألنى هكذا. وحينئذ أعرف أنه لا يعنينى واعتذر لكم إن كان السؤال إساءة اليكم

وكيف نسمع أو نقرأ كلام الطعن والهزء بالكتب المقدسة والتحقيق بصعود السيد المسيح بقول ملحد ينشر فى مجلة راقية وهو جسد يختفي فى الجو: لو: ٢٤: ٥٠. أسأل أحد الفلكيين أو لدبرج اين مقرة (ويا لها من وقاحة) ولا تغارو نتقد نشر ذلك الهزء. وإن كان على لسان ملحد غير محرر المجلة الذى نشره. ومن البديهي أن من أنكر صعود المسيح إلى السماء فقد أنكر ضمنا صعود غيره من الانبياء مثل أخوخ وإيليه ومعراج النبي ص بالتبعية أيضا

وما يصدق من التكذيب على صعود المسيح يصدق على صعود غيره. ولا واحد من المسلمين يسلم بذلك أو لا يغارو ويغتاز إذا سمع أو قرأ مثل ذلك الطعن. ولا ملامة على إذا قرأت تلك المقالة فى ١٠ صفحات من المجلة وكلها مطاعن. وسألتكم ذلك السؤال الذى أغاظكم، طالبا جوابكم صريحا بحرية الفكر والضمير.

حيث يظن كما تقدم أنه لولا موافقتكم عليها لما نشرتموها وفيها ما فيها من التحقير ولو كنتم غير موافقين لعلقم عليها رأيكم بمعارضتها . أو تمنعتم عن نشرها . لكنكم حنقتم من السؤال وأجبتكم بحدة كما ظهر منه التهكم والاستخفاف على القس حداد ولم تترفقوا به

والدين الاسلامي منذ ظهور صاحب الشريعة الاسلامية قام لازالة الكفر والالحاد وعبادة الاصنام (١) . ولارجاع الناس الى عبادة الله والايمان به . ولم يزل لا يسمح بشيء من مثل ذلك الالحاد ويندد به . والا لما صار مسلمون يؤمنون بالله والقرآن الكريم والتوراة والانجيل بل بقى الناس فى الجاهلية والوثنية والكفر ومعلوم ان كل المؤمنين بالله يقاتلون الالحاد ولا يوافقون مبدأه ويدافعون عن الدين . ولا يحسب ذلك تعدياً منهم ولا نعصباً كما نسبتم الى

ولو انى كنت البادى بالافتراء على الملحدى وعلى ناشري الحادهم لصح ان ينسب الى التعصب ولكنى كنت سائلاً ودافعاً هجوم اعداء الدين . والالحاد هو ضد الدين الاسلامي كما هو ضد الدين المسيحى . والسؤال ايها المحترم يجوز تقديمه من أى كان والى أى كان . وحرية الفكر لا تمنع حرية السائل أيضاً لأن السائل له حق حرية الفكر . وهكذا لم تتكروا بان تجيبوا على السؤال بنعم أو لا بصراحة

— ٣ — الهدم المقصود

من المؤكد ان الكتب المقدسة هى كاساس للقرآن الكريم الذى اقتبس منها ويشهد لها لانها أنزلت قبله . واذا انتقض الاساس أو تخلص فلا يثبت البناء فوقه . وهكذا فاذا نقضت هذه الكتب بحملة كهذه من دعاة الملحدى أو من نشر الحادهم لا يثبت القرآن دونها بل ينقض بحملة أخرى عليه من أولئك أو ضمناً وبالتبعية دون حملة عليه لانه كالكتب المقدسة . وكل مسلم نظيركم يوافقنى على ذلك ولا يرضى بأقل اساءة لهذه الكتب المنزلة جميعها اذا كان مخلصاً لدينه

ولا يوافق أن يكون الانسان مسلماً مومناً بالله فى داخله وبما أنزل من الله ويحسن الالحاد ويطنب فى مدحه وهو ضد دينه وشعبه . ولا ان يكون مستريح

الضمير في داخله بالاحاد ويتظاهر بالدين فيكون جباناً . ومراثياً بل الافضل له ان يكون
ظاهرة كباطنه علانية وجهاراً و بلا خوف ولا خجل

— ٤ — التشكى من حداد

قد طالعت ردكم فوجدت كثيراً منه تظلاً مني وتشكياً على
كمنذب إساء اليكم بذنوب عظيم لانكم توجهون كلامكم لغيري وتشيرون
إلى بالغية (أى كغائب) وكان يلزم على فرض اننى أخطأت اليكم بذلك السؤال
إن تظهروا خطي ولا تعاملوني بما تفضلتم به من التهمك والهزم مثل : وماذا يعمل
القس حداد . وماذا يعنى القس حداد ، إلى غير ذلك . وتخطبون غيري كظلوليين
منى ولمن وجهتم كلامكم بذلك ؟ فكناى المفتوح اليكم والجواب على سؤالى يكون
منكم إلى . وان كان السؤال ثقيلاً كما حسبتوه لكن لى عذراً بأن أغار على الكتب
المقدسة التى أجلبها وأؤمن بصدقها لسبب ما احتوت تلك المقالة الطاعنة من التنكيت
التحقير والاستهزاء فيها وفى السيد المسيح أيضاً .

٥ — حرية الانتقاد

ان كنتم خولتم أنفسكم حرية الانتقاد ونشرت انتقاد ملحد مخالفين شعار المجلة
حسب حرية فكركم . فكذلك يحق لغيركم أن ينتقد تلك المقالة ونشرها ويسأل لماذا
نشرت ما لا ينشره مؤمن بالله وبالكتب المقدسة المازلة منه . ولم تناقضوها كمسلمين
أو تؤيدوها بالموافقة على صحتها بمجاهرة وصراحة .

لكن السؤال كان هكذا صعباً على مسمعكم فاغتنظتم وكتبتم ما كتبتم فى
ردكم من الاستخفاف والهزم بالنقاد بل بالسائل . وكأنه يصعب كثيراً على الناقد
المستقل أن ينتقد من الغير . فلذلك يحق ويتكلم ويكتب متوجعاً من الانتقاد
عليه . ويحكم لنفسه كمن له ارادة سنية لا تعارض وهو مقدس غير مسؤول .

إنما قد مضى عصر الاستبداد فى جميع الشعوب الراقية وغيرها وصار فى خبر
كان . ونحن حمد الله قد صرنا فى عصر الحرية الراقى . وحقاً كما يقال : إن
الحقيقة تجرح . .

وهكذا قد ظهر بردكم على كتابي المفتوح انكم تدعون العصمة فيما نشرتم أولا وفيما رددتكم بعد سؤالي مستندين على حرية الفكر كمن لا يغلط ولو كانت المقالة ضد الدين المسيحي والاسلامى أيضا الذى أتم من اتباعه . ولكن جل من لا يغلط وحده والتشبث بالغلط غلط أكبر . . ومن قال لا أغلط فى أمر جرى فانه أول غلطة ترى . .

٦ - الاحتكار

وقد اتضح من ردكم انكم احتكرتم الانتقاد بحسب حرية الفكر لكم فقط ولا حصه ولو قليلة منه لغيركم . فتنقدون وتكتبون كما تشاءون . وكأن الإنسانية قد أعطتكم ذلك الحق وحدكم . واذا انتقد أحد فالويل له فقد ذفونه بسهام الاستهزاء . والتهكم . وتخيفونه بالتهويل والتطويل . وتحكمون عليه وهو برىء بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان إلا لكم . وليس هذا من شعائر الرقى والتقدم الصحيح الذى تشوقون اليه فى كتاباتكم وتأليفاتكم القيمة وترجماتكم المنيرة للعقول البشرية .

وتعلمون أن الحرية لا تجرح احساسات الآخرين بدون داع . وحرية الفكر لها حدود لا تتخطاها . واذا تخطتها لا تبقى حرية بل تكون استبدادا وظلما وتعديا على حقوق الغير وعلى حريتهم . ولا تجيز لصاحبها المسلم الحر أن يوافق ملحدين يبذلون الوسع لابطال كتب سماوية محترمة ومقبولة عنده وعند الشعوب اليهودية والمسيحية والاسلامية ومعمول بها فى مئات القرون . أى كل منهم يحترم ما يخصه من تلك الكتب . والفضيلة هى بين رذيلتين الافراط والتفريط واذا تعدى على حقوق الغير بالظعن والتحقيق بالقول أو بالعمل لا تبقى فضيلة (بل رذيلة)

٧ - الاعتداد بالنفس

تقولون فى ردكم : ها نحن عرضنا لنقد هذه الكتب فإذا يريد القس حدادا ان يفعل ؟ وماذا فى استطاعته ان يفعل ؟ ولكن القس حداد هو المتكلم لا كـردينا لا من كرادلة محاكم التفتيش ولا رجلا من رجال مجمع الفهرست . . . لقد نشرنا هذا المقال من غير ان نعلق عليه ويمكننا ان نعيد نشره مرة اخرى من غير ان نعلق عليه ايضا بل وفى استطاعتنا ان نترجم كل كتب جمعية نشر الاتحاد الامريكى ونوزعها باسمنا

وتحت عين القس حداد ومن هم على شاكلته . ومن هم على اكثر من شاكلته . ويفعل
القس حداد بعد ذلك ما يشاء . . . اليس هذا إقراراً على انه توجد غاية وقصد عندكم
بما نشرتم ؟

برافو !!! وهذه رجولة ومقدرة عجيبة ويا لها من براهين مقنعة وباهرة . وكم هو
محبوب اسم القس حداد لديكم حتي تذكروه كثيراً وحققاً من احب شيئاً اكثر من
ذكره . فاشكركم كثيراً على ذلك

والجواب المقدر من سؤالاتكم هذه : ماذا يفعل حداد ليفعل ما يشاء الخ . . في
جمل تكررت في ردكم مراراً انه لا يفعل شيئاً . لانه عاجز وضعيف لا يستطيع الرد
على هذه الحجج القاطعة او يتقاوم حاكماً بامرته يفعل ما يشاء ويريد . وكأنه بقوله
يعان حرباً هي حرب القوى مع الضعيف . نعم حداد لا يفعل شيئاً ولا سلطة له او قوة
ليفعل . وهذا حق واسلم به لاني لست باستعدادكم للمناظرة والردود . ولكن آداب
الصحافة تفعل ومكارم الاخلاق لا تجيز التحقير والعلم الصحيح لا يكون موصلًا
الهزء والمذمات

وكذا فالقس حداد لا يعلن حرباً عليكم ولا يستطيع ذلك ومهما نسبتم اليه او
افكرتم عنه او تهكمتم لا يغتاز منكم . بل يعلن الصلح معكم والصدقة ولا سيما بعد
ان ترفكم هكذا كما انتم واطلع على مقدرتكم والاخلاق الراقية فيكم دونه

— ٨ — التعصب

انا مسيحي اغار للدين وادافع عنه كما يجب على وعليكم كسلم ولا اعاب على بذلك .
وارفض نظرية الالحاد وما شاكلها بحرية ضميري وافكاري . . ولا حياء في الدين .
دعوا تموني متعصباً وهذا كل ما قدرتم ان تقولوا . فلا بأس لان التعصب ليس بجريمة
اقترفها . انما يوجد فرق عظيم بين التعصب للدين من اتباعه وبين التعصب للالحاد
من المسلم المؤمن بالله نظيركم والذي يحمده الله لانه مسلم . فانا أتعصب لنفسي في ديني
وانتم تتعصبون أكثر للملحدين في الحادهم بعد ما نشرتم لهم تلك المقالة التي اعجبكم كثيراً
« وتردون النقد » . « وماذا يعمل حداد »

واذا كنت بالفرض متعصباً للكتب المقدسة والدين فانتى لا ارفض حرية

الفكر مطلقاً كما تظنون بي، بل احبذها مثلكم اذا لم يكن اكثر . ولا اوافق قطعياً على
مسك حرية احد واغتصابه في امور الدين الذي علاقه بين الانسان وبين الله فقط .
ولا اجبر ملحداً بدين لاني اعلم ان لا احد يطالب بغيره امام الله الديان العادل بل
كل يطالب بنفسه في يوم الدين الرهيب والموقف المخيف الذي لا ينفع فيه الحاد
ولا كافر ولا حرية فكر ولا مال ولا بنون ولا جاه ولا رتب ولا صحافة ولا محاماة
الخ . ولا اكراه في الدين .

— ٩ — التعارف بيننا

حيث قد نسبتم الى ما انا براء منه وتوهمتم بما ليس في فاعلمكم من انا
انا القسا سكندر حداد (كذا) بنعمة الله (كما امضيت كتابي المفتوح) من افراد
الكنيسة الانجيلية القسوسية سوري المولد فلسطيني التبعة حالياً ولست من رؤساء الكشلكة
ولا قاضياً من قضاء محاكم التفتيش كما قلتم تهكموا ولا من اصحاب الحكم عليكم مع علمكم بانه
لا محاكم كهذه الآن ولا انا من قضاتها ولا اتم بروتسنت لتحاكموا منها ولا خوف عليكم
من ذلك أبداً . ومع ذلك ترددون مثالا من أحكامها على سبيل الاستهزاء في ردكم
وبالحق لو كان توجد محاكم وقضاء له حكم عليكم لما نشرتم في مجلتكم احتقار المسيح
وبطلان الكتب المقدسة مطلقاً . وايرادكم ذلك المثال هو هزم بالسائل وبواثلك .
ولا دخل لمحاكم التفتيش وأحكامها الآن بيننا . ولا يخطر على البال اني اطلب
محاكمكم أو تظنون بذلك . وكنا في سؤال وجواب لا أكثر . ولم نزل في ذلك
السؤال بدون جواب صريح منكم . ولا يكفي التهويل ولا يفيد الفرار من الجواب
ولست مطرانا ولا كردينا لا من رؤساء الكشلكة الذين اشترتم اليهم في ردكم
وتصرحون بأنني لست منهم وتحمدون الله على ذلك ولكسكم تخاطبوني بصاحب
نيافة تهكموا هزأ فأشكر لكم لطفكم على هذا اللقب الوهمي الذي أوليتموني إياه من
فضلكم وأنا لا أستحقه ولا أريده قط ولا أقول ياليتني أكون هكذا . فقبول
« وكل ما يأتيك من المحبوب محبوب »

ولست أيضاً من الذين اشترتم اليهم استخفافاً بهم بقبولهم سخافات وبيهم غفرانات
وتمسكهم بخرافات وتعاليم باطلة قد أدخلها رؤساء الأديان المختلفة لما آرب شخصية

ومنافع مادية ولتعزيز رياسة وسيادة . بل أقول بيطلائها ولا أسلم إلا بأقوال الله
حسب الوحي الالهى لانياته الملمهين ورسله المكرمين

حضرتكم

أنتم حضرة اسمعيل بك مظهر من أهالي مصر الكاتب الاجتماعي الفذ والمؤلف
البارع الشهير . والمترجم كتب داروين في النشوء والارتقاء وأصل الأنواع المشهود
له بطول الباع وسعة العلم والمعارف . والعصرى الحر الفكر المتساهل حتى مع الملحدين
بمبدئهم كما أوضحتم في النشر والرد . إلا من يعارض بشئ مثل القس حداد فتغتاطون
منه وترشقونه كأنه استحق الرجم لأنه تجرأ على سؤالكم

أنتم مسلم يحمد الله على أنه مسلم ولكنه يمدح الالحاد ويحجذه وينشر مقالاته
السمجة ويحامي عنه كأفدر محام . وبذلك يكون متعصباً أكثر منى ولكن للالحاد
كما ينسب إلى التعصب للدين

وأمر مستغرب كيف يكون الانسان مسلماً حقاً ويحمد الله لأنه كذلك ويعجبه
الالحاد . ويساعد على نشر مقالاته وفي هجماته على كتب مقدسة . وإذا اعترض أحد
الدينين يقوم عليه بحدة شديدة واستخفاف

— ٩ — سعادة الملحد

قلتم في ردكم « فما قول القس حداد في أن الملحد الذي يلحد عن إيمان وعقيدة
ينال من هدوء النفس ما ينال المؤمن المسلم بكل شئ . تسليم إيمان ... فلماذا لا يكون
الالحاد بدوره ديناً ككل الأديان ولماذا يستحق الملحدون احتقار القس حداد
وأمثاله . وقد يجوز أن يكونوا أكثر اطمئناناً وسعادة بالحادهم من القس حداد بإيمانه .
وهذا استنتاج عظيم . ومتى احتقر القس حداد الملحدين أمامكم . ومن افترى
أولاً . وما هو إيمان الملحد وبماذا يؤمن بغير ما يشاهد عياناً ؟ وهذا ليس بإيمان ولا
عقيدة . ولا يكون الالحاد ديناً وهو عدم الدين وهكذا فلا تنكر أنه يجوز أن يكون
الملحدون في اطمئنان وسعادة بالحادهم أكثر منا كما تفضلتم . وكذا فالحيوانات
باطمئنان كلي أيضاً والمجانين أيضاً . وغير خفى على حضر تكم أن الخمر والحشيش والخدرات
تزيل شاربها لذة وكيفاً وسعادة أيضاً ولكن كله وقى وفي بعض الساعات دون غيرها

وفي حياتهم الحاضرة فقط. وهينئاً لهؤلاء الملحدون بهذه السعادة التي يعقبها الموت والعذاب. وتكون التعاسة أفضل لهم منها حين يقفون أمام الديان العادل الذي كفروا به للحاسبة. وهذا رأينا بحسب اعتقادنا ولا نلزم أحداً به. . . وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد، سورة إبراهيم. وفي الدين وحده راحة الفكر وطمأنينة النفس وسلام القلب دائماً في الدنيا والآخرة

— ١٠ — ثبات الكتب المقدسة

قد أعجبتكم مقالة الألحاد، الكتب المقدسة في الميزان فنشرتموها في عدد ١٩٥ : مارس سنة ٢٩ من المجلة وقلتم في ردكم، لخصنا فيه آراء شارلس سميث رئيس جمعية نشر الألحاد في أميركا. وماذا يعني القس حداد أن يكون للمجلة جولة في أبحاث حرة تتناول الدين في أطرافها أو أن تكون مجلة ملحدة لا تؤمن بشيء. . . أقول ظننتم أن تحصل فوائد جمة للقراء منها. ولذلك لخصتموها فجاءت منشورة بعد تلخيصها في عشر صفحات بقطع المجلة الكبير وبحرف صغير في تلك الجولة وكلها طعن. وكيف لوجالت المجلة جولات عدة. لكن المقالة بتوقيع بندلي اليلوني مترجمها من سانبولو. وليس بتلخيص محرر مجلة العصور الغراء.

ولم يعرف كم صفحة كانت المقالة لو نشرت بدون تلخيص. ولا بد كانت المنافع منها أكثر لخدمة الإنسانية وفائدة القراء من النشء العصري. وياويل الأديان وأصحابها إذ ذاك. ولكنكم ترفقتم وخفقتم الوطأة عليهم بهذا التلخيص إذ قلت الاضرار بنوع ما في هذه الكتب المقدسة التي اعترض عليها كثيراً منذ انزالها إلى الآن ولم يزل يعترض عليها أيضاً من ملحدون وطبيعيين وغيرهم. ولكن لم يحصل لها أقل ترزع بل هي ثابتة كالصخر المتين ومقبولة ومنتشرة في كل لغات العالم الكثيرة وفي جميع ممالك الأرض. وتوزع النسخ منها بالملايين سنوياً.

وقد امتدى بها ألوف الملايين من البشر واستداروا وتجددوا ورجعوا عن الشرور والرذائل إلى حياة التقوى والفضيلة والصلاح والاخلاق الفضلى وتطوروا من ذئاب خاطفة إلى حملان وديعة. ولم يعمل الألحاد وأصحابه أقل شيء من الفوائد الحسنة في كل أطواره وفي جمعياته منذ القديم ولحد الآن

— ١١ — رجال الدين

رجال الدين هم الذين حفظوا الكتب العلمية في الاجيال الماضية وحافظوا على العلوم والفنون . والفلاسفة الذين أخذت الفلسفة عنهم من اليونان وغيرها ما كانوا ملحدين وبلادين ومعبودات الامن ندر منهم

ولولا الأديان الالهية لما انتشرت العلوم في البلدان العديدة قبلا ولافتحت المدارس وتشيدت المعاهد والكليات والجامعات والملاجئ الخ. ولما ارتقى الغرب من الهمجية . ولا تخلص الشرق من نير الوثنية الثقيل ولبقى الجميع في الجهل والغباء والدين هو الذى فعل فرقى المجتمعات البشرية ولم يزل يفعل . وتعلمون كيف كانت حالة العرب وأفريقيا قبل انتشار الدين الاسلامى . وكيف كانت همجية الغرب قبل اعتناق شعوبه الدين المسيحى . الدين هو سبب الحضارة الحقة والثقافة العظمى والتقدم الصحيح . ولكن جزاءه من الملحدون والعلماء العصريين الذين تخرجوا من كلياته وجامعاته نكران الجميل . ورحم الله من قال بعد تعليمه

وكم علمته نظم القوافى : فلما قال قافية هجائى

وفى جواب أحد الأسئلة قلت : فهاهو دخل الدين فى النظام الاجتماعى . ولستى تؤيد هذا القول بالمشاهدة ندعو القس حدادا أن يذهب الى جزائر تاهيتى أو جزائر أرض النار أو مجاهل استراليا ليرى بعينى رأسه أقواما لا دين لهم على وجه التقريب ومع كل هذا فان لهم من القوانين (العادات) ما يقوم عليه نظامهم الاجتماعى ،

أقول ان هؤلاء لا يحسبون ملحدون ولا يفهمون ما هو الاتحاد . وليسوا بلادين بالكلية . والانسان بالفطرة دينى حتى ان البرابرة لهم دين بحسب معرفتهم ولو ذهب مبشر الى أولئك الناس وبشرهم بالدين الا لى لقبولهم بكل سهولة . وعرفوا الخالق علة وجودهم وآمنوا به . ولكن إذا ذهب دعاة الاتحاد الى آكلة لحوم البشر فى بعض الجزائر وبشروهم بالحادهم فماذا ينتج من ذلك ؟ أيصير تمدن ورقى واصلاح فى أخلاقهم وعوائدهم الرديئة الوحشية كما ينتج من الدين . أو إذا أرسلتم اليهم تلك المقالة التى يقصد بها أبطال الكتب المقدسة فماذا تكون النتيجة من تلك البشارة وأية سعادة يحصلون عليها من ذلك ؟

الختام

ان كنتم كرتتم اسمي بردكم على القس حدادوهو واحد لا أكثر . وتذكرونه
تارة كمخاطب موجهين الكلام اليه وتارة كغائب هزم آبه وتخابطون القراء متظلمين
منى وتشكوني اليهم فارين من المجاوبة على سؤالي الذي أغاظكم . وتارة كصاحب نياقة
للتهمك فهذا كله لا يغيظني لأنه لا يحسب قوة برهان ولا عظيم حجة للاقناع . بل وان
ازددتم أكثر لا أغتاظ . وأحيل الحكم بيننا إلى قراء المجلة الكرام وإلى علماء
الاسلام الأفاضل الذين أتم واحد منهم وإلى الرأي العام ليحكموا بعد اطلاعهم
على كتابي المفتوح اليكم وردكم عليه وعلى ردي هذا وعلى ما ترون كما تشاؤون
أيضاً

وبعد ذلك فلينظروا في أنه هل يحق لمسلم يؤمن بالله وبما أنزل منه أن ينشر مقالة
ملحدين على رؤوس الملائكة في مجلته الراقية التي شعارها « انتقادية في الأدب والعلم
والسياسة » فقط ليقراها المشتركون في المجلة وغيرهم من كل طائفة ؟ . وهل تلك المقالة
أدبية أو علمية أو سياسية ؟ . وهل حرية فكر الصحافي الراقى تجيز له أن يوصل طعن
الملحدين في الكتب المقدسة لاصحابها وهو مسلم ؟ . وهل أن آداب الصحافة الحرة
ومكارم الاخلاق توافق على نشر تحقير في الكتب السماوية وفي صعود المسيح الذي
يؤمن به جميع المسلمين أنه من روح الله وتأيد بالروح القدس وبأنه وجيه في الدنيا
والآخرة . ويشهد القرآن الشريف بذلك ويثبت صعوده بقول الله له « اني متوفيك
ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا (بك)
الى يوم القيامة » . سورة آل عمران وكذا القول « وسلام على يوم ولدت ويوم أموت
ويوم أبعث حيا » سورة مريم

ومنذ ألف وتسعمائة سنة يعيد مئات الملايين من جميع الطوائف المسيحية لهذا الصعود
سنويا ولا يظن بأن مسلما يرضى بهذا التحقير المار ذكره ويتكذب الكتب المقدسة
التي هي نور وهدى للعالمين

وختاماً أطلب اليكم بحق حرية النشر وحرية الفكر أن تنشروا ردي هذا في مجلة

العصور الغراء كما هو بحروفه تماماً ولو كان طويلاً (١) لأنه آخر رد مني واكتفى ولا أزيد
ولوردتكم مهادرتكم . وانتظر من لطفكم وشهامتكم أن تفعلوا ولكم مزيد الفضل
والشكر سلفاً والسلام

القس
اسكندر حداد

بيت جالا فلسطين في ٣ تموز سنة ٩٢

العصور — نشرنا المقال السابق عملاً بحرية النشر ونترك للقراء الحكم عليه بعد
أن يرجعوا إلى سؤال القس حداد وردنا عليه . ولا يفوتنا أن ننبه القراء أننا ما
نشرنا المقال على علته بل أصلحنا فيه أكثر من مائة غلطة لغوية ونحوية وعجزنا عن
اصلاح الاسلوب . وكذلك نسأل القس حداد سؤال واحد . فهو يقول في أول المقال أن حرية
الفكر لا تحتقر الأديان — ونحن نسأله : وهل تحتقر الأديان حرية الفكر ؟

١٠ ومن الممكن نشره في غير مجلة «العصور»

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مَعْضَا الْمَلِكِ الْخَيْرِ

ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

النقد والتأليف

١ - مرجريت أوغادة الكميلا

للقلم عن الفرنسية الدكتور احمد زكى ونشرتها لجنة التأليف
والترجمة والنشر مطبوعة في مطبعة الاعتماد طبعة ثانية - ١٩٢٩ -
في ٢٧٨ صفحة من القطع الكبير ومصدرة بلمقدمة من قلم الدكتور
منصور فهمي

تنظر في الصفحة الأولى فتبهجك الذكرى الى حوادث قرأتها وأنت صغير إن
كنت بلغت الاربعين مثلى . أما اذا كنت لاتزال قتي في مقتبل العمر، فتوقع انك
سوف تقرأ شيئاً يلذك أن تقرأه . لان رواية تطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر،
بعد ان يقرها أعضاء اللجنة وهم من تعرف من الاساتذة والادباء ، لابد من أن
يكون فيها من المتعة الادبية ما يرضيك .

غير انك لا تقلب هذه الصفحة وتمر عينك على « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم
كلمة « المقدمة » الا وتقع على هذا السطر الطويل المكتوب بحروف الرقعة
الضخام واليك هو :

« بقلم الفيلسوف الكاتب الدكتور منصور فهمي ،

فلا تلبث أن تقول في نفسك « سبحان واهب الالقاب ، !!! أو « سبحان فرضي
العالم ، .

وقديماً قرأت مقالا للمرحوم المنفلوطي تحت عنوان « خداع العناوين » محصله
أن للعناوين خداعا وان لها أثراً نفسياً شديداً . ولقد أنحى المرحوم المنفلوطي على
من يتخذون خداع العناوين ذريعة لرواج البضاعة . وفكرت طويلا في هذا السطر
ثم في ذلك العنوان ثم قلت « خداع العناوين » في الماضي انقلب في هذا الزمان فصار
« خداع الالقاب » . ثم قلت ان هذا على كل حال لا يليق بلجنة التأليف والترجمة
والنشر ، ولعلها سقطت ليس للجنة فيها من يد . فقد جرت العادة في هذه الايام أن

يرسل صاحب الكتاب الى الصحيفة او المجلة كتابه مصحوباً بتقريظ ينشر من غير أن يراه محرر المجلة أو رئيس تحرير الجريدة : وربما تكون العدوى قد سرت الى المقدمات . فترسل المقدمة مع اسم صاحبها وألقابه ، ويصبح نزع لقب من الالقب جريمة لا تغتفر .

ثم تنتقل الى الرواية ذاتها فتقع على اسلوب من السهل الممتنع قد ملئ به جمالا وزاده انتقاء الالفاظ روعة ، فكان في أول الرواية كما هو في آخرها صورة صحيحة لمقدرة الكاتب وتضلعه من اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها . فاذا أضفت الى هذا الامانة في النقل والمحافظة على المعاني الاصلية التي ارادها دumas ، وعرفت فوق ذلك ان الكاتب كثيراً ما ضحي باللفظ في سبيل المعنى ، وذلك قليل في الرواية لحسن الحظ ، كما أنه دليل ساطع على مقدرة المترجم ، لم يكن لديك بعد هذا ما تقول في نقد هذه الترجمة الفذة التي جاءت ، كما قال حافظ ابراهيم ، كالحسناء وخيالها في المرأة . اما إذا أردت على ضحة مذهبي في اسلوب الرواية وترجمتها من دليل فاقرأ القطعة الآتية ! وهي من كلام مرجريت لدوفال

— انه الحق . انا معاشر المخلوقات الموكلات الى الاقدار ، لنا من الالهواء اعاجيب ومن الحب صنوف لا يتصورها انسان . طوراً نهب أنفسنا لأمر وتارة بهبها لغيره . ومن الناس من يفلس نفسه ولا ينال منا قليل شيء . ومن الناس من ينالنا أجمع بياقة زهر . قلوبنا بها أهواء هي وحدها معاذيرها . وقسمنا لقد وهبتك نفسى أسرع مما وهبتها لأحد غيرك . ولم ؟ لانك وجدتني أبصق الدم فأخذت يدي لانك بكيتني ، لانك المخلوق الوحيد الذى رحمنى . لا بأس عليك من السخافة التي سأذكر . كان لى في زمانى جرو كان يلحظني لحظ الحزين عند ما أسعل فهذا من الخلق أجمع من أخال أنى أحببته . ولما مات بكيت فوق ما بكيت أمى . لست انكر انه عاش معى اثنتى عشرة سنة من حياته . والآن قد أحببتك سريعاً قدر ما أحببت كلبي هذا — ألا لو عرف الناس ما وراء دمة تسيل ، لكانوا أسرع فى الدخول الى قلوبنا مما هم . وكنا أبطأ فى إخراجهم مما نحن ،

واستطردت مرجريت

— وبعد فقد كنت الوحيد الذى حسبه يستطيع فهم آرائى وأقوالى سريعاً
 اذا أنا فكرت صريحاً أو تكلمت بلا كلفة . على حين أن من يلتفون حول فتاة
 مثلى لا يفوتهم ان يمعنوا فى كل كلمة تفوه بها ويستنتجوا عقد الامور من أنفه
 أقوالها . نحن بالطبع ليس لنا أصدقاء ، بل أحباب انانيون ينفقون اموالهم علينا
 كما يدعون ، ولكن على اهوائهم . وهم لا يرضيهم منا الا ان نظهر بابتهاج إن
 كانوا مبتهجين ، او بالصحة والشبهة ان كان العشاء معنا ، والا نظهر بالشك
 مثلهم فى كل قضية وحقيقة من حقائق الكون وقضاياها . ونحن غير مأذون لنا
 فى أن يكون لنا عاطفة او بقية من قلب . ومن اذن لنفسه منا بشئ من
 ذلك فسرعان ما تضع الثقة فيه ويطارد بالصياح خلفه والنباح . لم نعد
 بعد ملكا لانفسنا . لسنا من الاحياء ، ولكننا من الاشياء . اذا تولى الناس
 حب ذواتهم وملكتهم سورة شهواتهم ، وضعونا فى المكان الاسمى والذروة العليا ،
 حتى إذا جاءت ساعة التوقير والاحترام . فلنا المكان الاسفل والمرتبة الدنيا . الخ .
 ولعلى أكون قد اخترت على هواى أيها القارىء . فارجع إلى الاصل لترضى
 نزعتك بما يلائم هواك ، وأنا الكفيل بأنك سوف تقع على بغيتك . وان بلغت
 بك غرائب النزعات مبالغها القصوى .

٢ - سفر التكوين

بحث نظرى فلسفى تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر ؟
 الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته . تأليف
 الاستاذ جبر ضومط ب . ع . م . ع . بالجامعة الامير كانية فى
 بيروت . أخرجه مطابع قوزما فى ٦٤ صفحة من القطع
 الكبير . والعناية ظاهرة فيه من كل ناحية .

يحاول الاستاذ الكبير جبر ضومط أن يثبت بهذا الكتيب ، على حد قوله فى اهدائه
 الينا . ان كاتب سفر التكوين هو يوسف الصديق ابن عم موسى وابن يعقوب —
 اسرائيل — عليهم السلام . على أنه إذا صح ما يذهب اليه النقاد من أن ذكر وفاة
 موسى ووصف دفنه من أسفار التوراة دليل قاطع على أن موسى لم يكتب هذه

الاسفار، صح لدينا أيضاً أن ذكر وفاة يوسف في آخر سفر التكوين دليل على أن السفر لم يكتبه يوسف .

جاء في آخر سفر التكوين اصحاح ٥٠ : ٢٢ إلى ٢٦ ما يلي :

«وسكن يوسف في مصر هو وبیت آیه . وعاش يوسف مائة وعشرين سنين . ورأى
الافرايم أولاد الجيل الثالث . وأولاد ما كير بن منسى أيضاً ولدوا على ركبتي يوسف .
وقال يوسف لاختوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض إلى
الارض التي خلف لابرهم واسحاق ويعقوب . واستحلف يوسف بني اسرائيل
قائلاً الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا . ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر
سنين . فحضره ووضع في تابوت في مصر وهنا ينتهي سفر التكوين .

ولا جرم أن من أصعب الصعاب أن نحقق تاريخاً أو اخبارياً على حد قول
الاستاذ الكرملی — ما يخفي وراء مثل هذه النصوص الصريحة من الوقائع
الصحيحة . فإذا كان كل ما في سفر التكوين سياق واحد في قصة ابراهيم وأولاد
ابراهيم من أبناء العبرانيين لا من أبناء الاماء كما يذهب الاستاذ ضومط ليكون دليلاً على
ان اهتمام يوسف وجه الى جده الاكبر ابراهيم وأولاده الذين انحدر منهم يوسف . وان
هذا دليل على أن يوسف كتب هذا السفر ، فلماذا يقتصر الدليل على يوسف
ولا يتعدى إلى موسى ، ما دام لموسى في ابراهيم جدهما الاكبر من الحق بقدر
ما لموسى ، وما دام أن موسى ويوسف نديان ، أو بطريقان ، على حد قول الاستاذ ،
وأن ما يشير اليه أحدهما في سفر التكوين جائز أن يكون فخراً للاخير كما هو فخر
للال ، وان الاحتفاظ بسيرة ابراهيم وأولاده من العبرانيين كاملة ظاهرة جليلة ،
تفيد يوسف كما تفيد موسى؟

على اني والحق يقال قد أعجبت على الرغم من اكبابي على درس سفر التكوين على
الاخص وبقية اسفار التوراة على وجه العموم ، بكثير من الملاحظات التي أدلى بها
الاستاذ ، والبراهين التي أيد بها مذهبه . فانها ملاحظات وبراهين قد فاتني الكثير
منها ، وكان كتاب الاستاذ أول حافز لي على مراجعتي لها واعادة درسها في ضوء
أقواله الجديدة .

هذا ما أرى في هذا الكتيب الصغير . غير أنه لا يجدر بي أن أترك الكلام فيه من غير أن أشير إلى نقد للكتاب ظهر في مجلة « لغة العرب » . للاستاذ الكرملي يفتاد وهي مجلة لها في نفسى كبير الاحترام . فبعد أن شرح مرمى الكاتب وبعد أن وجه اليه بعض الانتقادات اللغوية والنحوية قال :

« وهناك عدة أدلة تنقض ما جاء في هذا الكتاب لا محل لذكرها هنا إذ ليس هذا البحث من موضوعات مجلتنا ، فنطلب من حضرة الاستاذ المعذرة ، ونحن نتساءل — إذا لم يكن هذا موضع سرد هذه الأدلة التي تنقض ما جاء في الكتاب . فأين موضعها ؟

ثم جاء في ذلك النقد بعد ذلك ما يلي :

« أما عبارة هذا التصنيف فركيكة . وما كنا نتصور أنها تصدر من قلم الصديق لكثرة ما فيها من الاوهام وقد لا يرتكبها الطلبة ، فكيف به وهو أستاذ الاساتذة . والحقيقة أن هذه الجمل لا يحسن أن تصدر عن مجلة كلغة العرب في حق زميل لصاحبها الاستاذ ضومط . وكان من الواجب أن يراعى الكاتب ظروف الاستاذ وسنه وطول جهاده المبرور في سبيل اللغة وأهل اللغة . على أنه مما يسليني أن للغة العرب في رد الالفاظ الى أصولها المنحوتة عنها أوهام لو أردنا عدها لفاتت الحصر .

٣ - ابراهيم باشا في سوريا

هو تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الأدنى وأحوال سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول أوربا في البلاد العثمانية . تأليف الاستاذ سليمان أبو عز الدين طبع بيروت في المطبعة العلمية ايوسف صادر — ١٩٢٩ — في ٣٤٤ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق .

يمتاز هذا الكتاب بطلاوة أسلوبه ، حتى أنك لا تستطيع أن تميزه عن اخص الاساليب المصرية البسيطة الجميلة ، لو لم يقع نظرك على أنه صادر عن بيروت وعن أديب سورى بحث ، أمغن في البحث واستقصى الموضوع من كثير من أطرافه الهامة

التي تخرج الكتاب سفرًا تاريخيًا طريفًا في الفتح المصري لسوريا في عهد محمد علي وما ترتب عليه من النتائج الاجتماعية والسياسية

وأخص ما يمتاز به هذا الكتاب أنه أظهر بجملاء ووضوح النتائج الاجتماعية الإصلاحية التي يتحتم على شعب غاز أن يأخذ بأسبابها إذا ما أزمع غزو أمة مجاورة له . وهذه ميزة قلما تجدها في كتاب من الكتب التي اقتصت بالكلام في تاريخ الفتح المصري لسوريا في عهد محمد علي وابنه ابراهيم ، فلقد أوضح الكاتب بمهارة فائقة ان الفتح السورى كما كان نصراً حريياً كان خذلاناً سياسياً لمصر في سوريا . وبمثل هذه المهارة اظهر الكاتب ما جنت مصر من ضروب الإصلاح الاجتماعى لتكون على الاقل قادرة على القبض على زمام الحالة في سوريا — . التي كانت تجعل مهمة الفاتح والحاكم محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة مراسهم ووعورة المسالك وانتشار النظام الاقطاعى ولكثرة المتغلبين واصحاب الامتيازات المحلية . والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عفواً بل نشأت في أكثر الاحوال عن أسباب وضرورات كانت مبررة لوجودها عند نشوئها ، كقيام أصحابها بنصرة حزب أو مبدل أو عجز الدولة عن حماية أرواحهم وأموالهم واضطرارهم للنود عن حياتهم بسلاحهم . وعلى كل حال فان من تمتع بحق ما ردحا من الدهر لايهون عليه التنازل عنه بدون عوض مهما كان منشؤه ولا يصبر على سلبه منه فوراً وبدون مقاومة . كما أن الحاكم القادر لا يسمح بقيام مملكة في وسط مملكته . وثبات الملك وانصاف المحكومين يستوجبان نفعه وسلطة الحاكم ومساواة الرعايا في الغنم لحماية الارواح والحقوق ، وفي الغرم كالتجنيد ودفع الضرائب . ولا سبيل الى بلوغ هذه الغايات إلا اذا كان شعار الحكومة الحكمة والعدل واهتمامها موجه الى اسعاد الرعية وتوطيد دعائم العمران والأمن وكانت لديها قوة يرهبا ويحترمها المحكومون — . هذا مثال من الكتاب وهو كاف عندى لتعريف القراء بماهيته .

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة بين بها الغرض من الكتاب والاسلوب الذى اتبع في تأليفه ، وكذلك أثبت فيه أسماء كل الكتب التي رجع اليها في توليفه . كما أتم فائدته بكثير من الخرائط والرسوم التاريخية وصور المشهورين .

في تلك الحوادث ، والكتاب ككل تأليف يشهد الحق والحقيقة يختم بعبارة ملؤها
الغظة التاريخية إذ يظهر لك كيف غرم الشرق وغنم الغرب

٤— عقد الإيجار

هذا الكتاب حلقة من شرح القانون المدني في
العقود وهو خاص بإيجار الأشياء تأليف الأستاذ عبد
الرزاق أحمد السنهوري دكتور في العلوم القانونية
والاقتصادية والسياسية ودبلومه من معهد العلوم الدولية
بجامعة باريس ومدرس القانون المدني بكلية الحقوق .
نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٢٩ — مطبوعاً
طبعاً أنيقاً في مطبعة دار الكتب على ورق جيد فبلغت
صفحاته ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد تكونت لدينا بالفعل مكتبة قانونية حديثة نادرة المثال في كل الأمم التي تنطبق
بالضاد وهذا الأمر يكاد يكون الأساس الوحيد الذي يقوم عليه التقدم في ناحية من
أهم نواحي الإصلاح المدني المنشود ، بل انه قاعدة من قواعد الحضارة التي نريد أن
نقيمها فتكون مصرية بحجة في ثوب حديث . ولقد ساعد على اظهار هذه التأليف
في هذا العصر أمران : أولهما علاقة مصر بالقانون الفرنسي وبعلماء فرنسيين منذ
سنين عديدة لا يقل مداها عن ثلاثة أجيال : وثانيهما مرونة في اللغة العربية وسعت
كل المصطلحات القانونية ، حتى لقد أخبرني أحد المتضلعين من القانون الفرنسي
يوما انه يرى ان اللغة العربية من أخصب اللغات في المصطلحات القانونية وانها من
أطوع اللغات على التعبير عن المعاني القانونية الدقيقة .

ونحن نكتفي هنا بنقل تصدير الكتاب وقد نشر تحت عنوان « كلمة افتتاحية » .
ثبته بنصها لانهماخير وسيلة نعرف بها الكتاب للقراء مادامنا نتحاشى النقد في موضوع
لا علم لنا به . قال الكاتب :

« هذا كتاب في الإيجار أخرجه وأنا أول من يحس مواضع النقص فيه ، وقد
سلخت في تأليفه زهاء ثلاثة أعوام ، ولم يصح عزمي على اخراجه الا بعد ما قدرت
انه يسد فراغا ، اياً كان مبلغ التوفيق في وضعه ، فقد ظهرت كتب قيمة في شرح

معظم اجزاء القانون المدنى المصرى ، ولم يكديبقى الا الايجار بنوعيه : إيجار الاشياء وإيجار العمل . فتوليت فى هذا الكتاب شرح إيجار الاشياء ، مستقبياً مايسمى . بإيجار العمل ، الى مؤلف آخر وعندى لذلك سبيان :

(أولها) اننى فضلت أن أخص بكتاب كل عقد من هذين العقدين ، حتى يتسع المجال لشيء من الاسهاب والتفصيل ومقارنة الشرائع ، وحتى لا يقتصر البحث على الوجهة العملية ، بل يتناول الناحية العملية أيضاً هذه الناحية تلمستها فى قضاء المحاكم ، فافسحت للقضاء المصرى والقضاء الفرنسى من حواشى الكتاب ، ولم أتهيب فى ذلك ان ترتفع هذه الحواشى حتى تأكل من الصحيفة نصفها أو أكثر ، فأن القانون مادة حية غذاؤها التطبيق العملى ، ولو اقتصر الأمر فيه على المنطق المحض ، ولم يلامس الحاجات العملية ، لكان علماً نظرياً ، ولا خطأً التوفيق فيما خلق من أجله . وقد كان للقضاء المختلط فى هذا الكتاب نصيب أوفر من القضاء الأهلى . ولا أدرى ان كان هذا راجعاً لنقص فى المجموعات التى تنشر أحكام المحاكم الأهلية ، أو أن المحاكم المختلطة تعنى أكثر من زميلاتها بالتبسط فى ارجاع الأحكام إلى أصولها القانونية . وأكثر من الحواشى من الإشارة إلى المراجع التى يحتاج إليها الباحث إذا أراد التعمق فى موضوع من الموضوعات . وكذلك سجلت فيها النصوص القانونية من أهلية ومختلطة وفرنسية وشرعية . معتمداً من الشريعة الإسلامية على كتاب مرشد الحيران . .

(وثانيهما) هو أن الاتجاه العلمى الحديث لا يجمع فى عنوان واحد بين إيجار الاشياء وعقد الاستصناع والعمل (إيجار العمل) لأسباب ينتهاى مقدمة هذا الكتاب . فجارت هذا الاتجاه الحديث ، وأفردت لكل عقد كتاباً قائماً بذاته . .

• وانى أرجو أن لاتكون عثراتى فى هذا الكتاب فوق ما قدرت ، وان أسد به من الفراغ القدر الذى أملت .

ونحن ازاء هذا المجهود المشترك الكبير من جانب الاستاذ المؤلف ولجنة التأليف والترجمة والنشر . لا يسعنا الا أن نظهر اغتباطنا الشديد بيوادر هذه النهضة التى وضعت مصر فى موضع التاج من مفرق الامم الشرقية .

٥ - الخواطر العرب

في النحو والاعراب

تأليف الاستاذ جبر ضومط م . ع أستاذ اللغة العربية
في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت .
والكتاب مهدي الى المرحوم جورج بوست م . ع .
د . ط . د . ج . س . د . ش . وهو مطبوع في المطبعة
الأديبة سنة ١٩٢٨ - طبعة ثالثة واقماً في ٣٤٨ صفحة
من القطع الكبير مضبوط الشواهد وبعض العبارات
ضبطاً حسناً وعلى ورق جيد .

ان شهرة الاستاذ ضومط غنية عن التعريف وخدماته الجليلة للغة العربية
معروفة ذائع أمرها بين الناطقين بالضاد ولا تقتصر أبحاثه على قواعد اللغة ذاتها
فان له في فلسفة اللغة جولات واسعة، وآثار خالدة

هذا في الاستاذ المؤلف . أما في الكتاب نفسه ، فانا لا نستطيع ان نعرف الكتاب
بأبين مما عرفه به الاستاذ نفسه في كلمة ننقلها بحذايرها اعترافاً بما للكتاب من قيمة
وتعريفاً به على أبن صورة :

« النحو قسمان قسم مصطلحات او تسميات تضاف اليها احكام خاصة وقسم
فهم وتميز . وهذان القسمان لا ينفك احدهما عن صاحبه ولا بأس من ان نطلق على
القسم الاول اسم النحو، وعلى الثاني الاعراب وان كان علم النحو عند الاطلاق
يشملهما معاً . »

« بناء على ما تقدم، فقد يراد بالنحو معرفة ما يراد بالاصطلاحات التي لا بد منها
في هذا العلم كمعرفة المعرب والمبنى والعامل والمعمول وعلامات الاعراب والبناء وماذا
يلحق كل نوع منها من انواع الكلمة الثلاثة الى آخر ما هنالك فضلاً عن معرفة ما يراد
بتسميات خصوصية الاحوال او اعتبارات خصوصية كالمبتدأ والخبر والفاعل ونائب
الفاعل والمفعول به وفيه ولداخ وكالحال والتمييز والاستثناء والنعت والتوكيد والبدل الخ
فان جميع هذه مما ذكرناه او ما لم نذكره لا بد لمتعلم النحو من معرفته وحفظه . »

و الا أن هذه المعرفة لوحدها قشور لا فائدة منها . ما المنفعة ايها الطالب العزيز من معرفتك حد العامل والمعمول غيياً وانت لا تميز بين الواحد منهما وصاحبه في المركب؟ ام اية فائدة تستفيد من مجرد استظهارك غيياً ان المبتدأ قسماً والخبر اقسام وانت لا تميز المبتدأ من الخبر في الجملة؟

و ايها الاخ الاستاذ هب ان تليذك حفظ عن ظهر قلبه (وينبغي ان يحفظ) ان المرفوعات هي المبتدأ والخبر والفاعل ونائبه و . و . الخ والمنصوبات هي المفاعيل والاستثناء والحال والتمييز و . و . والمجرورات هي المجرورات بالحروف او بالاضافة على التفاصيل المذكورة في المطولات النحوية . والمجزومات (والمنصوبات ايضاً) هي الفعل المضارع على الشرائط الكثيرة المعروفة — هبه حفظ كل هذه كما يحفظ — ابانا الذي في السموات . او سورة الفاتحة — ولكنه لا يستطيع ان يميز ما اذا كان هذا المرفوع مبتدأ او خبراً ولا هذا المنصوب مفعولاً به او حالاً ، ولا هذا المجرور مجروراً بالاضافة او بالتبعية فما الفائدة من هذا الحفظ ؟

و ان من لا يستطيع ان يميز ان هذه الكلمة مثلاً تستحق الرفع فيرفعها غير شاك في حكمه وتلك تستحق النصب او الجر فينصبها او يجرها كذلك ، فاولى به أن لا يتعرض لدرس هذا العلم وكد قريحته به اصلاً . والاستاذ الذي لا يتطلع الى اكثر من أن يملأ ذاكرة تلميذه بحدود المعرب والمبنى والمنصرف وغير المنصرف و باقسام المبتدأ والخبر الخ فاقبل ما يقال فيه انه لم يؤد امانة العلم حقها .

« ان علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير إشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وإيماً مصيبة على المعلم والمتعلم معاً اما اذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى اذا اقترن بالاعراب فهو من اجل العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوتي القياس والاستنتاج لايفضله في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القليل يكاد يفضل على الرياضيات والمنطق والفلسفة العقلية معاً .

« جرب نفسك وافتح كتاباً وقرأ وضع علامات الاعراب و البناء المقتضاة لكل كلمة تقرأها فانك تشعر من نفسك ان لا بد لك من ان تشغل أعلى قواك العاقله اعنى قوتي الفهم والتمييز وقوتي القياس والاستنتاج . ثم ما لم يكن فهمك صحيحاً وقياسك واستنتاجك كذلك

تفكل لفظة تلفظها تؤذن بجهلك وتم بضعف فهمك وفقر تمييزك فالفهم الفهم اذن ايها الطالب العزيز والتفهم التفهم ايها الاخ الاستاذ .

و ان الخواطر العراب مراد بتأليفه الفهم اكثر مما هو مراد الحفظ وإليك اطلب ايها الاخ المعلم ان توجه التفاتك الى ان يفهم تلميذك ما يقرؤه وافضل محك لذلك ان يطبق القواعد على الامثلة والشواهد . فان لم يكف الموجود من هذه فاضف اليها ما تراه ملائماً حسب الحاجة . والمرجع عندى ان التليذ اذا فهم الاحكام والضوابط النحوية حق الفهم وطبقها على ما امامه من الامثلة والشواهد بعد ان يفهم معناها اجمالاً ومعنى مفرداتها مفصلاً ، فتلك الشواهد والامثلة ترسخ في ذهنه وتصبح من بعض محفوظاته ايضاً . فان لم تصبح من محفوظاته فأشير عليك ايها الاخ الاستاذ ان تطالبه بحفظ معظمها إن لم يكن كلها فان هذا الحفظ من قبيل تعلم اللغة امر مقصود بالذات يتعلم له الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع وكل علم يتعلق بفصاحة وبلاغة ، بل حتي علم المنطق قد يتعلم واسطة ليتوصل بذلك الى اتقان تعلم اللغة وفهم مغازى الكلام ومراميه فتأمل .

و اذا فهم تلاميذك أو معظمهم ايها الاخ الاستاذ ما يقرؤون من الخواطر العراب حق الفهم فلا تطالبهم حالاً ان يمتد بهم الفهم الى حيث هو ممتد بك ولا ان يسرعوا في احضار ما فهموه مع الاصابة التي ترضاهما كما تسرع انت . فان ذلك (اى سرعة الاحضار مع الاجابة وامتداد الفهم) متوقف أما على شدة ذكاء التليذ او على كثرة المراجعة واعمال الروية ، وهيات ان تجد دائماً تليذاً سريع الفطنة شديد الذكاء اذا مر به شيء انطبع على لوح ذاكرته وفهمه كما تنطبع صور المراثى على الواح التصوير الشمسى الحساسة ثم لا يعود يمحى من هناك فانك إذا طلبت ان يكون كل تلا مذتك على شاكلة من وصفنا فقد طلبت شيئاً يكاد يكون مستحيلاً . فاقع اذن من اغلبهم ان يفهموا ابتداء ما تفهمهم اياه وكل أمر الاحضار مع السرعة والاصابة وامتداد الفهم ، إلى الايام وكثرة المراجعة . ولا يسؤك ما تراه كثيراً من تباطىء البعض وغفلة الكثيرين عما ترى التباطؤ فيه تقصيراً والغفلة عنه ذنباً ، واذكر اننا لم نكن منذ بضع سنين نفهم ما نفقه الآن ولا نحضر ما نحضره بالسرعة التي نطلبها من تلامذتنا الآن .

قلت ان الخواطر العراب موضوع للفهم اكثر مما هو للحفظ ، وازيدانه منظور فيه إلى تنشئة التليذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لامستعصية عليه مستبدة به وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه العقل ، فهي مما لا يعتد بها وحسبي من الاخ الاستاذ ان ينشئ تلامذته على الفهم في النحو كما ينشئهم على حفظ مفردات اللغة وشواهدا البليغة وان يصلح عن طريق العقل والنقل كل ما يحتاج إلى الاصلاح في الخواطر العراب وإذا تفضل إلى مطالعتي بما يراه محتاجاً إلى الاصلاح أو التعديل ، كنت بغاية المنة والشكر لتفضله واختتم بتقديم الشكر الجزيل لصديقي الاستاذ الفاضل داود افندي قربان على كثير من الملاحظات والاصلاحات والتعديلات التي اثار اليها في اثناء وقوفه على المسودات المقدمة للطبع كما اني اشكر الاستاذ نجيب افندي نصار على ملاحظته مسودات هذه الطبعة . والحمد لله اولاً وآخراً اللهم اجعل كل اعمالنا خالصة لوجهك الكريم وقنا شر انفسنا وارحمنا برحمتك انك ارحم الراحمين وخير المسؤولين آمين .

٦ — العدل الالهي

واين اثره في المخلوقات

تأليف الاستاذ حسن حسين يقع في ٨٨ صفحة من
القطع الكبير مطبوع في مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً
حسناً وعلى ورق جيد

بدأ المقدمة بهذه الكلمات :

(١) « ما كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أو انه ولا كل ما جاء أو انه
حضر أهله »

(٢) « ليس في العالم شيء هو خير بذاته ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع . وقد
ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة »

(٣) « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

قرآن كريم

يهتم الاستاذ حسن حسين بالبحث في الغيبات ، بل وفي اكثر مباحث الغيبات .
التواء وتعمراً على الفهم . فسألة العدل الالهي والبحث عن اثره في المخلوقات من تلك
الابحاث التي يجد فيها لذة ويكب عليها كل اكباب .

ولقد بحث كثيرا في مسألة الأرواح ونقل مذهب يوجا الهندي وهو مذهب قائم
على الروحانيات الصرفة ، وليس للعمليات بالمعنى العلى فيه اقل اثر . بل كل ما فيه
من العمليات تمرينات رياضية يعتقد اصحاب المذهب أنها مفيدة في تزكية الروح
مؤدية بها الى الخلاص من سجن البدن الكثيف .

وتتجلى هذه النزعة في مؤلف العدل الالهي في برهانه الذي يقيمه على وجود الله .
فانه ينزع الى برهان اهل الباطن ، وذلك البرهان الذي لا يمكن أن يقتنع به الا الشخص
الذي يتجلى له هذا البرهان في أخذة من الاخذات النفسية التي يعتقد اهل الباطن انها
من البراهين التي لا تنقض . ولكنه على اية حال برهان لا يمكن أن يقتنع به احد من
طريق التدليل لانه لا دليل عليه الادعوى صاحبه . قال في ص ٤ ، ٥ ما يلي :

« والحق أننا بحاجة الى حاسة أخرى (غير الحواس الخمس التي هي عماد العلم
بالضرورة) ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ روحنا درجة النقاء من غواشي
المادة وما علق بها من خلق وصفات مكتسبة ،

« نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية في الله جل شأنه ! — من
مقدمة برهان وجود — واجب الوجود — مطلقا ، ويجب أن تكون هذه الصفات
القدسية او الكمالات !!! — محور الدائرة في كل دين من الاديان ،!!!!

أما النتيجة التي يصل اليها في اثبات وجود الله فهي ما يلي :

« اندمج في حسك وآنس الى نفسك ، بعيداً عن كل ضوضاء أو خيلاء ، في
وحدة وسكون — هنالك وانت منسجم مستسلم — تشعر بميل غريزي يجتذبك
نحو الحق — وتحس بانه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل أو برهنة ،
وهذا ولا شك دليل أهل الباطن . بل يعترف المؤلف أنه ليس بدليل ولا برهان
بل تجربة دينية يقتنع بها مجربها اقتناعاً شخصياً بل تراه بعيداً عن طريقة البرهنة
اتباعها ديكرات والادلة التي أقامها « بيتي كروزيار » المعروف . ذلك لان الاول يتهج
طريق المنطق ، والثاني طريق التدليل بالسببية .

فأذا رجعت الى الابحاث النفسية الحديثة لتعرف ما هذا الانسجام والاستسلام ، من قيمة فى اقامة دليل يمكن ان يكون له أثر فى اثبات وجود الله أو شىء من الغيبات ، وقرأت الفصول القيمة الخالدة التى عقدها الاستاذ الكبير ، وليم جيمس ، فى كتابه Varieties of Religious Experience فهنا لك تعرف أن قيام الحالات النفسية التى يباشرها أهل الباطن كلها حالات غير طبيعية بل هى عبارة عن أعمال جسمانية تحدث حالات نفسية يخيل لمباشرها أنها حق بل أنها الحق ، وهى لدى البحث النفسى الدقيق ليست سوى حالة نفسية ناشئة عن نظام جسمانى

اما الامثال التى ضربها (ص ٥) فى أن الكون دليل على وجود الله كقوله إن الساعة المضبوطة فى صحراء اذا عثر عليها عابرسيل تكون عنده دليلاً على وجود صانع لها حكيم مدبر ، فامثال تقود الباحث الى القول بان الله ليس أكثر من فرض ضرورى . وهذا ما قال به « كروزيار » ولا جرم ان هذا بعيد كل البعد عن ان يقبله رجل من أهل الباطن الذى يلجأ المؤلف الى برهانهم فى وجود الله .

ومما يدل على ان المؤلف ينزع الى براهين أهل المنطق أكثر من نزوعه الى برهان أهل الباطن ، وأنه لم يقل ببرهان أهل الباطن الا استسلاماً للفكرة الاصلية التى أراد أن يشبها فى تضاعيف الكتاب ، انه عاد فى (ص ٢٢) فعقد فصلاً قصيراً تحت عنوان « فكرة وجود الله » . فكان الله فى هذا الفصل ليس أكثر من « فكرة » قد يكون لها حقيقة وقد لا يكون لها حقيقة البتة ، شأن كل فكرة من الأفكار الإنسانية قال : —

« نقول : ان المقبول عقلاً والمألوف المعروف انه لا بد لكل معلول من علة ولكل مسبب من سبب . انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها — تكون بمقدار عظمة وقوة وأهمية المعلول — ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة — فما كان عدم ظهور العلة بمثابة لوجودها ولا حائل دون فعلها وأثرها ، — وهذا الكلام لا يكون صحيحاً إلا بعد أن يثبت المؤلف ببرهان قاطع أن العالم معلول أولاً ! وهذا ما لم يفعل المؤلف بل فرض أن العالم معلول لا غير ، مستنداً الى فكرة فى وجود الله التى يمثّلها العقل الانسانى من نظره من آثار الطبيعة

وذلك كان موقف المؤلف ازاء العلة ، أو بالاحرى « علة العلل » ، فانه لم يحاول نفي هذا الاشكال الكبير ولم يبحث في ماهية العلة . فاذا كان الله علة كاملة لا يتخلف عنها معلولها ، وجب ان يوجد المعلول مع العلة وان يشاركها في صفة القدم . في حين أن من شروط المعلول ان يكون حادثا والا شارك العلة في كل صفاتها حتما . وهنا تختلط العلة والمعلول اختلاطاً لا يمكن الفصل بين أطرافه . وكذلك لم يبحث مشكلة الحدوث فان العالم اذا كان حادثاً ثبت أن علته كانت ناقصة (يتخلف عنها معلولها) ثم كملت فلما . كملت وجد العالم لازماً لوجود علته عند تمام كمالها . ولقد رأينا الاستاذ المؤلف يشير الى اعتقاده بحقيقة الطوفان العام اعتقاداً يلزم صاحبه الاعتراف بان الطوفان قد عم كل الأرض واهلك كل المخلوقات . وهذا ما نقضته الابحاث الجيولوجية الحديثة تقضاً تاماً صريحاً . وعلى جملة من القول فان الكتاب جدير بأن يقرأه كل باحث يريد أن يستوغل في مثل هذه الابحاث القضية العميقة

٧ - المؤلف المنضود

في دفع نقود

بقلم الشيخ أمين ظاهر خير الله نشره السيد الياس روفائيل الكيك أخرجه مطبعة الاجتهاد بيروت - ١٩٢٩ -
في ١٥٢ ص من القطع الاوسط على ورق جيد وطبع أنيق

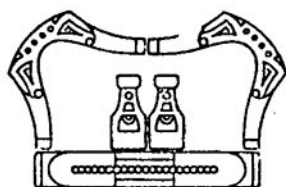
صدر الكتاب باليتين الآتين

ان الحقيقة بنت البحث ما برحت مناظرات رجال العلم تبديها
فالمبتناة على التحقيق تثبتها والمبتناة على البطلان تنفيها
والكتاب مجموعة نقود في النحو والاعراب لها فائدتها الجلى لكل المشتغلين
بعلوم اللغة والآداب ، وليس لنا ان نعرف الكتاب باكثر من فاتحته التي قام فيها المؤلف
« كتب علوم العربية ضربان : الاول ما وضع للتلقين ، فيورد الحقائق التي انتهى
الى تقريرها العلماء بعد جهد جهيد ، ومعظمه يأتي بالأدلة لترسيخ القواعد والتمثيل

منها، والثاني ماوضع للمناظرة في تلك الحقائق فيأتي بالادلة متضاربة ليثبت الحق ويذهب الباطل، فقائده اجزل ومر كبه عسير ،

« وكتابي هذا من الضرب الثاني بذلت جهدي في أن أدون به الحقائق مؤيدة بالبينات وتصفحت اثناء جمعه كثيراً من المؤلفات النفسية فعزوت كل قول الى قائله وعينت موضع وروده ليسهل على من شاء أن يتصفحه الاطلاع عليه . ولا ريب في ان المباحث التي محصتها المناظرة يثق مطالعها بانه يأخذ أحكامها عن ذى خبرة . والله أرجو أن يكون كتابي هذا نافعا لمطالعيه فان ، :

- « مناظرة العلماء مغاصر فن غاص فيه يحوز اللآل ،
- « براهينها الراهنات كفلن ببيان حق ونقض محال ،



رَابِطَةُ الْأَدَبِ الْجَدِيدِ بِالْمِصْرَةِ

أغراضُ الرابطة بث روح التعاون والاخاء الأدبي ونشر الثقافة الحديثة ، وتوجه المراسلات عنها الى حضرة سكرتيرها الأستاذ كامل كيلاني بدار « العصور » بشارع الخليج المصري بالظاهر بالقاهرة .

بين الصحفي والمجذبات

قفنا هذا الباب لان بعض اخواتنا الصحفيين صرف
غرضنا منه الى غير ماتوخينا ولاتنا كنا قد قصرناه على
النقد وحده . واليوم نعود اليه لنجعله ميداناً نختار فيه
من الصحف والمجلات ما يروق، وننقد ما لا نوافق عليه،
لنكون بذلك اقرب للنصفه، وانفع لقرائنا .

١- مجلة المنار - فاتحة المجلد الثلاثين . مقالة مطولة في ١٦ صفحة من القطع الكبير
بقلم منشي المنار السيد محمد رشيد رضا صاحب التفسير السلفي الاثرى المدنى
العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى - نفعا الله بعله وارشاده : آمين .
المقال غير مهور بامضاء ولكنه استنتاجاً من قلم الاستاذ المسلم الكبير ، أحد
اعضاء مؤتمر الخلافة . بل والاصبع الضاغطة على أحد ازرار المؤتمر فى مصر ، لترن
رثاته فى جنات مكة المكرمة . السيد محمد رشيد رضا ، صاحب المنار وتلميذ الاستاذ
الامام ، عليهما من الله السلام . فالمقال فى مفتح المنار وتصدير للسنة الثلاثين من سنى
المجلة التى انفقتها فى جهادها المبرور فى مؤتمر الخلافة وامثال مؤتمر الخلافة وفى
تجهيز كشوف النفقات التى بعثت فى مؤتمر الخلافة ، رحمه الله ورحم زماناً أغائنا
فيه اليد المعروفة ، اليد العليا صاحبة الحول والطول ، وثابت القول ، من مؤتمر الخلافة ،
وقصاع مؤتمر الخلافة ، وشيوخ مؤتمر الخلافة ، فعلى مؤتمر الخلافة الرحمة الواسعة ،
وللسيد محمد رشيد بن رضا السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى
السياسى ، الصبر والسلوان .

ليت شعرى من للاسلام بعد أن انحلت روابطه ، وتصدعت قوائمه ، وعملت
فيه يد الاتراك بالهدم ، وسامه الملاحدون الحسف والهضم ، وضربت فيه
معاول التخريب يحملها الزنادقة ، والغمت اسسه أيدى الملاحدة ، من للاسلام
وقد تأمر عليه المستشرقون والشرقيون ، وتأرز عليه الساسة والكاتبون . من

للاسلام يسلك يده، يقيم عثرته، وينفض من التراب لفته، الا السيد السلفى الاثرى
المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى محمد رشيد بن رضا، وسيد
عبد العزيز آل سعود ملك نجد والحجاز وملحقاتها، وملحقات ملحقاتها،
وملحقات ملحقات ملحقاتها، الى ماشاء الله من الصحارى القاحلة، والى البوادر الماحلة،
والاركان الخراب، التى لا ينطق فيها بوم ولا غراب، عليهما من الله السلام، والتجلة
والتحية والاكرام

ولقد حفز السيد الى كتابه هذا المقال الفاضل الجوانب المملوءة بحرارة الايمان ما رأى من
ما حل الرأى تنشره مجلات الملاحدة، وتذيعه صحف الزنادقة، وقد اختار من هذه المجلات
وأصحابها - صاحب مجلة ومطبعة فى مصر معروف وفى حلب مجلة حديثة مثلها يظهر ان صاحبها
مقلد ينقل اقوال اشهر الكتاب من ملاحدة مصر، وقصائد شيخ ملاحدة العراق وامثالهم
ويثنى عليهم وينوه بأرائهم ولكنه لا يتجرأ على التصريح بكل ما يصرحون به
بامضائه. ومنهم احد محررى الجرائد اليومية المأجورين الذى كتب مقالات فى تقبيح
النصر فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام، وطلب
أن تكون حكومة معطلة (لادينية) ومقالات فى سن قانون مدنى للاحوال
الشخصية، لا يتقيد فيه بشئ من الاحكام الشرعية الاسلامية، وقد كان من اركان
محررى السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود. وأفراد هذه الطبقة
لا يدعون الدين ولا يتمتعون لوصفهم بالتعطيل بل منهم من يفتخر بذلك. -
وهؤلاء عند الاستاذ هم الطبقة الاولى من الملاحدة، وقد وصفهم بقوله - «إنهم
الذين سمعتم الترية الافرنجية، وافسدتم الآراء المسادية، وخنثم الاسراف فى
الشهوات البدنية، - وقد نسى الاستاذ - يرض الله وجهه وأعلى كعبه - أن يضم
اليهم أنصارهم وأنصار أنصارهم، وتلطف فلم ينزل عليهم اللعنة الابدية، ولم يفصلهم
عن حظيرة الاسلام ولم يطردهم من الجنة، وهذا اقصى ما يصل اليه رجل ثقفته
علوم الشرع ونزهه الايمان، عن أن يحتل مركز الديان، فللاستاذ من هؤلاء
جميعاً الشكر والمنة، نقلها اليه عنهم تطوعاً. ومن رائق آداب الاستاذ انه لم ينعتهم
بسوى انهم المسممون المخنثون. والله إن هذا لمتهى الكرم، وأسمى منازل الادب

والفضيلة . كيف لا والاستاذ من ورثة النبي العربي الامي القائل - « إنما بعثت لأتم مكارم الاخلاق » ؟ .

وما أحلى قول الاستاذ وأسمى أدبه اذ يقول :

« وما ثبت عندنا بالخبر المستفيض ، والخبر الطويل العريض ، أن من أفراد اولئك الملاحدة دعاة للكفر ، وسعاة للصد عن الاسلام ، وأن منهم من يأخذ على ذلك جعلاً من جماعات التبشير النصرانية ومنهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وأعظم هذه الاجور المناصب والوظائف في البلاد المسيطرة عليها ، ومنهم من لذته في ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابههم الاحرار والحظوة عندهم ، والثناء عليهم في كتبهم وصحفهم وهم لا يثنون إلا من كانوا عوناً لهم على أقوامهم ، (حفظ الله أستاذنا السيد رشيد رضا من مدحهم وحوطه برعايته) .

بل نعوذ الاستاذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد .

وقد تحفظ الاستاذ في هذا الكلام كل تحفظ فلم يذكر اسماً ولا اشار الى شخص فهو انما يناهز فكرة ويجالده مبدأ ، دفاعاً عن الاسلام وعن حظيرة المسلمين ، حذراً ان يجابهه احد هؤلاء الملاحدة وجلهم (مكشوف الوجه) بعلاقته بابن السعود الذي هدم القبور وبعثرها واغتصب الارث القديم من اولاد النبي ، وتربع على عرش الرمال يقطع مفاوزها على الصادر والوارد ، والذاهب والعائد ، ويحجي جباية ملكه من الحادى والبادى ، والرائح والغادى . خشى الاستاذ الحكيم أن يتخذ احد هؤلاء المكره الخبثاء هذه العلاقة التي ظهر فيها الاستاذ بمظهر العبد الرقيق للسيد المطاع ، خدمة منه للاسلام والمسلمين وتطوعاً للدفاع عن الدين الحنيف ، وهو يعتقد من صميم قلبه ان ابن سعود غير جدير منه بهذا الخضوع ، ذريعة لأن يلوكونا بالسنتهم ما تذيعه العامة الجهلاء عن اكياس الذهب وقناطير الفضة التي يدرها ابن سعود على المنار وصاحب المنار اجر دفاعه عنه وعن الاسلام . تعالى الاستاذ عن ذلك علواً كبيراً . وهذا لعمري دليل واضح على أن الاستاذ قد جمع الى حكمة الدين ، لباقة السياسة التي يتطلبها العيش في الدنيا . ابقاه الله واسعده أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

قال الاستاذ لافض فوه :

« وقد أخبرنا من خبر حالهم ، وعاشر رجالهم ، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم ، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم ، وسنينها في مقال آخر . وما بلغنا من امرهم انه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه ، — مرحي . مرحي — ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون . »

قال الاستاذ بلغه الله مناه ، وجعل الجنة مثواه :

« ولما ألفت في مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية ، قبل ان تشب عن الطوق ، وتشب نارها ، فلا يكون لهم بها طوق ، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل . بل وجد فيها من يكبر شأنها ، ويلقى المحاضرات في نادياها . »

نقول — والعلم عند الله والاستاذ — إن الذي كون جمعية الشبان المسلمين اعضاء من الحزب الوطني حزب الاسلام والمسلمين ، فاراد ان يعارضهم اعضاء من الوفد سياسياً (بجمعية الشبان المصريين) ولقد كشف لنا الاستاذ عن سر من الاسراء الخفية التي احتجبت وراء هذه الدعوة ، فظهر لنا الوفد في ثوبه الصحيح . وعلى رأسه الاستاذ النحاس المصلى الصائم الراكع الساجد القانت القائم الليل واطراف النهار . فللاستاذ من الامة الشكر على كل حال .

وبعد ان مضى الاستاذ في مقارنة طويلة عريضة بين تجديد المجددين في أوروبا وتجديد الملحدون في مصر والشرق ، اثبت هذه الالفاظ الذهبية التي هي جديرة بان يحفظها عن ظهر قلب كل متعلم لتكون له في ادب المناقشة مقياساً ، وللإستزادة من علم الاستاذ نبراساً .

« واما ملاحظة بلادنا ودعاة الكفر والإباحة فيها ، فالتجديد الذي يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الامة ويشد ازرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب اخلاقها من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور وإباحة الاعراض تجديداً طريفاً ، ومدنية وتقدماً وترقياً ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديماً بالياً ، وقد استشرى عبثهم وفسادهم وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التي

ينفثون فيها سموهم، على صغر شأنهم، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم، فانه لا مزية لاحد منهم في علم نافع، ولا عمل صالح، وانما هي خلاصة الالفاظ التي وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث، وأن اهل الرأي والبصيرة عندنا يحزمون بان زعزعة العقائد وفساد الاعراض وإباحة النساء يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات،... وهكذا والله تكون اخلاق المتأدين بأدب القرآن الكريم، لا كل همار مشاء بنعيم، مناع للخير معتدائهم، عتل بعد ذلك زعيم، من ملاحدة هذا العصر.

غير ان الاستاذ— نفعا الله بعلمه وأدبه — قد نسي أن من أولئك الملاحدة فئة تتعمم وتلبس الجبة والقفطان، وتمنطق باحزمة الخبز والديباج، وتبالغ في تكبير العمامة حتى يصير عند حد قول حافظ — كالبرج لكن فوق تل نفاق — مبالغة في الاثم والعدوان واخفاء لأمرها ان يعرف، وسرها ان يكشف، فتحارب الدين باسم الدين، وتقاوم الاسلام باسم الاسلام، سرّاً لا علناً، واستخفاء لا جهراً، وهؤلاء والله يا سيدي الاستاذ لاكثر شرّاً، وألام نفساً، وأشد فساداً، وأعظم إثماً، عليهم وعلى الملاحدة المجدين اللعنة الأبدية.

واظن ان الاستاذ لا يزال يذكر منهم شيخاً، معهما ربة القوام ايض الوجه عريض المنكبين يمشى الهوينا — كما يمشى الوجى الوجل — لا خشية من الله، ولكن خيلاء واسرافاً، وكان يجلس الى طاولة معروفة وفي مكان معروف بقهوة سبلند بار، وهي لا تزال قائمة الى اليوم، ومحله منها لا يزال مسوداً بالخزى اعاذنا واعاذه الله، فاذا ما استوى في مجلسه اجتمع من حوله جماعة من المرد الوسماء، حتى اذا انتصف الليل قام ومعه منهم جمع، لا للمسجد ولا للمحراب، ولكن للذة مباشرها أو تباشره..

افلا تعتقد يا سيدي الاستاذ أن هذا الشيخ وأمثاله شر على الاسلام والمسلمين، من ملاحدة المجدين؟

وانى لارجو أن يوفقك الله في خطواتك السديدة، وان يزيدك من فضله، ان الفضل لله يهبه من يشاء، وهو العزيز الحميد.

٢ - مجلة المقتطف عدد يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان

« الله والعالم ، وهي خطبة مطوية للدكتور صروف

رحمه الله

« الذين ذهبوا إلى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الأشكال والصفات.
رأوا آلة تطحن القمح وتعجنه وتخذه ، وأخرى تبل التبغ وتقرمه وتنسقه ، وأخرى
تطبع الورق وتطويه وتخيظه إلى غير ذلك ، فذهلوا عن أنفسهم وقالوا ما أحكم
الانسان وما أعجب ما وصل اليه . ولو حاولت اقناعهم بأن هذه الآلات وجدت من
نفسها أى ان رقائق الحديد وورقات الخشب تجمعت وتركبت فصار بعضها عوارض
وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها أساطين إلى غير ذلك من الأجزاء المختلفة
الأقدار والهيئات ، ثم تركبت على أوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة ،
ثم أن هذه الآلات جذبت إليها الفحم من طبقات الأرض ، وأضرمت فيه النار
وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الأساطين
التي فوقه فارتفعت وأدارت الدواليب الكثيرة وحركت الأدوات المختلفة فتسبب عنها
طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق وبل التبغ الخ وقد جرى
كل ذلك ولم تدخل فيه يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدوك مجنوناً
أو هاذراً . بل من تراه يسلم بذلك وأى عقل يعتقد به ، سخيلاً كان أو ثقيلاً . أيمكن
أن توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن أن تختار هذه الأوضاع بلا صانع قادر
على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلطان بذلك . العقل والنقل يرفضانه ، وإنى
لأرى التصديق بأن واحداً واحداً سبعة ، أيسر من أن المطبعة وجدت من نشء
الطبيعة ، والتصديق بأن واحداً واحداً سبعون أقرب من التصديق بأن الآلة البخارية
التي تسير السفن الكبيرة وتقضى بأكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها ،

« لكن ما هذه الآلات بالنسبة إلى أصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين
والتي لو جمع ألف حيوان منها معاً ، ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ ما هذه الآلات
بالنسبة إلى العفن الذى نراه مذروراً كالرماد الأخضر ؟ وإذا نظرنا اليه بالميكروسكوب
رأيناه غابات من الأشجار وكلها تحيا وتنمو على صرورة تصرت عقول البشر عن
إدراك كنهها ؟ من يتحاسر فيقول إن هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا

من نشء الطبيعة ؟ ولكن ماهذا بالنسبة إلى الحيوانات الكبيرة ذات الأيدي والأرجل والعيون والآذان ؟ أين آلات البشر من جسد الإنسان ؟ من عينه ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة ، فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة في الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الأرض وصناعها وأرادوا أن يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة ، وصرفوا عمرهم كله في هذا العمل إلى ان حانت منبتهم لجتهم في آخر حياتهم ، وقد رموا آلاتهم في النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا ؟ . وقد ذكرتني هذه القطعة بأخرى اثبتتها العلامة داروين في الفصل السادس من كتابه أصل الأنواع أثرت نقلها هنا اتماماً للفائدة ودليلاً ندحض مزاعم الذين يقولون ان النشوء لزام الالحاد (١)

وليس من الهين في هذا المقام أن تنسكب مقارنة نضعها بين العين والمنظار المقرب للاشباح — تلسكوب — فانتا نعلم أن هذه الآلة لم تصل إلى ما هي عليه من الكمال إلا بعد أن أفنى كثير ممن نعتبرهم صفوة العقول البشرية جهودهم في سبيل تحسينه . ونحن بالطبع مسوقون إلى القول بأن العين قد تكونت بطريقة مشابهة لتلك الطريقة . ولكن ألا يكون ذلك القول محض اعتبار تصوري ؟ وهل لنا أن نخطر بقولنا خطرة من الظن بأن الخالق العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الإنسان ؟ أما إذا لم يكن بد مما ليس منه بد ، ومضيئاً في مقارنة العين بآلة مبصرة ، أنبغى لنا أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات متراكمة من أنسجة مشفة ، بين بعضها وبعض مادة سائلة ؛ ومن وراء ذلك جهاز عصبي كاشف للضوء حساس له ، ثم نفرض من بعدهذا كله أن كل جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض في سبيل التغير من حيث ثقله النوعي وكثافته ، مستمر فيه ببطء عظيم ، متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها عن بعض إلى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعي كما تختلف كثافتها ، ثم تأخذ أوضاعاً في أبعاد متناسبة ! في حين أن سطح هذه الطبقات يكون معنأ في سبيل التغير من حيث الصورة والشكل . ثم نقول إن من وراء ذلك كله « قوة » تمثلها لأنفسنا باصطلاحات نضعها كالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين المجاز كل تحسين أو تهذيب

(١) راجع ص ٢٥٥ من الجزء الثاني من أصل الأنواع (الطبعة العربية)

وصفي يطرأ على تلك الطبقات المشقة ، ماضية ، حين تأثر هذه الطبقات بمختلف الظروف التي تحوط بها ، في الاحتفاظ بكل شكل من أشكال التغير . إيا كانت وسيلته ، ومهما كانت درجته ، متى كان من شأنه الكشف عن الأشباح بصورة أكثر دقة . ومن ثم نفرض أن كل حالة تتمشى فيها تلك الآلة نحو الكمال قد تتكرر مليوناً من المرات تبقى في كل مرة منها محتفظة بكيانها زماناً ثم تزول ، بعد أن يجد في التراكم العضوية غيرها أقرب إلى الكمال رحمة . فإن التغير في الأجسام الحية ينتج ارتقاءً ضئيلاً يتضاعف أثره جيلاً بعد جيل إلى ما لا نهاية له ، في حين أن الانتخاب الطبيعي يكون إذ ذاك مجدداً دائماً على الاحتفاظ بكل تهذيب يحدث بعين لا تأخذها سنة وهمة لا يعرفها التكلال . دع تلك القوة تؤثر في همودها وسكونها تأثيرها الدائم مليوناً من السنين ، متخذة في كل سنة ملايين من أفراد العضويات المختلفة موضعاً تبرز فيه نتائجها ، أفلا نعتقد بعد هذا أن آلة مبصرة حية من المستطاع أن تكون قد استحدثت على مر العصور بحيث تكون نسبة الفراق بينها وبين العدسة الزجاجية ، كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة العظيمة ، وبين الصناعات البشرية ؟

٣ — عن المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال بقلم
الدكتور أبو شادي تحت عنوان في سبيل العربية — ما بين
الجمود والأصلاح .

ولعل من خير الإنسانية أن تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الإنجليزية — لسان العالم الجديد : مقرأسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الإمبراطورية الإنجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة : كثيرة كالإيبان والصين والهند . يد أنه من خيال الخيال أن تتصور إمكان القضاء البات على اللغات القومية مادامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مججلة . وغاية ما يسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذبوع لغة ظاهرة ذبوعاً كافياً لتكون اللسان الأول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة ، دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها .

وقد ذكرت آنفاً أن اللغة الإنجليزية مرشحة قبل سواها (ولا أستثنى الفرنسية) لتبوء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالى . وقد أصبحت الإنجليزية بما تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لانفس معارف الأمم ، وصار التبحر فيها مغنياً فى معظم الأحوال عن الألسنة الأوروبية الأخرى . ولكنه برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن أمة من الأمم التابعة للتاج البريطانى انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنّة الزاخرة بالعلوم والفنون والآداب ، عن لسانها القومى الرؤوم . ذلك لأنها تحس أنه وحده مستودع أسرارها وأحلامها وآلامها .

هذا مثل نسوقه لنسوغ به تعلقنا (لامن جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق أيضاً) بلساننا القومى ، دون أن تكون فى هذا التعلق مسكة من التعصب المسين ولا أية مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شك فى أن اللغة العربية — وريثة الكثير من المانيات القديمة ، — قد برهنت على استطاعتها أن تتكيف فى أقطار شتى قلبجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذى يجعل حتى من صورتها الفصحى السنة ومية متعددة لا فارق بينها إلا فى ما يسبغه عليها الذوق المحلى من ألوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليه كل أمة تتخذها لسانها القومى .

٤- مجلة الهلال عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان التنمية أو أكل لحوم البشر (كانبيا لزم) بقلم محمود سامى .

الأيحاء قوة نفسية عجيبة تعرف بمظاهرها ويتعذر تعليل أسبابها . فالذى يعيش فى أرض تكثر فيها الأفاعى ويعتاد قتل الكثير منها يصبح قتل الأفاعى فى نفسه أمراً يدفعه اليه الأيحاء . والجندي الذى يشترك فى حرب تطول مداها يكون أرغب فى القتل من غيره . ومن يفكر فى ارتكاب جريمة . لا يرتكبها بمجرد التفكير فيها ، بل ينفذها عندما يبلغ به التفكير فيها درجة الأيحاء وقد يرتكبها ببساطة طبيعية ولو كانت أشنع الجرائم .

وكاتب هذا المقال يعلل التنمية كما دعاها — بانها شئ تدفع اليه الضرورة وما ضرورة ذلك الا الجوع . يقول :

و قد تدفع الظروف بالمرء إلى حيث يتعذر عليه وجود الطعام فيدفع الجوع إلى أن يقتات بأول شيء يصادفه . والجوع لا يعرف الرحمة ونداء المعدة تحتفى معه العواطف وتفر منه حتى انسانية بنى آدم . — وعلى هذه الوتيرة يسير في تعليل أكل لحوم البشر والاعتیاد عليه . في حين أن الأرجح ان لاسبب لهذه الظاهرة إلا الايحاء الذي تخلقه العادة أولاً ثم يصير من بعد ذلك شيئاً ضرورياً من مقومات الحياة ، فيلوح لمن لم يرجع إلى أصله كأنه شيء طبيعي تدفع اليه دوافع طبيعية

٥ - مجلة المشرق التي تصدرها ادارة آباء كلية القديس يوسف

عدد يولييه — ١٩٢٩ — من مقال بعنوان « قس بن

ساعده » — ماذا نعرف عنه — بقلم ميشيل سليم كعيد

من خطب قس بن ساعده

« أيها الناس : اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم فانتفعوا . أنه من عاش مات ، ومن مات فات . وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات . وجمع وشتات ، وآيات بعد آيات . ألا إن أبلغ العظمت السير في الفلوات . والنظر إلى محل الأموات . إن في السماء لخبراً ، وأن في الأرض لعبراً . ولا شك عندي مطلقاً في أن قوله . ألا أن أبلغ العظمت السير في الفلوات والنظر إلى محل الأموات — مدسوسة على قس ، فانها من أول الخطبة ، كالبقرة الخراب في مصور الجغرافية » كما يقول الاستاذ صادق الرافعي . وإني لأذكر مكان هذه القطعة قطعة أخرى حفظناها ونحن في المدرسة هي أكثر اتساقاً وللبخطبة من هذا الكلام البور وفيها يقول « يا معشر إباد ، أين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد . أين من بنى وشيد ، واثق ونجد . أكلهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاولة ، فتلك أجسامهم بالية ، ويوتهم خاوية . عمرتها الذئاب العاوية ،

ويزيد بعض النساخ على هذه الخطبة قوله

« أقسم قس قسماً : لا خائناً فيه ولا آثماً . ان لله ديناً وأحب اليه من دينكم الذي أتم عليه ، ونبياً قد آن أوانه ، وأظلم إبانته . فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . »

ومنزلة هذه القطعة من الانتحال أرجح عندي من منزلة الأولى
ثم أنشأ يقول :

في الزاهبين الأولى ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للبوت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها يمضي الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر
ومن خطب قس النفيسة :

« أيها الناس ! شارفوا ببصاركم في كثر الجديدين ثم ارجعوها كليله عند بلوغ
الآمل. فإن الماضي عظة للباقي (١) ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر فتقطع حجتكم
في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسفلكم. أيها الناس ! أمس شاهد فاحذروه
واليوم مؤدب فاعرفوه، وغداً رسول فاعلموه. وكونوا على حذر، من هجوم القدر،
فإن أعمالكم تطلق أبدانكم والصراط ميدان يكثُر فيه العثار فالسالم نالِج والغابر في النار،
ولم يعرف أن قساً وصف ما بعد الموت ولكن أمة بن أبي الصلت معاصر قس ومن
فرسان أباد المعدودين له ما يأتي

فكل معمر لا بد يوماً وذى دنيا، يصير إلى الزوال
ويبقى بعد، جدته ويلى سوى الباقي المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا : ويلنا ويلا عظيماً وعجوا في سلاسلها الطوال
فيلسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صال
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمال

وعندي أن البيت الأخير في غاية الضعف لا يتسق وبقية القصيدة مطلقاً. وقس
أول من أفتح الخطابة بكلمة « أما بعد » . ومن مأثور قوله :

« من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب » .
 « البينة على المدعى ، واليمين على ما أنكر » .
 ومن خطبه الذائعة قوله :

« أيها الأشهاد ! أين ثمود وعاد ، أين الآباء والأجداد . أين ذهب أبرة ذوالمنار ،
 وعمرؤ ذو الأذعار ؟ هل تدرون ما صار إليه عبادة الفتاح ، وأذينة الصباح ، وجذيمة
 الوضاح ؟ غزوا فقهروا ، ونهوا وأمروا . وجددوا المصانع والآثار ، وجدولوا الأنهار ،
 وغرسوا الأشجار ، . واستخدموا الليل والنهار . فهجمت الآجال . دون الآمال . ألا
 وأن كل شيء إلى الزوال ، .
 ثم أنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى	ان الزمان يطبق تفت جناحي
فأراه أسرع في حتى أصبحت	يضاً متون عوارض وصفاحي
وأنا الكبير لنسبة في قومه	هيات ! كم ناسمت من أرواح
صاغت ذا جدن وأدرك مولدى	شمر بن عمرو ، يتقي بالراح
والقيل ذو وزن رأيت محله	بالقهر بين جنادل وصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة	تسعى بكل عشية وصباح
أودى أبو كرب ، وعمر وقبله	وأباد ملك أذينة الصباح (١)

وغدا بابرهة المنار فأصبحت أيامه ، مسلوبة الأصباح

لاتمس في شك المنون ، أما ترى	أيامه مشهورة الايضاح
لأن آمن مكر الزمان ، فإنه	أردى الزمان بشعر الوضاح
برك الزمان على بن هاتك عرشه	وعلى أذينة ، سالب الأنواح
أفبعد أملاك مضوا من حمير	يرجي الفلاح ، ولات حين فلاح

(١) في الأصل الذى نشرته المشرق يقول « أذينة الوضاح ، وهو خطأ واضح
 حتى من سياق الخطبة ذاتها .

من ذا تصافق كفه كف الردى بشرى التقى ، عن يعة الأرواح

يقول كاتب هذا المقال

وما يلصق بقس ، بعض كلمات حكمة زعموا أنه قالها لقيصر حين وفد عليه .
مرة فقال له قيصر :

ما أفضل العلم ؟

— معرفة الرجل نفسه .

ما أفضل العقل ؟

— وقوف المرء عند علمه .

ما أفضل الأدب ؟

— استبقاء الرجل ماء وجهه

ما أفضل المروءة ؟

— قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده .

ما أفضل المال ؟

— ما قضى به الحق

يقول الكاتب — إنها كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل . كلمات حوت
أثنى النصائح ، لا نظن أن قساً قائلها ، ولا شك أن العرب اتهموه (١) بهالما أطلعوا
على آداب الاغريق ، فأراد الزعم بوجود حكيم عندهم يماثل ديوجينيس فى اجابة الرد
الحكيم ، ولم يجدوا مرتعاً أخصب من قس ، فألوا هذه وكفنوه بها ، (٢)
ولست أدرى أى دليل يستند اليه الكاتب فى مذهبه هذا . ولا نظن أن العرب
فى جاهليتهم يعجزون عن مثل هذه الأجوبة ، وكان منهم مثال قس ، اسقف نجران ،
وزهير بن أبى سلى وسجبان وائل والمهلل والمقنع الكندى وامرى القيس وأعشى
ميمون والحارث بن حلزة الشكرى وطرفة العبد وغيرهم . فلماذا تكون هذه الأقوال
الحكيمة لليونان ولا تكون للعرب ؟

(١) أسخف التعبيرات وأبعدها عن المقصود (٢) يحفظ يا مغيث !

مضى الـامس

نشرنا في العدد الماضي من المصور ابينا الدكتور عبد الله عبد
العزيز تحت هذا العنوان وقد بعث الينا الدكتور زكي ابوشادي بأبيات
يرد بها على الدكتور عبد الله ونحن ننشر القصيدتين ليخرج القاري
منهما جميعا بصورة واضحة يتجلى فيها متجه الشاعرين ونزعة كل منهما
الفكرية والروحية اذ ان احدهما يميل الى التشاؤم حينما الاخر يدين بالتفاؤل

(١)

أذكر - والدنيا أمامي مآتم ليالى والدنيا منى وبشائر
وهني ذكرت الراح - والسم في في أيغني عن التبريح ما أنا ذا كر ؟

مضى الـامس بالقلب الذي يرتجى المنى وعوضت قلبا كل ما فيه فاتر
سواء لديه خيره وضراره فلا هو بالشاكي ولا هو شاكر
وإن غدا - لوزف فيما يزفه - ألد وأشهى ما يرجيه خاطر
لأنجز أن يهدي الى القلب سلوة مضت ورجاء خيته المقادر
عبد الله عبد العزيز

(٢)

مضى الـامس لا تأسف طويلا لفقده فاني بذاك الـامس واليوم ساخر
وما ثرت عن وهم ولكن لآتي على الوهم في دنيا التناقض نائر
وساويت في عيني كل رجائها وخيتها حتى كأنني قاهر
وهبت فؤادي غير دنياي هذه فاني الى دنيا العظامم سائر
أعيش بروحي بل وجسمي عندها وأنقل عنها ما يرتل شاعر
وأضحك من جرحي بأمسى وحاضري فاني على تضميد جرحي قادر
وما كان عمري رهن دنيا متاعبي وما الحظ ما أملاه ماض وحاضر
أبوشادي

بَيْنَ الْبَابِ

ونشر في هذا الباب الرسائل التي دارت بين كبار
الأدباء والطرف التي تقال في مجالسهم ، تكميلاً للناحية
الناقصة ، وسداً للفراغ الناشئ عن إهمال هذه النواحي
التي يعتمد عليها المؤرخون في تسجيل تاريخ العصر الحديث .
ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفواً الخاطر ، فلم
يتعمد كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتنميق عباراتها لأنهم
لم يكتبوها للجمهرة من الناس بل لأصدقائهم خاصة .
وسيتعرف القراء من هذه الرسائل نواحي كثيرة كانت
جد خافية عليهم . فلعل أكثر القراء يجهلون مثلاً أن
للأستاذ العالم الجليل فريد وجدي بك شعراً ، والعصور
ترحب بكل ما يردها من حضرات الأدباء من هذه
الطرف ،

إلى الأستاذ العلامة فريد بك وجدي

ألا من لئار بين جنبي توقد إذا ما خبت أذكي لظاها محمد
وقلب أبي إلا مقاماً على الأسي تصدعه ذكرى خليط تبدد
فيا قلب حتام الهوى لك شاغل ويا جفن حتام المنام مشرد
أنه زفراقى وأحبس عبرتي فلا زفرتي تحبو ولا الدمع يجمد
أرى كل حسن في الوري مذكر أبكم فؤادي ، فشوقي نحوكم ليس ينفد
يذكرني طيب الرياض وحسنها شمائل ينسى الروض فيها ويزهد
ويذكرني ضوء الصباح إذا بدا يجلي ظلام الليل والليل أربد
براهين تجلو الشك — وهو مطنب ، ويعلوها صرح الهدى ويؤيد
فلا زلت ذخراً للبلاد فأتما بأمثالكم ترقى البلاد وتسعد

أحمد الزين

إلى الأستاذ الشاعر المجيد أحمد الزين

وفت يتقاضاها ولاء وموعد ووفيت بمجد ونى غرام بمجد
 فإيه أيازين القريض ومجده وأنت لما أرجو بآيه لأرشد
 أقمت صروح الشعر بعد انهيارها فقر بك الطائي واعتز أحمد
 وما زلت حتي جددت قديمه بمجدك، وازدان الطريف المولد
 أراث كتابي عنك شغل تراحت كتابته ترمى إلى وتصمد
 وإنى أدري بالذى يستيخني وما هو إلا العلم بالله والهدى (١)
 فدونك من قلب حواك تحية يكرها نفع الصبا ويمجد

محمد فريد وجدى

إلى الأستاذ عبد الله عبد العزيز (٢)

أخى :

الآن وأنا أكتب اليك — أذكر جملتك التي قلتها لي حين تحرك القطار، وأنت
 مسافر إلى فرنسا — :

« هنا ياسيد مفترق الطرق . »

نعم ، كان مفترق الطرق ، يا عبد الله ، فهل يتيح لنا الزمن أن نذهب إلى فرنسا — كما
 ذهبت — وتمعن بأحاديثك المعجبة في تلك البلاد المشرقة بالحياة .

لقد طالما دارت بنفسى هذه الأمنية منذ زمن الطفولة ، حتى قلت — وأنا في
 العاشرة من عمري — متمثلاً أنني قد طفت أرجاء البلاد — :

وطفت بلاد الله شرقاً ومغرباً كأن زمام الدهر طوع بئاني
 وتمعنت بالأسفار نفساً مشوقة لرؤيتها قبل انقضاء زمانى
 ولعل هذا أول شعر قلته في حياتى .
 وبعد فتي نراك يا أخى !

(١) الفرح والسرور

(٢) من رسالة كتبها الأستاذ سيد إبراهيم إلى الدكتور عبد الله عبدالعزيز حين
 كان في مونيخ

أخى قد مرت الساعات والأيام تلوها
ولم تنعم بليقاك ولا بالكتب توليها
فهل أشجتك مصر اليوم أم هل أنت ناسيها؟
وهل تذكر أيامنا نعمنا مدة فيها
فطوراً في شوارعها وطوراً في حوارها
وطوراً في حداثتها وطوراً في ضواحيها
وطوراً في معامدها وطوراً في ملاهيها
أنتسى هذه الأيام ، أم أشجاك ماضيها؟

أخى إن البقاء الزر في الدنيا لأهلها
وما تنعم بالذات ، بل تشقى بما فيها
فهل يدخر الخير لغير الناس باريها
تساوى الحلو والمر وباديها وخافها

متى تجمعنا الدنيا متى تصفو ليلها
إذن أغفر للدمر ذنوباً لست أحصيها

« سيد إبراهيم »

إلى الأستاذ الهراوى (١)

أبت زفرة المشتاق إلا تصعدا وإن كنت لا تزدد إلا تجلداً
أأذود حفونى أن ترى النوم بعدكم فما بالكم بعدى تطيون مرقداً
وتسكب عينى الدموع لبيدكم فما لما قىكم على البين جحداً
تذكر زماناً قد تولى بغبطة وعيشاً لنا ما كان أحلى وأرغداً
لعلك يوم البين أجريت عبرة على بعد من لو بنت كان لك الفدا

(١) من كتاب بحث به الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ محمد الهراوى

أعاتب من لو كان يشهد لوعتي
 يرق لي الأصباح أن ير عبرتي
 وما عيش من لا يطرق النوم جفنه
 يود لو أن الليل أبطأ نجمه
 فوالهفا إذ يطلع الصبح مسفرا
 أرى الماء يصفو كي يذكرني أخا
 وتبسم لي الأزهار تحسب أنني
 لعل زمانا منك يوماً يعود لي
 عليه لأمسى النوم عنه مشردا
 فيسبح محزوناً ويمسي مسهدا
 فليس يرى غير الكواكب مسعدا
 ولست أرى - فيمن أراه - محمدا
 شمائله أصفى من الماء موردا
 أراها فأنسى بشره والتوددا
 فهدأ أشجاني وأشفى بك الصدى
 أحمد الزين

من الدكتور أبي شادي
 الى الاستاذ كامل افندي كيلاني

يا صديقي العزيز « كامل » حبيب
 ليس أسمى من المحبة إهدا
 وأراك الغنى عن كل شكر
 إن من طبعه المحبة والاذ
 ولو اخترت في اكتفاء مثالا
 فذاك الذي أضاف كالا
 وتحملت - في سنين توال
 واتخذت التواضع الحلو كالسنة
 فاذا أصبح الصغار أساتية
 فعليك الملام وحده في بع
 واذا أنكر الغبيون جدوا
 فلأنت الذي تسامى ولم يع
 ت بقلب وهبته صفو قلبك
 ء فهل لي سوى مجارة حبك
 كغناء الضياء والطيب عنا
 صاف يغني بطبعه حين يغني
 لوفاء لعشت سيد خلق
 من نبوغ إلى مكارم خلق
 كتوالي الأعباء - تهذيب جيل
 ر لما قد وهبته من جميل
 ند وما زلت أنت محض الأديب
 شك جنب الأريب غير الأريب
 لك وأمثالهم مثال الجحود
 بأ بما قاله شيوخ القرودا

عزاء (١)

عزاء ، فثلك — إن يمتحن — تكشف عن جوهر منتخب
له من عقيدته مفزع ومن حسن إيمانه محتسب
وإن له الجول (٢) الخالدا ت ، يبيض منهن وجه الأدب

محمد فريد وجدى

(١) بعث الأستاذ محمد فريد وجدى بك بهذه الأبيات إلى الأستاذ أحمد الزين

يعزبه بها في خاله. (٢) القصائد التي تجول البلاد



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الإشتراكية

أقوم ببحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

نظرات في تاريخ الاسلام

« وأشترط على نفسى أن لا أتعرض لذكر ما أعتمده فيما أجده
مخالفا لما اعتقده ، فان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ،
« فخر الدين الرازى ،

(٣)

ومن ثم ترى أن الحزب المناوىء للإسلام لم يهدأ له بال حتى أخضع المدينتين
المقدستين اخضاعا ، وحتى جعل مسجد المدينة اصطبلا ، وحرق الكعبة ، وأذل أبناء
مؤسسى الاسلام إذ لالا وأرغم أنوفهم ارغاما .

ولقد دخلت تلك الفئة القليلة فى الاسلام مرغمة كارهة فى جملة من دخل فيه من
العرب ، ثم عرفت فيما بعد كيف تدفع ثمن هذا النصر المضاعف ، غالبا .

وما كان عصر بنى أمية كله إلا انتقاضا وثورة على الاسلام وانتصارا للبدا الوثني
ولقد كان الخلفاء أنفسهم — اذا استثنينا الشاذ منهم — لا يابهون للدين ، وان
شئت فقل انهم كانوا من الجاحدين ، الا ترى إلى أحدهم — وهو الوليد الثانى ، كيف
يطوح به الاستهتار الى أبعد مدى ، وكيف يذهب الى صلاة الجماعة مصطحبا معه
بعض محظياته ، وكيف يتخذ من المصحف هدفا له يخرقه بالشباب (١)

(١) قالوا انه فتح المصحف ذات يوم فرأى فيه قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد ، فغضب ومزق المصحف واهوى به الى الأرض وخرقه بالشباب
وهو يقول — :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر ققل : يارب مزقنى الوليد

وتهتك الوليد واستهتاره مما لا يحتاج الى تنويه ، وان تغالى أعداؤه فى اضافة شنع
الى شنعه ونسبة مخاز الى مخازيه ، والوليد هو القائل لما أحاط الثائرون بقصره — :

ولقد كانوا لا يرجون باسلام من يسلم من الأمم التي يخضعونها؛ من مسيحي الشام وقبط مصر، ومن الفرس وبرابرة شمال أفريقيا، وكانوا لا يهشون لاسلام هذه الشعوب نظراً لما يعرفونه من الباعث الحقيقي الذي يدفع جمهرتهم إلى التظاهر بالاسلام

دعوا لى و هندا ، و الرباب ، و و فرتنى ،
ومسمعة حسبي بذلك ما لا
خذوا ملككم لاثبت الله ملككم
فليس يساوى بعد ذاك عقالا
وخلوا سبيلى و قبل عيروما جرى ،
ولا تحسدونى ان أموت هزالا
يريد بالبيت الأخير : و اتركوا لى هذه الأشياء ثم خذوا الملك منى بعد ذلك
فانى أتركه لكم فى الحال ولا يهكم من أمرى شىء بعد وقوله و قبل عيروما جرى ،
مثل يضرب للسرعة
ولقد كان الوايد متهمكا مستهترا يميل الى مراغمة الناس و يجاهرهم بعصيانه
و آثامه واحتقاره ماتواضعوا على احترامه
قالوا : و كان شجاعا شديد البطش طويل أصابع الرجلين و كان يوتد له سكة
حديد فيها خيط ويشد الخيط فى رجله ثم يشب على الدابة فينتزع السكة و يركب
دون أن يمس الدابة بيده ،

حدث بعض الموالين للوليد فقال — :

كنت عند و هشام ، وعنده الزهرى فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيا شديدا ولم
أعرض فى شىء بما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له - وأنا أعرف الغضب فى وجهه
فجلس قليلا ثم قام

فلما مات هشام كتب فى فحملت اليه فرحب بى وقال :

و كيف حالك يا ابن ذكوان ؟

وكان مفروضاً على كل فرد لا يدين بالاسلام من الأمم المغلوبة في البلاد التي فتحها المسلمون أن يدفع الجزية ، فاذا أسلم فقد أعفى من أدائها في الحال . وكان هذا الاعفاء من أكبر أسباب الدعاية للاسلام ، وقد دخل ملايين من الناس في دين

والطف المسألة بي ثم قال — :

أتذكر يوم الاحول ، هشام الخليفة ، وعنده الفاسق ، الزهرى ، وهما يعيناني قلت أذكر ذلك فلم أعرض في شيء مما كانا فيه ،

قال — : صدقت أرايت الغلام الذي كان على رأس هشام ؟ ، قلت : نعم ،

قال : فانه نمي الى ما قالوا ! وايم الله لو بقى الفاسق لقتله ،

قلت ، قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت ! ،

ثم قال — :

، يا ابن ذكوان ! ذهب الأحول بعمرى ! ،

فقلت — :

بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتع الأمة ببقائك فدعا بالعشاء فتعشنا وجمات المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا ، وجلس ، قال : ، اسقني ، فجاءوا ببناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصصفن بين يديه بيني وبينه ، ثم شرب وذهبن فتحدثنا

واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولاً

فما زال على ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً . ،

نقول : ولعل هذا من أعف مجالس الوليد ، ونحب أن لا ينسى القارىء أن راوى هذا الخبر ليس من أعداء الوليد ولا من المتحاملين عليه .

على أن الوليد أخباراً أخرى لاسيلاً لنا إلى ذكرها في هذا المقام لشناعتها وفحشها

الاسلام أفواجاً رغبة في التخلص من دفع الجزية وكان لهذا الاعتبار أكبر الأثر في إقبالهم على هذا الدين . وقد قلل ذلك من خراج الدولة ، ونقص من بيت المال . فقد وصل الخراج الذي يجبونه من مصر في زمن عثمان نفسه إلى أكثر من ضعفه بعد وفاة معاوية ، بزمن يسير . بسبب تهافت قبط مصر على الاسلام . وكان بعضهم يقبل على الاسلام لأنه ممن لا يرون للدين في نفوسهم خيراً . وبعضهم يسلمون حباً في المال وهرباً من الجزية ، وقد وضع الخلفاء قيوداً وشروطاً للدخول في الاسلام . ورفض كثير منهم أن يعفى المسلمين الجدد من دفع الجزية محتجاً بأنهم لم يسلموا عن اخلاص ، وأن اسلامهم ليس إلا صورياً وأنهم لا يؤدون شعار الاسلام .

وكان الخليفة عمر الثاني (١) هو الأمير الوحيد الذي كان مثالا للتعق و صحة الدين فلم يأبه للمال وكان قلبه عامراً بالايان والتقوى . وقد بذل وسعه في نشر الدعوة إلى الاسلام دون أن يعنى بزيادة الخراج الذي كان هم غيره الوحيد .

ولقد قال له بعض عماله : —

« إذا سارت الأمور في مصر على هذه الوتيرة فسيصبح كل مسيحيها مسلمين ، وسنفقد بذلك كل الخراج ! »

فقال له عمر : —

« لو أسلم كل مسيحي فيها لكان ذلك أكبر سعادة تتطلع اليها نفسي ، فقد أرسل الله رسوله للناس هادياً ونبياً ، ولم يرسله اليهم ليجمع الخراج ويحجب الضرائب : »

ومن آيات استهتار الوليد بكل شيء مما تواضع الناس على احترامه ، ذهابه إلى صلاة الجمعة وهو سكران وارتجاله أرجوزة بدل خطبة الجمعة

وقد ذكر له أبو العلاء في رسالة الغفران — كما ذكر له ابن القارح في رسالته إلى أبي العلاء — شنماً يستطيع القارىء أن يرجع اليها ان شاء . ومن رأى أبي العلاء أن الوليد — مع استهتاره — ليس بدعاً في الخلفاء وأن له أشباهاً ، لا فرق بينهم وبينه إلا أنهم يستترون وبجواهر بعضيانه .

« المترجم »

(١) عمر بن عبد العزيز .

وبمثل هذا أجاب عامل خراسان أيضاً حينما شكاه اقبال الكثيرين من الفرس على الدين الاسلام لالشيء سوى رغبتهم في التخلص من دفع الجزية ، وقال له: إنهم لا يحتنون أيضاً ،

فأجابه الخليفة

إن الله قد أرسل محمداً هادياً للناس الى الطريق السوى ولم يرسله اليهم ليعلمهم الاختان ، فهو لم يشدد في تنفيذ هذه الامور بدقة لالانه يجهل أن أكثر الداخلين في الاسلام غير مخلصين في ذلك ، ولكنه لالانه يعلم - وهو محق فيما ذهب اليه - أن أبناءهم وأحفادهم سينشأون في مهد الاسلام ويكون منهم المسلمون الصادقون ، الذين قد يفوقون العرب أنفسهم في الصلاح والتقوى . للكلام بقية ،



اطلب من دار المصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة وطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

سَنَابِلُ وَأَرْهَافُ مُحَنَّا زَا سَمِزْ أَلَدَبْ

منازعة اعرابية ابنتها (١)

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لاند البينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وانما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالارض لزارعينا
نبت ماقد زرعوه فينا

بكت فلم أثن (٢)

إذا مراد الغزولم ثن همه حصان عليها نظم دريزينا
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت ، فبكي مما شجاها قطينها

(١) قالتها اعرابية رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الى بيت قريب منها ، فكانت تناغي ابنتها بتلك الايات
(٢) قالوا : إن عبد الملك بن مروان كان يوجه إلى مصعب جيشا ، بعد جيش فيهمز مون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه ، أمر الناس فمسكروا ، ودعا بسلاحه فلبسه فلما أراد الركوب قامت اليه أم يزيد ابنة . وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية فقالت : يا أمير المؤمنين ! لو أقت وبعثت اليه لكان الرأي ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ! ، فلم تزل تمشي معه وتكلمه ، حتى قرب من الباب ، فلما يشست منه رجعت فبكت و بكى حشمها معها ، فلما علا الصوت ، رجع اليها عبد الملك ، فقال : وأنت أيضا من يبكي ، قاتل الله كثيرا ، كأنه كان يرى يومنا هذا . حيث يقول ، وأنشد البيتين الاولين من تلك الايات ،

ولم يشته يوم الصباية بثها غداة استهلكت بالدموع شؤونها
ولكن مضى ذو مرة، مثبت بسنة حق واضح مستينها
كثير

خلافة عبد الملك

أحاطت يده بالخلافة — بعدما أراد رجال آخرون اغتيالها
فما أسلموها — عنوة — عن مودة ولكن بحمد المشرقي استقالها
وكنتم . إذا نابك يوماً ملة . نلت لها (٢) أبا الوليد نبأها

سموت فأدركت العلاء . وإنما يلقي عليات العلا من سما لها
وصلت . فالت كفك المجد كله ولم تبلغ الأيدي السوامى مصالها
كثير

رثاء (١)

هذه الأرض أمنا وأبونا حملتنا بالكره ظهرا وبطنا
إنما المرء فوقها . هو لفظ فاذا صار تحتها . فهو معنى
لو رجعنا إلى اليقين . علنا أتنا في الدنا نشيد سجننا

إنما العيش منزل . فيه بابا ن ، دخلنا من ذا ومن ذا خرجنا
وضروب الأطيال لوطرن ماطر ن فلا بد أن يراجعن وكنا

يحسب الهم عمره كل حول فاذا استكثر الحساب تمنى
مبتدانا ومنتهانا سواء فلماذا من الأخير عجبنا ؟

(١) أعددت وأخذت أهبتك لها

(٢) من نظم صردر في رثاء ابى نصر بن صميلة صاحب الديوان

فوجدنا من بعد ما قد عدنا وعدنا من بعد ما قد وجدنا

قد رأينا، وقد سمعنا لو ان النفس ترضى عينا وتأمنا أذنا
خدعات من الزمان — إذا أب كين عينا منهن، أضحكنا سنا

لو درت هذه الحمايم ما بد رى لما رجعت على النفس لحنا
صابع الأسهم الصوائب لم يخ لمق لأهدافهن - عمد - ربحنا
تواري بالسابري وننسى من وراء الضلوع ضربا وطعنا
مورد غص بالزحام، فلولا سبق من جاء قبلنا لوردنا

وأدرى الدهر مفردا - وهو في حا ل - يشن الغارات - هنا وهنا
ما عليه لو أنه كان أبقي من أبي نصر المذهب ركنا
والدا للصغير برا وللترب أخا مشفقا وللا كبر ابنا
ما مشت في فواده قدم العش، ولا أسكن الجوانح ضغنا
إن يكن للحياه ماء، فما كان له. غير ذلك الوجه مزنا

أغمض العين. بعده. فغريب أن ترى مثله، وأين؟ وأنى؟
فالقصور المشيدات تعزى والقبور المبعثرات تنهى
صردر

قيس بن رفاعه يفخر بنفسه (١)

من يصل نارى بلا ذنب. ولا ترة يصل بنار كريم غير غدار

أنا النذير لكم منى - مجاهرة - كى لا ألام على نهى وانذار

(١) قالوا: لما قتل عبد الملك - مصعب بن الزبير، دخل الكوفة، فصعد المنبر،

فان عصيتم مقالى - اليوم - فاعترفوا أن سوف تلقون خزيًا ظاهر العار
 لترجعن أحاديثًا ملعنة لهو المقيم، ولهو المدجج السارى .
 من كان فى نفسه حوجاء (١) يطلبها عندى، فانى له رهن باسحار (٢) .
 أقيم عوجته - إن كان ذا عوج - كما يقوم قدح النبعة البارى
 وصاحب الوتر، ليس الدهر مدركه عندى، وإنى لدراك بأوتار

نادرة

قال أبو على الفارسى:

دخلت مع شيخنا أبى اسحق الزجاج على القاسم بن عبد الله الوزير فورد اليه
 الخادم . فسارده بسر استبشر له ، ثم نهض ، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفى وجهه
 أثر الوجوم ، فسأله شيخنا عن ذلك - لأنس كان بينهما - فقال له : « كانت تختلف الينا
 جارية لاحدى القينات ، فسمتها أن تبيعنى إياها فامتعت من ذلك ، ثم أشار عليها
 أحد من ينصحها ، بأن تهديها إلى رجاء أن أضعف لها ثمنها ، فلما جاءت أعلبنى الخادم
 بذلك فنهضت مستبشرا لافتضاضا فوجدتها قد حاضت ، فكان منى ما ترى .
 قال : فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه ، وكتب :

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ثم قال :

« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب
 وزبناها (دفعتنا ودفعناها) ، فعفرناها والفناها ، فحن بنوها وهى أمنا .

أيها الناس : فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فراق
 جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعلمون أعمالهم ،
 ولا أظنكم تزدادون - بعد الموعظة - إلا شرًا ، ولن نزداد - بعد الاعتذار اليكم
 إلا عقوبة ، فن شاء منكم أن يعود بعد مثلها فليعد ، فانما مثلى ومثلكم كما قال قيس
 ابن رفاعه : (وأشد تلك الآيات)

(١) حاجة (٢) بروز إلى الصحراء ، أى أنى لا أختفى منه ولا أستتر عنه

فارس ماض بحرته حاذق بالطعن في الظلم
رام أن يدي فريسته فاتقته من دم بدم (١)

(١) ولهذه القصة رواية أخرى ، وهي أن المأمون حين دخل على بوران بنت الحسن بن سهل — بعد أن عمل لها من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله — وجدها حائضاً ، فتركها فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب ، وقال يا أمير المؤمنين : هناك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة والظفر بالمعركة ، فأنشده المأمون :

فارس ماض بحرته صادق بالطعن في الظلم
رام أن يدي فريسته فاتقته من دم بدم



الاربعمان

قصيدة لافوننس دى لامرتين



أيها العدم ! أيتها الهاوية الصامتة التي خرجت منها ، وسأعود
إليها ، لماذا تركت المرء يفات منك ؟ فقد كنت أنام في أحضانك نوماً
عميقاً ، لا تزعجه أحلام ، ولا تخيفه يقظة ، نوماً هنيئاً وأنا ملتحف
بالنسيان الابدى في أزلية اللانهاية ، دون أن ترى عيني هذا النهار
الزائف الذى أمقته ، وهذه الحياة التي لا أجديها ، غير شقاء يتكسد
فوق شقاء ، وتعاسة تزحم تعاسة .

لقد شاءت الأقدار أن آتى إلى هذا الوجود ، ولو خيبرت لا أثرت
البقاء في غياب العدم ، ولكن أئننى للإنسان أن يؤبه برأيه ، فقد
حكم عليه أن يرى الحياة ، ولا مردّ لحكم القضاء ، فما ذلك الشفق
البادى لأول مرة ؟ وتلك اليقظة المضطربة ، يقظة المخلوق الذى يجهل
نفسه ؛ وهذا القضاء المتمدّد أمامه ؟ وهذه النظرات العميقة ، التي يلقيها
المرء مسائلاً السماوات ؛ وهذا الافتتان المبهّم والامل الذى يملأ
الجوانح ؟ ... كل هذا يبهّر بصره ، وهو لم يزل بعد على عتبة
الوجود ، وفي فجر الحياة .

سلاماً ! أيها المقرّ الجديد حيث ألقانى الزمن ، سلاماً أيتها
الكرة الشاهدة لما يخبئ لى المقدور بين طيات الغيب ، سلاماً أيها
المصباح القدس المغذى للطبيعة ، أيتها الشمس الحبيبة الاولى لكل كائن
حى ، سلاماً أيتها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ، وأنت أيتها الارض

مَهْمَدُ الْإِنْسَانِ . لَأَنْتَ قَصْرٌ مُسْنِفٌ يَقْضَى فِيهِ الْمَرْءُ حَيَاتَهُ الْفَانِيَةَ ،
ثُمَّ يَنْحَلُّ غُلَافَهُ إِلَى ذَرَآتٍ ، تَنْدَغَمُ فِي ذَرَائِكَ .

سَلَامًا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، الْآتِ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الْفَانِي عَلَى كَرِّهِ مِنْكَ ،
إِنَّكَ بَخْدِي وَآخِي ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْكَائِنَاتُ ، يَا أَدَاةَ سَعَادَتِي وَهَنَائِي ،
— إِذَا كَانَ كَمِّ هُنَاءٍ وَسَعَادَةٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ — سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي
خَطَّ لَكَ ، غَيْرَ عَابِثَةٍ بِشُعُورِ يَتَأَلَّمُ ، وَأَمَالَ تَحْطِطُ ، فَقَدْ أَضَفْتُ
بِمَجِيئِي إِلَيْكَ ، قَلْبًا إِلَى تِلْكَ الْقُلُوبِ الْكَاسِيَةِ ، وَفَوَادًا إِلَى تِلْكَ الْإِفْقَةِ
الْمَنْسُحَقَةِ .

إِنَّهُ لِحَكْمٍ لَذِيذٍ ، يَسْتَأْثِرُ اللَّبَّ ، وَيَسْتَهْوِي الْمَشَاعِرَ ، وَلَكِنَّهُ :
وَأَسْفَاهُ ! لَمْ يَخْرُجْ عَنْ كَوْنِهِ حَامِلًا فَقَدْ بَدَأَ قَرِيبًا ، وَانْتَهَى وَشِيكَاً ، لِأَنَّ
الْأَلَامَ الْمَبْرُوحَةَ فَتَحَتْ لِي قَبْلَ الْإِوَانِ ، أَبْوَابَ الْقَبْرِ ، الَّذِي يَتَطَلَّعُ
إِلَى وَيَدْعُونِي ، فَسَلَامًا يَا يَوْمَ الْآخِرِ ، وَكُنْ لِي أَجْمَلَ يَوْمٍ اكْتَحَلْتَ
بِهِ عَيْنَايَ فِي رِحْلَتِي الْأَرْضِيَّةِ .

لَقَدْ عَشْتُ ؛ لَقَدْ قَطَعْتُ مَفَازَةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ ، حَيْثُ تَذْبُلُ دَائِمًا
تَحْتَ قَدَمِي ، كُلُّ زَهْرَةٍ مِنْ أَزَاهِيرِ الْهِنَاءِ ، حَيْثُ دَائِمًا الْإِمْلُ يَخْدَعُ
الْإِمَانِي ، مَظْهَرًا إِلَى السَّعَادَةِ فِي أَفْقٍ خَافِقٍ مُضْطَرِبٍ ، حَيْثُ أَنْفَاسُ الْمَوْتِ
الْحَارِّ تُسَبِّسُ تَحْتَ شَفْتِي كُلَّ الْيَنَابِيعِ الْعَذْبَةِ الْبَارِدَةِ .

وَلَقَدْ أَرَى غَيْرِي يَذُوبُ حَسْرَةً عَلَى مَا وَلَّى مِنْ حَيَاتِهِ ، فَيَلْتَمِسُ
مِنَ الْمَاضِي عَوْدًا ؛ بِأَكْيَا عَلَى فَجْرِ رُبَيْعِهِ الْآفِلِ ، نَادِبًا الْإِوِقَاتِ الَّتِي
اقْتَطَعَهَا الزَّمَنُ مِنْ حَيَاتِهِ ، كَأَنَّ الْعَيْشَ بِهِجَةً وَصَفَاءً ، لَا تَعَاسَةَ وَشَقَاءَ .
أَمَّا أَنَا ، فَلَوْ أَنَّ الْقَدَرَ بَدَّلَ غِنَى مُنَى النَّفْسِ وَأَمَانِيهَا ، وَحَبَابِي

بالثراء والسؤدد والمجد ، واعطاني كل مفاخر العالم ، ومنحني الحكمة
والجمال والصبا الخالد ، لأعرضت عن المنسج غير آسف ، لاني لا اصبو
الى العيش في دنيا زائلة فانية ، تدبل ذبول وردة عند لفح السموم ، دنيا
كل ما فيها مضطرب مشوش مبسهم ، فالذكرى الخالدة تبلى فيها ويعفو
أثرها ، ويوم الهناء لا تبرغ فيه شمس ؛ ولا يعقبه غد

أيها الالهيب الذي يفترسني ، أيها الروح ، أي شيء أنت ؟ هل
ستحيا بعدى ؟ هل ستتألم اذا تركتك ؟ أيها الضيف الخفي المستتر ،
ماذا سيحل بك بعد هجرى ؛ هل ستنضم الى مشعل النهار وتندغم فيه ؟
اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، أو شعاعاً نائهاً يرتد اليه ، ويعود
الى مصدره ، أو عصارة تقي كوتنها الارض ، أو طيناً نفخت فيه نسمة
الحياة ، أو صلصالاً حياً مفكراً ، . ولكن ماذا أرى ؛ لم ترتعد فرقاً ؟
أتخشى العدم وأنت تعب من الآلام ؛ أتخاف الحياة وترتجف من
الموت ؟

أيها اللغز الخفي ، من يملكك ، ويفسر أحاجيك ؟ عبثاً أصغى
الى أصوات حكماء العالم ، فالشك قد تطرق أيضاً الى هذه العقول الجبارة
اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صلصال كغيرها ، فنذ الفى سنة ونيف
افنى سقراط عمره باحثاً منقّباً ، واحتذى حذوه افلاطون ، ولكن عبثاً
وها أنذا اليوم أسعى وأبحث ولن أفوز بضالتي ، وستمضى ألوف
السنين ، وبنو آدم يتخبطون في الظلام الذي نحن فيه ، والحقيقة
الشاردة بمنجاة من قبضة أيدينا ، والله وحده يجمع كل أشعتها المتفرقة
والآن وقد أوشكت أن أنمض عيني عن نور هذه الحياة ، فلا

أجد اقل أمل يواسيني في ساعتي الاخيرة ، فستسير رُوحى دون دليل
ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ؛ الى ليل القبر الخالك ، حاملة
الى العالم المجهول ، فضائلى دون أمل ، وآلامى دون ثواب .

أَجِبْنِي أَيُّهَا الْقَضَاءُ الظَّالِمُ الْغَشُومُ — اِذَا كَانَ ثَمَّ شَيْءٌ يُسَمَّى قَضَاءً —
اذ لي الحق المشؤوم ان العن شرائعك ، فبعد كدّ النهار وتعبه ، يحق
للأجير أن يأوى الى ظلال الراحة والهدوء ويقبض كراهه ، ولكنى
عندما أنوء تحت حمل القَدَر ، لا يكون جزائى بعد مشقة الحياة وآلامها
غير الموت !



ولكن بينما فى يعبقِ بِنَسْنَسِ الشك والتجديف، وعيناي تنظران
الى قبرى ، وتبكيان على نفسى ، استيقظ فى الايمان كأنه ذكرى لطيفة،
والقى شعاعاً من الامل على مستقبلى الكالح ، فأنعشنى تحت ظل الموت
والهب قواى ، واعاد الى أياى العتيقة شباب النفس وريعانها ، فصعدتُ
تحت ضوء هذا المِشعل المقدس ، من مغرب حياتى الى صباحها الضاحك،
وتجلى أمانى حظ الانسانية جمعاء ، وتبدى لناظرى نظام الكون البديع
وتسلسل اشياؤه المنسجم ، وقرأت فى صفحة المستقبل صواب الحاضر،
فاغلق الامل ورائى أبواب الصدم ، فاتحاً الأفق لروحى النشوى ،
ومفسراً بالموت لغز الحياة

وهذا الايمان الذكى ينتظرنى على حافة القبر، واأسفاه ! لقد تذكرته:
فقد حام فوق مهدى ، وهو الإِرْث الخالد لارض المسعاد ، يتركه الآباء
للأبناء من جيل الى جيل ، ويتقبّله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية آلهية

كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو اللبن المغذّي للروح ، ينسكب من
فم الام ، فيملأ جوانحنا ثقة ، وقلوبنا أملاً . يتغلغل الى الانسان في فصله
الغض ، فيشع نبراسه في الفؤاد ، قبل أن ينفثق الذهن ويعبى العقل ،
والطفل في مهده لا يكاد يتلفظ بمخرج الكلام ، حتى يتم قانونه السامى
فينمو في قلبه ، تحت رعاية الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ؛
دون أن يشعر به حتى تتأصل جذوره ، فيورق ويشمر .

حبذا لو أن الحقيقة جعلت لهذه الارض ، فقد عرّضت على
أظارنا منذ طفولتنا ، واتسلت الى نفوسنا من كل جهة ، عن طريق
الحواس ، كما يتسلل الشعاع الطاهر ، من الالهيب السماوى ، فقد أحاطت
بنفوسنا منذ انبثاق جرحها ، وانحدرت الى قلوبنا من مداركنا ، فانضمت
لتذكارنا ، وذابت في أخلاقنا ، كحبة مخضبة يدثرها الشتاء ، فتنبت
في أفئدةنا طويلاً قبل أن تفرخ ، حتى اذا جاوز الانسان صيفه المملوء
اعصاراً برزت أغصانها ، وتفتحت اكمامها ، واينعت انوارها الالهية للخلود .
أيتها الشمس السرية ، مصباح العالم الآخر ، أعيرى عيني المطفأتين
نورك الرمزي . انبعث من احضان العلى أيها الشعاع المعزى ، أشرق
في قلبى أيها الكوكب المحيى . لهف نفسى ، ليس لي غيرك في ساعاتى
العصبيه ، فهذا العقل الانسانى سراج ضئيل ، يخبو كالحياة على أعتاب القبر ،
فتعال لتحل محله أيها النور السماوى ، تعال لتفيض على جفنى يوماً لا سحب فيه
أعضىنى عن الشمس التى لن أراها فيما بعد وأنرّ الافق كما ينير كوكب
المساء ، لأحظى بحياة سرمديّة خالده ، برهتها آجال ، وهنت يهتها اجيال .

نساء العرب والحرب

للنساء في الاسلام حضارة واسعة المدى مترامية الاطراف إذ نبغ منهن من
اشتهرن بالعقل والحكمة وسعة الاطلاع وكان لهن أكبر تأثير في الهيئة الاجتماعية
والانقلابات السياسية وضربن بسهم وافر في مختلف العلوم حتى ظهر منهن من
قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة في الدولة . فضلا عن المشتغلات
بالفنون الجميلة والكاتبات والشاعرات والطيبات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه
حتى أن جهابذة الرجال اخذوا عنهن وأجزن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر
المحدث والمؤرخ وأبو نواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلاني المؤرخ
وغيرهم مما لا تتسع هذه العجالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء النابغات منهن منذ صدر الاسلام الى وقتنا هذا .
وسندلى بشذرات صغيرة عن اشتراكهن في ميادين القتال ومداوتهن الجرحى
واكبابهن بما لهن وحلبن لمساعدة الجيوش

غزوة بدر — سنة ٢ هـ — ٦٢٤ م في هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت
نوفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لي في الغزو معك امرئض مرضا كم
لعل الله يرزقني الشهادة . قال قومي في بيتك فان الله عز وجل يرزقك الشهادة . فكانت
تسمى الشهيذة

غزوة احد شوال سنة ٣ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من ابطال هذه الغزوة أم
حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبد الله تملأ الماء في القرب وتسقى الجيش
وبينما كان المسلمون يتقاتلون كانت النساء في حصن حسان بن ثابت ومعهن
صفية (٢) عمة النبي صلى الله عليه وسلم وإذا يهودى يطوف بالحصن فنزلت صفية

(١) الأجازة بمثابة الشهادة في عصرنا

(٢) في تاريخ الاسلام للذهبي أنها كانت يوم الخندق

وأخذت سيفاً وقيل هراوة فضربت اليهودى حتى قتلتها.

غزوة تبوك — سنة ٦٣٠ هـ ١٢٠٠ م فيها اعان النساء الجيش بكل ما قدرن عليه وقدمن

لرسول الله صلعم معاضد وخلاخل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين فى جهازهم
والناس فى عسرة شديدة

فتح اليمامة — سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٠ م من نابغات النساء فى هذه المعركة أم حبيب

نسيبة بنت كعب ظلت تقاتل حتى انصرفت وبها جراحات. وأم عمار بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ ٦٣٥ م اشترك فى هذه الواقعة الصبيان والنساء

مع المجاهدين فكان يدفن الشهيد وتحمل اليهن الجرحى لمعالجة كلوهم

ومن الشجاعات فى هذه الواقعة الحنساء الشاعرة. قاتلت ومعها نبوها أربعة

رجال فقالت لهم أول الليل

ويا بنى انكم أسلتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله الا هو انكم

لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم

ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلقون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل

فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عز وجل

ويا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا أصبحتم

غداً إن شاء الله سالمين إلى فاعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين،

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها، وجلت ناراً على

أرداقها، فلتيمموا وطيسها وجاللوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة

فى دار الخلود والمقامة، فخرج بنوها قائلين لنصحها عازمين على قولها. فلما أضاء لهم الصبح

بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا رحمهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعني بهم فى مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد

مائتا درهم حتى توفى.

ومن نظمها

تعرقى الدهر نهسا وحزاً واوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

وأقنى رجالى فبادوا معا فأصبح قلبى منهم مستقرا
ومن ظن بمن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
وفىها تقول

ونلبس للحرب أثوابها ونلبس فى الامن خزا وقزا
مرج الصفر — سنة ٥١٤ (٦٣٥ م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من المحرم
ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً
ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت
يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة اليرموك (سنة ١٥ هجرية — سنة ٦٣٦ م) فى هذه الواقعة انتصر المسلمون
انتصارا باهرا على الروم وكان للنساء فى هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء وإعجاب
فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخلن العسكر. منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام
ولقد كان لهن فى هذه الواقعة مواقف مشهودة واليهن يرجع الفضل فى نصرته المسلمين
ففى ميدان القتال بعد ان خطب ابوسفيان بن حرب فى الجيش مشجعا، رجع الى النساء
اللاتى مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وبنائهن
وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فالقيت بين أيديهن ثم قال لا يرجع
اليكن أحد من المسلمين الا رميته بهذه الحجارة وقلن له (من يرجوكم بعد الفرار
عن الاسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو. الله الله)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحى وطيسها تقهر بعض المقاتلين من المسلمين
فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم
بالحجارة

وفى أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكناف
من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربن
بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن أين أين عز الاسلام والامهات والازواج،
يعطف الذين انهزموا الى باقى صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شهد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو وأصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم في ذلك ينفشون ويقاتلون فنزل النساء بعمدهن من التل
فضربن وجوه الرجال . ونادت في الناس ابنة العاص (قبح الله رجلا يفر عن خليلته،
وقبح الله رجلا يفر عن كريمته)

وسمع نسوة منهن يقرن لستم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فترد المسلمون وزحف عمرو
وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون وحملوا على الروم حتى
اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر
ومن بطلات هذه الواقعة اسماء ابنة يزيد فأنها قتلت بعمود خباثتها تسعة ومنهن
هند ابنة عتبة ام معاوية بن ابي سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ ٦٥٨ - ٥٩ م

كانت بين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومعاوية، وكان للنساء فيها شأن يذكر
وكان يسمع نداء الزرقاء ابنة عدى وهي تحض على القتال وتوقد الغيرة في صدر
الجبان وتجعل الحياة رخيصة . ولكن هذه العجالة تضيق عن حصر كلماتها هي
ومن ساذكرهن

فما قاله

وأياها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبوا يا معشر المهاجرين على
الفصص فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا
يجهن أحد فيقول كيف وافى يقضى الله أمرا كان مفعولا . ألا وأن خضاب النساء
الحناء ، وخضاب الرجل الدماء . . .

ومنهن عكرشة ابنة الأطرش كانت متقلدة سيفا وتنادى في صفوف المجاهدين
وأياها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لا يرحل من
توطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها . فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا
تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على
طلب حقهم،

ومنهن أم الخير ابنة حريش فأنها كانت تحرض الفرسان على الثبات وتوَجِّع في

قلوبهم نار الحمية بما يهيجهم من الأقوال الحماسية، والمظاهر التي تلهب لها الصدور
غيره فمن قولها

«يا أيها الناس: اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم. ان الله قد أوضح لكم
الحق واثبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عماء مداهم. فإين تريدون
رحمكم الله. أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة في الاسلام، أم
ارتدادا عن الحق. أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو أخباركم ...

غزاة امرأة شبيب

وفي سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشبيب ابن يزيد بن
نعيم فبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله .
وكان يقاتل مع شبيب ام جهزة وامراته غزاة وكانت غزاة من الشجاعة
والفروسية بالموضع العظيم تقاتل في الحروب بنفسها . ولقد نذرت مرة لتصلين
في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وآل عمران فاقدمت على المسجد
في سبعين فارسا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها . وبرزت يوما للحجاج
فكشفته عن عسكريه وقصدت الراية فولى بين يديها منهزما وفي ذلك يقول من يهجو
أسد على وفي الحروب نعامه فزعاء تفزع (١) من صفير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
في سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبي كبشة فالتقى هو والريان النكري
بالبحرين. ومع الريان امرأة تقاتل اسمها جيذا وما زالت تقاتل حتى قتلت
وفي سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ - ٤١ م - خرج عشرون ألفاً من الروم ونزلوا ملطية
فاغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمام (٢) وقاتلن .
ولو الدرة رافع (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أراء جيدة في الحروب

(١) وفي رواية فتخاء تجفل من صفير الصافر

(٢) العمام . من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للاسلام وظلت موجودة

الى القرن الثالث عشر الهجري

(٣) توفي رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع المجاهدين وقد قن بمداداة الجرحى والقيام بخوانج الجيش ومنهن من تولى جراح المنجنيق وهو عمل شاق بمثابة عمل الطوبجي في الجيش

حرب الوهايين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائف ومعه ٢٠٠ جندي للغارة على تربة، لحرب الوهايين ولم يحصل من قبائل العرب مقاومة أشد مما اجراه عرب أبي جوم في تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب وصارت تجمع كل الوهايين الموجودين في الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم في الشمال . وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة، وكانت هي على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك ، فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهي المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره

وفي اليوم الثاني شرع طوسون وعساكره في التقهقر فاضطروا إلى ترك خيامهم وسلاحهم وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العساكر لو لأن شردمة من الخيالة استردوا مدفعاً وحفظوا به خط في الرجعة وتعطلت بعد ذلك الاجراءات الحربية بمائة عشر شهراً

(شذرات عن شجاعته)

أم عطية الانصارية تنسب . روى عنها أنها قالت غزت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى روى لنا الذهبي في تاريخه أن أسماء ابنة أبي بكر اتخذت خنجراً في زمن سعيد ابن العاص للصوم ، وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها . جرح فتى من العرب فجاء إلى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبداً . اذهب فخذ ثارك ، وأخرجته ولم تسقه . هذه بحالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات في القتال راعيت فيها الإيجاز اتقاء للبلل . وقد أعطتنا صورة واضحة عن شجاعته في عصور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن في الفتوحات الاسلامية ؟

حسن عبد الوهاب

تحفة الدهر

أوأم الهول

تزيّنت ويدُ الأيامِ قد رمتُ على الجبين سطوراً تُعانِ الرَّائِي
أن الزمانَ مشى يلهو بِمُخْلَقَتِهَا كما يعلو طفلاً صافي المَاءِ

لكنما الماء يصفو بعد حُلُكته وخلقَةُ المرء لا تُجلى ولا تصفو
فألها نخدع الشبانَ واهمةً أن الشبابَ بأرواح لها يهفوا!!

تزيّنت ثم غالتُ في تزيينها حتى بدتُ كفتاةٍ في فتوتها
لا فرقَ في الثوبِ، فالفستانُ مرتفعُ يعلو عن الجوزِ رب السامى لرُكبتها

كفاك! صوفى سنيناً قد عَبَثَتْ بِهَا وخلفى الفيدَ تلهو وحدها حيناً
كلُّ له وَقْتُهُ إن زادَ نَمَقُهُ كلُّ العيونِ ولو قد زادَ تزيينها

الحُسْنُ من نعمة الرحمن مَوْهبةٌ لافي المساحيق، أوفى حق سيمون (١)
إن كان يبقى جمالٌ في طلاوته يبقى الطلاء على وجهٍ بلا حين (٢)

صوفى السنينَ فقد أصبحتُ صورةَ ما يسامر الرَّمْلَ في صحراوة الجيزة (٣)
وخبرى الناسَ عن (ميناء) إذا سألوا في مصرَ، أو سألوا في الصينِ عن (بوذا)
حسن كامل الصيرفي

(١) حق سيمون : هو كريم سيمون المعروف ويعلمون عنه أن فيه سر الجمال

(٢) بلا حين : بلا وقت محدود

(٣) هو أبو الهول

مفتاح القلوب

الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى فى طليعة الشعراء المجددين فى مصر بل فى العالم العربى . وكل دراسته للشعر الحديث لا تتناول أجزاء ديوانه الخافل تكون فى اعتبارنا ناقصة . وقد أصدر حتى الآن سبعة أجزاء عامرة من نفيس الشعر ، وهذه القصيدة الوجدانية البديعة من الجزء الثامن المحفوظ ، ونحن ننشرها مقتطعين شاكرين لانتوبها بفضل هذا الشاعر الجليل الذى تكفيه مدى العمر فتوحاته الماضية .

هل عندك الخبرُ والخبرُ عن مُعلنِ السرِّ يا قَدَرُ ؟
فَهَبْ لى أَتَقِ الأَعادى وأُعرفُ الصّادقَ الأَبْرُ !
من قَبْلَ أنْ أنقَمَ العوادي وألقِ الصّابَ والصَّبْرُ
فَأُعرفِ الحافِزاتِ طَرّاً الى المودّاتِ والسَّيرُ
باطالما غرّنى ابتسامُ كى باسمِ قلبه كُشِرُ !
قد حِرْتُ دَهراً وحارَ مِنى قَوْمُ نِهَابِ الذى استَسِرُ !

هل عندك الخبرُ والخبرُ عن مُعلنِ السرِّ يا قَدَرُ ؟
ليقرأ العاذِلونَ غيبي ويأمنَ الحبُّ إنْ نَفَرَ !
واحرَّ قلبى إذا تَناءى وخالى الغادِرَ المَكْرُ !
فيُعرفُ الخَلُّ أنَّ قلبى أَصْفى من العَذبِ فى الغُدرُ
قد أخفقَ الحبُّ فى بيانِ وأخفقَ اللَّحْظُ والبَصْرُ
وأخفقَ العيشُ وهو سِفْرُ يُشَلِّى على الحازمِ العَدِرُ !

هل عندك الخبرُ والخبرُ عن مُعلنِ السرِّ يا قَدَرُ
عبد الرحمن شكرى

الامبراطور ابو مسلم

ومقالات (القتل السياسى فى الاسلام)

كنا أردنا وضع حد لهذا العبث التاريخى بعد أن نبهنا فى عدة ردود على هذه المقالات التى تكتب تحت عنوان القتل السياسى فى الاسلام بجريدة السياسة الاسبوعية. وأن هذه الحقيقة تنحصر فى نقط محدودة من التاريخ الاسلامى فى القرن الاول للهجرة. وأنه لمن الخطأ الواضح الاسترسال فى ايراد القصص التاريخية معنوة هكذا ولكن بعد أن محضنا النصح فلم يسمع لنا ماضرنا أن يسرد تحت هذا العنوان جميع القصص التاريخية منذ بدء الخليقة إلى برقيات آخر ساعة من حوادث العالم وحتى تاريخ أوروبا القديم والحديث والثورة الفرنسية و نابليون وما أشبه ذلك، كما أنه ماضرنا أن نستمر فى ملاحظتنا على هذه المقالات لامن باب الاهتمام بشأنها وإنما لتسلى بما فيها من مفساف

اعتدنا فى ردنا على صاحبنا أن ننقل بعض عباراته حرفياً ثم نناقشها منطقياً دون اقتيات أو تحامل وهاك أول ما بدأ به من المقال المعنى بهذا الرد قال أتقدم اليك بشخصية من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها. وأنا لا أعرف رجلاً قد تذوق شيئاً من المنطق والتاريخ يذهب إلى أن شخصية أبى مسلم من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها إلا إذا كان لم يعرف من التاريخ غير أبى مسلم وإلا فأين أبو مسلم هذا من الحجاج بن يوسف وهو تلك الشخصية الفذة التى حملت من اعباء الحوادث ما ينوء تحتها آلاف أبى مسلم وأخضعت من رقاب كانت تطاول الجوزاء ونكست من رموس ما كان لتتكسها سطوة كسرى ولا جبروت قيصر وأرغمت أنوفاً لم تكن راغمة لولا عزيمة من الحجاج تكل دونها عزمات الرجال ذلك؟ الرجل هو ذو الشخصية التى يقال عنها بحق إنها من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها، ومن الغريب أن الحجاج تقدم فى بحوث صاحبنا قبل ذكر أبى مسلم، فلم وقع نظره على هذا الاخير وتقدم به

مقرونة شخصيته بشخصية الامبراطور نابليون ، ومالك يا هذا ونابليون في ذكر أبي مسلم وغير أبي مسلم من عمال وأجراء ومسخرين يعملون لمجد الغير وليس لهم مطمع في أن يستقلوا بهذا المجد بل ولا ما كانت لتجرى به ألسنتهم إلا مقرونا باسناده إلى أهله والتوسل بهم في انجاح مسعاهم. فهل كان ذلك شأن نابليون في حياته التاريخية ؟ أم أن لنابليون شأن آخر غير شأن أبي مسلم من استقلال وعظمة وسؤدد وعبقريّة فذة في الاصلاح الاجتماعي والسياسي والاداري وغير ذلك من المزايا والصفات التي لو عرفها ذلك المؤرخ لو فر على السياسة الاسبوعية ذلك الفراغ من صفحاتها القيمة لتشغل من غيره بكل قيم مفيد. ذهب أبو مسلم الى ابراهيم الامام وقبل يده فباركه ابراهيم وولاه الشيعة الخرسانية ، وكون أبي مسلم شاباً أو شيخاً فليس هذا محل بحث المؤرخ المسئول الذي يعنى مايقول، وإنما يكفي أن نقول ان أبا مسلم كلف بالقيام بالدعوة العباسية وهو رجل تام الرجولة كان قد تجاوز سنه سن ضابط تخرج عندنا من مدرسة الحرية في هذا العصر فليس فيما فعل من مجهود ومآثر من نجاح غرابة بالنسبة إلى سنه وليس هذا مما يصح أن يعطى أهمية تاريخية ويكون وجهاً من وجوه المقارنة بين أبي مسلم ونابليون وليس من المستغرب أن ينال الانسان مجده في ابلان شبابه بل هذا هو الاصل في نيل الرغائب والظفر بحاجات النفوس . يقول حضرته (وحيث أنى قد طرحت بين يديك المقارنة بين هذين العظميين فاسمع ما أقوله عنهما) ثم بدأ بأبي مسلم فنقل فيه عبارة بن خلكان حريفاً حتى استغرقت صفحة من صفحات السياسة إلى أن انتهت بقتل أبي جعفر المنصور لأبي مسلم وبيننا نحن في مسأمتنا من تلاوة قصة بن خلكان وتاريخ أبي مسلم المعروف تنتظر جديداً عن تاريخ نابليون حتى نعرف اتفاق الرجلين العظميين في المزايا والصفات وهما اللذان تقدم لنا بهما حضرته مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر . نعم . انتظرنا وانتظرنا طويلاً وباشتياق عظيم لأن يطرح أمامنا تاريخ نابليون كما وعدنا في مقدمته فاذا الامضاء الكريم واختتمت المقالة ولم نر أثراً في التكلم على الامبراطور نابليون كما تكلم عن امبراطوره أبي مسلم عدا المقارنة الفارغة التي صدر بها مقاله وعدا تلك الجملة الركيكة التي جاءت عرضاً ضمن كلامه وهي قوله (كذلك نابليون قام لمجد فرنسا فأمن في

التوفيق وأخضع أورياوغيرأورياوورفع نفسه إلى العرش عقب الثورة الفرنسية إلى أن قال .
(ومن العجيب أن حياة كليهما انتهت بفاجعة فالاول قتل بيد أبي جعفر والثاني مات .
مهموما في منفاه) وإلى هنا اعتقد هذا المؤرخ الساذج أن المقارنة قد تمت بين الرجلين
فقال (والآن وقد فرغت من هذه المقارنة فسأعود بك إلى المترجم) وحيث أن
حضرته تهرب من الكلام على نابليون لأنه لم يعثر له على ابن خلكان آخر ينقل منه
عبارة فتحزن نرحم ضعفه من هذه الوجهة وتناقشه في عبارة الصدر . يقول المؤرخ
للبق في مقارنته اللطيفة (أن ذهاب أبي مسلم إلى خراسان وحربها كان بعد العشرين
اظفر نابليون في استرلتر كان بعد العشرين بسنين) كنت أريد أن أغض عن هذه
النقطة المهمة من جهل هذا المؤرخ بتحديد سن كل من الرجلين في الحادثتين المهمتين
التي اختارهما للمقارنة بينهما ، لكن أمانة النقد تأتي إلا أن نسوق هذه الملاحظة
الدقيقة ليعلم القارئ ما إذا كان هذا المؤرخ يكتب عن علم بالتاريخ أم أنه مجرد
تهويز في أن يقول حضرته أن فلانا ذهب إلى كذا بعد العشرين وآخر ذهب إلى
كذا بعد العشرين بسنين ، مع العلم بأنه يظهر أن هذه هي النقطة الوحيدة التي عرفها من
تاريخ نابليون ، ومع ذلك يجهل كم كان سن نابليون بالضبط عند ظفريه في استرلتر .
ولنعد إلى مناشسته في هذه المقارنة . أبو مسلم ونابليون كلاهما دعي للحرب والجلاد
وحضرته يقرر بأن كلا منهما كان يتجاوز سن العشرين فهل كنت يا هذا تنتظر أن
يدعى لمثل هذه المواقف الخطيرة — ليقترح ما فيها من — عراقك ونزال — الشيوخ
والكهول ما بعد الأربعين والخمسين ليعتمد عليهم في كسب المعركة ونيل الظفر ؟ فليست
المقارنة في اتفاق الرجلين في الشباب وقت نهوضهما وإنما فقط في النبوغ والطموح
وخطورة الحوادث التي مرت على كل واحد منهما . فهل كانت هذه الأمور محل بحث
لهذا المتصدي لامر لم يخلق له ؟ ذهب أبو مسلم إلى خراسان وظفر نابليون في استرلتر ،
فواجه المقارنة بين رجل ذهب إلى جهة وآخر ظفر بجهة أخرى . يقول حضرته
(إن أبا مسلم قام بالدعوة لبني العباس فأذل العرب ورفع بني العباس إلى سماء المجد
بعد أن زلزل هذا العرش ببني أمية) فهل سمع الناس أعجب من هذا مؤرخ ؟ أبو مسلم
أذل العرب لبني العباس ! وبني العباس هم العرب وأصل العرب ومن أجلمهم خضعت .

العرب، وليست مهمة أبى مسلم أن يذل العرب لبني العباس فقط وإنما العرب وغير العرب، الدعوة إلى الجميع على حد سواء. وإن تعجب فعجب قول هذا المؤرخ (بعد أن زلزل عرش العباس ببني أمية) أى عرش جماعة كان قبل الآخرين. أعرش بني العباس أم عرش بني أمية؟ وإذا فكيف زلزل عرش بني العباس ببني أمية ولم يكن لبني العباس عرش قد وجد بعد؟! ألا يحق لنا أن نقول:

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إن دعوة بني العباس في خراسان وغير خراسان كان قد أثمر ثمرها وأينع وكانت قد وجدت من طبيعتها تربة خصبة بعد أن سئم الناس حكم الأمويين فإن كان أبو مسلم قد وقف على رأس الحوادث الفاصلة فهذا حظه من تاريخ حياته ولنا بمنكرين ما كان عليه من مكانة ممتازة وشخصية بارزة على كثيرين من أهل زمانه كما أن لغيره شخصيات في التاريخ الإسلامى بل ربما فاقت مثل شخصية الحجاج التى سبق أن نوهنا عنها وطاهر بن الحسين موطن عرش المأمون وهو ما إذا أحللناه بين رجال التاريخ كان العلم الفرد وغير هذا. وذلك كثير: أما إن أبا مسلم قتل ستمائة ألف فهذا مما لم يذكره مؤرخ على أنه مزية من مزايا نابليون، أو أن اسناد هذا الأمر إلى رجل من رجال التاريخ مما يشهد بعظمة هذا الرجل. وإنما يستوى فى ذلك قطاع الطرق وزعماء العصابات المعروفة لكثرة فتكها ببني الإنسان. وأما المقارنة بين الرجلين فى فاجعتهما، فليس هنا وجه للشبه، إذ أن أبا مسلم كان قد اضطغن عليه ثانى خليفة فى الدولة التى عمل لها فقتله، لاختشية أن يكون لأبى مسلم مطمع فى الخلافة لأن أبا مسلم كان يفقد عناصر الخلافة ومزاياها فى ذلك العصر، وإنما خشية أن يستعمل نفوذه إلى جهة أخرى تهدد خلافة العباسيين أو أبا جعفر بالذات. أما فاجعة نابليون فليست من هذا القبيل بل هى نتيجة لمطامع الرجل التى ما كانت لتجد لولا أن وقف له القدر حائلا دونها. فمكانة نابليون فى التاريخ ترجع إلى أسباب ومزايا هى غيرها فى أبى مسلم يكفى منها ما أشرنا إليه إجمالا من النبوغ المدرسى أولا ثم فى الحركة العلوية التى تجلت فيها عبقريته حتى أدهشت الجميع ثم فى مطامعه وتحديه العالم أجمع ليكون تحت نفوذه وسلطانه، وغير ذلك من الصفات التى يعرفها كل من استوعب تاريخ نابليون.

أما القول المأثور عن المأمون بأن أبامسلم أحد الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض فهذا قول رجل في صنعة من صنائعهم، وليس فيه أقل دليل على أن زعيم الشيعة الخراسانية قد تفرد بعظمة تاريخية استحق بها أن يضعه مؤرخ هذه الأيام في صف الامبراطور نابليون، ومن يدرينا لعل لحضرته عذراً في الاستدلال بكلمة المأمون إذ ربما خيل إليه سهواً أو جهلاً أن نابليون كان قد تقدم عهد المأمون فأغفله هذا من ذكر الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض وليس هذا يبعد على رجل يصرح له بالكتابة في السياسة الاسبوعية فيقول في عبث وجهل أن عرش بني العباس — قبل أن يخلق هذا العرش — كان مهدداً ببني أمية ثم يأتي برجل من رجال القرن الثامن ليضعه في صف رجل في القرن التاسع عشر فيتقدم بهما في غير ما خجل مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر وهو مالم يحلم به أبومسلم الخراساني حتى بعد إساءته الى ستمائة ألف من بني جلده ودينه الآمنين يقتلهم ظلماً وعدواناً خدمة لسادته العباسيين فمن هم سادة نابليون إن صح زعمك أنك تعرف شيئاً عن تاريخه ؟

مؤرخ

اطلبوا جميع ما يلزمكم

من

رَسَلْ قَائِمُنَا مَكْتَبَةُ الْوَقْفِ كُنْتُ مَخْتَلَفَةً
مَجْتَنَانَا خَالِصَةً وَرَوَايَا مِتْنَةً
اِمْرَةِ الْبَيْرِيَّةِ بَشَارَةُ الْفَلَاحِ كَجَوَارِ بُوْسْتَةِ بَابِ الْوَقْفِ وَبَحْرَتِ وَهْفِ
اَدْوَاتِ كِتَابِيَّةٍ بِتَجْلِيدِ حَفَرِ كُتُبِيَّاتٍ . وَعَمَلِ اخْتِصَامِ كَاوْتَشِ بِخَطِّ طَوْجِيْمِيَّةٍ

لأنها المكتبة الوحيدة التي تقوم بخدمة زبائنها بأخلاص فاعتمدوا عليها في جميع انحاء حوائجكم

في سبيل الصحافة

بقلم السير فيليب جيبس

مترجمة بقلم محمد عبد الحليم البرعى

مقدمة

لم تكن الحياة الصحفية يوماً من الأيام بالحياة الهنية عملاً وقل أن تكون مورداً للثراء وأنا من الذين ينصحون الشباب بأن لا يتخذوا الصحافة فاتحة لأعمالهم ولا لأولئك الذين يودون حفظاً لكيان حياتهم ومعيشتهم مورداً مضموناً ووقفاً منظماً وحياة راضية مرضية

وإذا كانت المستحيلات أربعة فإن الخامسة أن تسمع أو ترى أن هناك صحفياً بالمعاش يعيش البقية الباقية من أيامه على ثمرات حياته الماضية وحسبه أنه مضطر أن يعمل ويكتب ويدون حتى آخر نسمة من نسائم حياته بل حتى يسقط القلم من بين يديه وهو مكب على مكتبه وعلى عمله بل حتى يضرب جرس الآلة الكاتبة آخر ضربة في وقت تميل رأسه وتنقطع أنفاسه ويصبح جثة هامدة ويسقط فوق جملة لم تكمل بعد

وبالرغم من كل ذلك فإن الصحافة لا تزال أحسن سلوى في هذه الدنيا للرجل الحاذق النشط الحائز على شيء من الطلاقة والفكاهة والممتاز ببعض الصفات في حسن استعماله للالفاظ وأن يكون فوق كل ذلك فضولياً بقطرته للوقوف على مبلغ حقيقة بهاء حياتنا التي تمثل على مسارح النهضة الاجتماعية وعلى شريطة أن يكون أبعد الناس عن الدنايا وأعفهم نفساً وأشرفهم غاية

ولاستطيع أن أبين لحضرات القراء بعض ما يعترض حياة الصحفي من المخاطر وخرج المواقف أقصر عليهم بعض القصص الآتية على سبيل التفكهة

الحادثة الأولى

إن من الهزء والسخرية أن يجد الصحفي نفسه يوماً ما في بعض الأحايين في

حضرة عظماء العالم والقابضين على ناصية الحكم فيها وعلى أزمة الثروة أو أصحاب الحول والجاه وفي وقت قد أخذ يفكر فيه ذلك المسكين فيما إذا كان أجره عن المقالة القادمة ستفى بأجر مسكنه الأسبوعي ويتبقى بعدئذ بعض قطع فضية ترن في جيبه

الرث البالي

لقد ساءت الظروف وقضت على مهنة الصحافة ان أقضى ذات مرة بعد ظهر يوم من الأيام بحضرة ملك اسبانيا واشراف بلاطه رغم أنني لم أكن محققاً في أن أكون بحضرتهم وكان ذلك يوم زواج أمير من أمراء آل بوربون بسيده تمت بقرابة الملوك فرنسا اسلافها الأقدمين. ولقد كان الاحتفال بمنزل انكليزي قد تم في انقسام المعدادة من رياض انكلترا ومن أملاك ديوك أريانز ولي عرش فرنسا نحكم الوراثة وكما ينطق بذلك الشعار المنقوش على كل لوح زجاجي ومطبوع على كل فنجال وطبق في منزله بمنفاه الذي احتفظ لنفسه فيه بحياة ملوكة ملؤها رغد العيش والعظمة والفخامة والجديرة به لما اتصف به من الدعة والكياسة شأن هنري الرابع جده العظيم

لم يستطع ديوك أورليانز أن يتحمل تطفل الصحفيين فأصدر أوامره المشددة بأن لا يدخل أى صحفى قبل أن يتم صنع ذلك المعبد الخاص بأكليل الزواج ويطلق النقوش ليمثل معبدا ملو كيا قديم العهد عشية ليلة الاحتفال

ولضمان ذلك وحذرا من تسلل أى صحفى إلى ذلك المكان قد صفت قوة عظيمة جدا من رجال البوليس والمخبرين على امتداد ثلاث أميال حتى غابة نورتن والحراسة جميع المداخل أيضا

ولقد كنت مكلفا وقتئذ أن أمد صحيفتى بوصف شامل لكل الاستعدادات التي كانت قائمة على قدم وساق وبقائمة بجميع أمراء وأميرات البوربون الذين يفدون من جميع انحاء أوروبا

ولانجاز تلك المأمورية على الوجه الأكمل وجدت أن خير طريق أسلكها هي اكتراء عربية فخمة أقلتني إلى غابة نرتن ومن غريب المصادفات وحس حظي اني التقيت بعدد من العربات التي تقل ملك وملكة اسبانيا وجميع أعضاء العائلة متراسة على طول الخط بجميعه فبممة وجهها شطر انقسام فاستقبلني رجال البوليس ومخبروهم

كما استقبلت عربات بقية الأعضاء ومردت دون أقل معارضة من بين المداخل العظيمة المطلاة بالريجة الذهبية والتي يعلوها تاج فرنسا وشعارها ولقد استقبلني فوق ذلك القهرمان بمتهى الحفاوة والا كرام ظانا أنى أحد أعضاء البوربون وعلى ذلك دخلت وملك وملكة اسبانيا وفريق عظيم من كرام العقيلات وأشرف البلاط إلى المعبد وأخذنا نتمتع النظر بديع صنعه ثم تعدينا إلى مشاهدة نفيس الهدايا المقدمة للعروسين فالزينة المقامة بقاعة الوليمة المحلاة بجميل الأزهار حتى وصلنا إلى اسطبلات الدوق

و كان ملك اسبانيا على جانب عظيم من الغبطة والسرور وكثيرا ما وجه إلى شخصيا بعض ملاحظات بكل حفاوة وإخلاص معتقدا أنى أحد رجال الدوق الأشرف وأخير أعدت ادر اجى فى المساء مخترقا نطاقا عظيما من رجال البوليس الذين كانوا يحبسون على طول الطريق ومن ثم كتبت وصفا مسهبا بكل ما رأيت مما أدهش جميع أصحابى وقرنائى

فى اليوم التالى شهدت الحفلة ورأيت ذلك الاجتماع العجيب — التقاء الدم الملكى القديم الفرنسى والاسبانى والنساوى معا —

ومن لطيف ما حدث أن انتشى فى حفلة الوليمة أحد النبلاء الاجانب بعد أن احتسى من الكؤوس المترعة ما أثمله فظل يترنح يمينه ويسرة وينشد من الأغاني العامة ما طرب ملك اسبانيا وجميع الحاضرين وان أسخط عليه حوذى عربته التى أفلته بسلام

الحادثة الثانية

أن هذه الحادثة التى ظهرت فيها بين رجال البلاط البريطانى لتجعلنى كلما ذكرتها أشعر بخجل عظيم لتطفلى ذلك التطفل غير المرغوب فيه والذى لأجد أمامى ما يكفر عنه أو يبرره. وكان ذلك يوم شرع الملك جورج والملكة مارى فى افتتاح معرض المدينة البيضاء فى لندن

أخذنا جلالتهما يتفقدان المعرض مبدئيا فى يوم مكفهر كانت فيه جميع أنحاء المعرض كآكام فلندر — برك — ومستنقعات — مما أثار سخط جلالته وأفرغ حبله فأخذ

يظهر لمن أوكل اليهم الأمر بشكل محسوس جام سخطة وغضبه على تلك الحالة وبينما هو مسترسل في كدره غاص قدمه في منقع فياض فتدفقت الأوحال على كل ملابسه الرسمية ومن ثم أدركته الملكة ماري قائلة (هيا يا جوارج حتى نعود إلى القصر). في ذلك اليوم احتشد الخلق ذرافات ذرافات أمام فناء المعرض بعد أن منعوا من الدخول حتى ينتهي الملك والملكة وتدخل حاشيتهم أو رجال البلاط وشرافه ويثنيون من زيارتهم أيضاً أما رجال الصحافة فقد حجزوا أمام مدخل المعرض العام بواسطة حبال شدت من طرفها إلى موقف استحال عليهم رؤية أى شيء مما جعلني على جانب عظيم من الكدر وضيق الصدر غير لم أني لم أعدم وسيلة إلى كدح زناد أفكاري توصلا لاكتشاف خير حل لأخرجني من ذلك المأزق الحرج وبعد قليل أقبل رجال البلاط معاً، وما كادوا يخترقون مدخل المعرض حتى وقف رجال البوليس بينهم وبين الجمهور سداً منيعاً حتى لا يتسلل أى مخلوق خلفهم

وجدت الظروف سانحة ومن العجز أن أدعها تمر دون أن استفيد منها فأسرعت بخفة القردة وسرعة البرق الخاطف وتخطيت الحبل الحائل وفي أقل من لمح البصر كنت ضمن رجال البلاط كتفاً لكفف

وقد حدث لحسن حظي أن هذه الحركة، حركة التطويق التي قام بها رجال البوليس، قد حالت بين أحد العظماء (وزير فرنسا المفوض) وبين اتصاله ببقية رجال الحاشية. ولما كان ذلك الوزير يجهل الإنكليزية فقد حاول عبثاً أفهام رجال البوليس مركزه وحقيقته ولكنه لم ينل منه غير طعنة من كوعة في صدره أعقبها صيحة الأمر الناهي «ارجع قافلاً» وعلى ذلك استتب لي الأمر وأصبحت الشاغل الوحيد لفراغ محله قوة واقتداراً من حسن الصدف

ولقد شعرت من طرف خفي ورأيت أن المخبرين قد أخذوا يعدون رجال ذلك الوفد الملكي وقد ظهر عليهم دلائل الاقتناع بأنه لم يتعد العدد المعين الصادر لهم التعليمات الرسمية بشأنه ولما كنت أرتدى بدله رسمية بقلنسوه عالية حريرية فقد كان من السهل أن أظهر بمظهر الوزير الفرنسي المفوض أو على الأقل لم أكن مدعاة إلى الشك مطلقاً

ولا يفوتني أن أذكر أن الشخص الوحيد الذي لاحظ اختراق النطاق من بين رجال ذلك الوفد كان السيرادوارد جراي (الآن فيكونت جراي) ولكنه لم يشأ إقصائي والتخلي عني بل ابتسم ابتسامة معنوية لجراي وتطفلي هذا وبرودي النادر. وفي الواقع أنني لم أكن على شيء من ذلك الجود والبرود كما يدل محياي ولكني كنت في أخرج المواقف التي قل أن تصيب شخصاً في الوجود وذلك أن جميع رجال الوفد قد أخذوا يتحدثون مع بعضهم البعض ماعدا الملكة الكسندرا التي كانت صماء فقد كان كل همها أن تدرس كل المعروضات خلف ذلك الجمع عوضاً عن الدخول مع أي أحد منهم في أي حديث

ولما كان من الصعب أن أجد من أتحدث إليه فقد اكتفيت بالتقهقر قليلاً خلف ذلك الجمع أيضاً مما استلقت نظر الملكة الوالدة التي أخذت تفضي إلى برقتها المعهودة ببعض ملاحظاتها على تلك المعروضات دون أن تسمع إجاباتي التي كان ملؤها التردد الظاهر

ولأول مرة في حياتي رأيت الاستقبال الملكي الصادر من بحر خضم من جماهير العالم رأيت كما يراه الملوك أنفسهم لا كما يراه جمهرة الناس رأيت بحراً زاخراً متلاطم الأمواج من الاتجاهات المختلفة المعالم المشرقة الاعناق المؤانعة من ألوف من الأوجه ذات العين الواحدة (لأن أغلب المحتشدين لا يرى غير نصف وجهه — فعين واحدة) وكلهم يرفرفون بمناديلهم ويهتفون بملء أفواههم في وقت تهتف فيه الموسيقى صارخة، فليحي الملك،

وفي وقت تفتحت مناظير عشرات من آلات التصوير وأدير عشرات من أيدي آلات الصور المتحركة

ولما عدت إلى إدارة الصحيفة وجدت أن رئيس التحرير قد أذهله مناظر عدة صور شمسية وأنا أسير ألهوينا بجانب الملكة الكسندرا — آمناً مطمئناً. أما وزير فرنسا المفوض فقد علمت أنه احتج أشد الاحتجاج على سوء معاملته



الحادثة الثالثة

كان من غرائب المصادفات المدهشة وقلتات الظروف الغريبة أنني وزميل لي

بصحيفة الكرونكل اليومية كنا أول من سمع ب وفاة الملك ادوارد السابع من بين جميع مخلوقات ذلك العالم إذا استثنينا من كانوا بقصر بكنهام

كانت النشرات الطيبة التي تصدر كلها آية في الحزن ولو أنها لم تكن مظهر اللباس وآخر نشرة صدرت ليلة وفاته كانت أحفل النشرات بشراً وسروراً . كنت طول نهار ذلك اليوم واقفاً أمام القصر أكتب تحت وابل من الامطار تحت حماية مظلي وصفاً مسهباً لتلك المناظر المذهلة التي كانت من أكبر المظاهر الدالة على مبلغ الحزن السائد على جميع طبقات الأمة الصادر من أعماق قلوبهم كلها فكروا في أن شمس ذلك الملك العظيم المحبوب ستغرب عما قليل وأن نجمه سيأفل وأنه سيرحل الرحلة الابدية عن انكلترا بل وعن العالم بأسره ، واني لمعتقد الآن أنه فضلاً عن حجة ألوف من الخلق له لما اتصف به من حميد الصفات وجميل السجايا الفريدة والسياسة الحكيمة والمواهب الفطرية ولقد كان هناك فوق محل تلك الاعتبارات شعور داخلي سائد في فؤاد كل شخص بأن في وفاة ادوارد السابع اضطراباً للسلم العام ونشوب حرب عالمية كبرى لاحالة

واني لأذكر إلى اليوم أن أحد الذين كانوا مجتمعين تلك الليلة صرح لي بتلك الفكرة حيث قال حرفياً ، ان من بعد ادوارد لحرباً عالمية كبرى طاحنة ،

وان من أكبر البينات على مبلغ احترامه ومحبة الشعب لتلك الملك أن جموع المحنشدین حول القصر كانوا الاعداد لهم والذين كانوا يرقبون صدور النشرة الطيبة الأخيرة كانوا خليطاً من جميع طبقات شعب لوندرد ما بين كوتتسات وبارونات وممثلين وممثلات من كبار رجال الأمة والنبيلات والعمال والعاملات من بريطانيين وأجانب وأنجنديات من رجال السياسة وحملة الأقلام ورجال الأدب وأقطابه الاعلام وفي الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة أو حوالى ذلك الوقت دخلنا القصر مع بقية رجال الصحف وقد أكد لنا اللورد نويلز أن المنتظر أن جلالتة سيقضى ليلة هادئة ملؤها الطمأنينة والصحة والعافية وأنه ليس ثمة حاجة إلى اصدار نشرات طيبة قبل صباح الغد فحملت ذلك الخبر السار إلى مكتب صحيفتي وبعد أن شرعت في الذهاب إلى منزلي افهمني رئيس التحرير — شأن كل الرؤساء — أنه يأسف لاضطراري لان أعود إلى أدراجي لامضى ليلتي بجوار السراى خيفة أن يحدث أى حادث

ولما كنت على جانب عظيم من التعب والاعياء فضلا عن أن معدتي كانت أفرغ
من فؤاد أم موسى وكان الجوع قد أخذ مني كل مأخذ فقد أردت التخلص من القيام
بتلك المهمة وأبنت له اعداري غير أنه لم يسمح فاحتججت فذهب احتجاجي صرخة
في داو وهباء مشورا وآخر ما نالني من وراء ذلك من ضير وبلغ ما أصابني من تردد
أن آمن استصحابي زميل لي يدي أوى ليشاطرني السهر

وعبثا حاول وانتهى بنا الأمر إلى الذهاب مكرهين عليه تنفيذ

لمشيئة الرئيس

ذهبنا وكان أول عمل قمنا به أن أسرعنا بتناول العشاء أولالسدفراغ معدنا الخاوية
ثم اخترنا عربة ذات أربع عجلات وذهبنا إلى فناء السراى واستعد كل منا لتناول
السهر في وقت يملأ الآخر جفوته فقط بالعربة

ولقد كان من حسن حظنا ومن عطف رجال البوليس علينا أن سمحت لعربتنا
الحقيرة أن تلك العربة الوحيدة التي تظل داخل فناء القصر الملكي ورغم وجود
مئات من السيارات الفخمة أمام القصر تقل كثير آمن عظماء الرجال الذين آثروا
قضاء الليل على تلك الحالة

خلع أذن نعله واستعد للنوم أما أنا فقد أخذت أجوب الفناء جيئة وذهابا
أدخن آخر سيجارة وأنا أرقب عن كثيب المنظر الخارجي القريب لمئات العربات
والسيارات

لم يمض على طويلا حتى رأيت عربة ملكية قارية جوبى من الفناء الداخلى وهى
تسير الهرينا ولم تكد تمر من أمامي حتى تبينت عقب انعكاس أنوار مصباح الفناء
أنها تقل من كان وقتئذ ولى العهد والأميرة مارى وكان يلوح على وجهيهما الناصع
إليباض الفاضة دماؤه دلائل الحزن البالغ وكانت أعينهما تذرف الدمع

فأسرعت الخطى حول عربتنا وقلت لزميلى همساً انى أعتقد أن الملك قد
فارق الحياة وفى أقل من لمح البصر كنا نهول صوب مدخل رئيس اسطبلات القصر
وولجنا بابا مفتوحا أمامنا وهناك التقينا بأحد رجال حاشية الملك الذى كان موليا
بظاهرة جهة الموقد يتحدث مع رجل مسن آخر تبينت فيما بعد أنه الوزير البلجيكي
وسأله بكل أدب واحترام

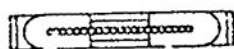
« كيف صحة الملك الآن ياسيدى ، وقع بنظره إلى ساعة معلقة فى الجدار وقال وعلى شفثيه ابتسامة صفراء ملؤها الحزن العميق ابتسامة هى أقرب إلى البكاء منها إلى السرور وقال بصوت يفيض تأثرا

« يا سيدى لقد مات الملك ادوارد منذ دقيقتين ،

والآن وقد تحقق الخبر من أحد الرجال الرسميين فلم يكن أمامنا إلا أن نسرع بنقل ذلك الخبر إلى مكتب صحيفتنا فقصدنا توا إلى نزل قصر بكنهام وهناك خاطبنا رئيس التحرير تليفونيا

أما النشرة الرسمية فلم توزع على الجمهور إلا بعد ساعة من ذلك الوقت الذى تأكدنا فيه ذلك الخبر

وعند ذهابى إلى منزلى كان بين يدى عدد من أعداد صحيفتى وقد نشرت فى افتتاحيتها حياة ومات الملك ادوارد السابع ومجمل سيرته وكانت أسبق الصحف إلى نشر الخبر .



اطلب من دار المصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مَعْصُومُ الْمَلِكِ نَيْزَارُ الْحَيْثَرِي

وعدة ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

نفسات

لفيلسوف العراق وشاعرها جميل صدقي الزهاوي
 هاتوا اذ كروا الى هاتوا ما هذه الكائنات
 ما أنت من أنا ماذا وجودنا والحياة
 ما هذه الارض قا مت فوقها الشاهقات
 ما البحر تسبح بالنار ر فوقه المنشآت
 ما البر تقطعه كالز وابع القطرات (١)
 وما السماء وتلك الا بعاد والفجوات
 ما الانجم الزهر فيها والخنس الجاريات
 ما هذه السدم اليه ض حشوها النيرات
 الى متى هذه الـ يرات مشتعلات
 ماذا تريد بهذا الاسر اع تلك الكرات
 ما العقل ما الفكرما ذا الذكاء والملكات
 ماذا الزمان وماذا من الزمان الفوات (٢)
 وما المكان وماذا من المكان الجهات
 ما الجسم ما الجذب ما ذا السكوت والحركات
 ما ذا نهاية هذى الا كوان ماذا البداة
 وما الهوى يتلاقى له الفنى والفتاة
 وفي اللقاء لئاذ وفي الفراق أذاة

جمع ومن بعد هذا الجمع النظيم شتات

(١) جمع قطار (٢) المضى

وما لشيء زوال وما لشيء ثبات
 وربما سوف تنحى لى هذه المشكلات
 اهدوا السبيل غويا ان كان فيكم هداة
 بطيئة حين أمشى بعقلي الخطوات
 يسير عقلى ولكن تعوقه العثرات
 اذا تفكرت كانت للشك بى وخزات
 فى كل شيء اراه تحوم بى الشبهات
 لقد نظرت فما أن أغتنى النظرات
 كأنا كل تلك الاشياء مستترات
 اوان عيني فيها اذا نظرت قذاة
 وربما قلت حقا خفانت الكلمات
 ورب قول صحيح ليطت به الغلطات (١)
 وسيئات فريق لغيرهم حسنات

* * *

دع الغرور فما فيك وحدك الملكات
 لكل حى على هذه الارض محترعات
 ان كنت طرت فقد طارت قبلك الحشرات
 او كنت غصت فقد غاصت مثلك السلحفاة
 سلم فان براهينى هذه مفحومات
 لا يستوي النور عند البصير والظلمات
 فما الغداة عشى ولا العشى غداة

الموت

تحلو الحياة ولكن ما للحياة ثبات
 قرب جيل وجيل تحت التراب رفات
 هنالك الناس تخفي عظامها النخرات
 الى البلى سبقتها الآباء والامهات
 كم في الوري من جروح ما إن لهن اساة
 الشيب تبكى شبابا عاشوا قليلا وماتوا
 أما القبور فبالمو قى قبلنا مثقلات
 وقد تحور ثمارا فتؤكل الثمرات

الى سكون طويل ستنتهى الحركات
 وتنتهى فوق تلك الحفائر الشهقات
 ورب آس لميت عيونه خضلات
 يردى الصديق فتبقى من بعده الذكريات
 ورب ماض من العيش الى التفات
 ان التفانى اليه وراءه حشرات
 ولى شبابي فولت وراءه الطيبات
 فليته عاد يغوي فاسودت الصفحات

مهما كبرت فعندى من المنايا خشاة (١)
 كأنما الموت ذئب كأنما انا شاة
 والموت ليس بقاس تحقق منه الشكاة

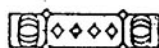
عند المنية ان جا ءت تنتهى النكبات
وفى القبور تساوى احبة وغداة

الشعر

لأكثر الشعر موت وللقليل الحياة
والشعر فيه وثوب والشعر فيه اناة
والشعر منه كتاب آياته بينات
والشعر منه كساء والشعر منه عراة
ومنه ما رق حتى كأنه عبرات
أما قريضى هذا فانه نفثات
احبت شعرى فايها ته لفكرى بنات
به شدوت فلذت مسامعى النغاث
وقد تهيجك منه اذا بكى الشهقات
شعرى له من شعورى والصدق مستندات
وانما صقلته - الخطوب والنكبات
تمده كلما غا ض دجلة والفرات

جميل صدق الزهاوى

بغداد



رابطة الأدب الجديد بالمستأجرة

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة - بدار العمود - بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

ليس سرّاً مكتوماً أن الحياة الأدبية في مصر مصابة بمرض التخاذل المنبث في حياتها السياسية ، والعاقبة في كلتا الحالتين واحدة : وهى ضياع مجهودات متعارضة على غير جدوى ، وتأخر النهضة الفكرية وما يترتب عليها من نهضات

وإذا تأملنا هذا المرض المزمن وجدناه للأسف راجعاً الى أسباب شخصية خلقية من ناحية ، وإلى عوامل تقليدية خاطئة من ناحية أخرى .

فأما الأسباب الشخصية الخلقية فتتلخص في أن معظم الأدباء الممتازين (بل وغير الممتازين أيضاً !) في مصر يودّ كل منهم أن يكون الحاكم بأمره في مناحى الأدب ولا يريد أن يعترف لسواه بأدنى حسنة ، وبعبارة أخرى أن كلاً منهم متشبع بروح الأنانية الممقوتة لا الفردية المعقولة ، ويعمل ليل نهار على ما فيه مصلحته لا مصلحة الأدب في ذاته ، وليت الأمر اقتصر على الأنانية وحدها بل أنه يتعداها الى عرقلة جهود الغير ان لم يستطع توجيهها الى مصلحته ، وهكذا تضع معظم القوى الأدبية عبئاً بدل توجيهها الى خير الثقافة العامة ، كما تجنى هذه الروح المريضة على الأخلاق أسوأ جنائية بنشر الجحود والمنطق المعكوس الذى لا معنى له سوى تحويل الحياة الأدبية الى مشاحنات ومبارزات مستمرة ! وأما العوامل التقليدية الخاطئة فأهمها تهيب الحق بمجاعة للجمهور . فبدل أن يكون أدباؤنا قادة له صاروا تابعين أو مجارين بما التونو ويخدعونه لينالوا تصفيقه ،

وفي ذلك من الخيانة لمهتهم الفكرية والاجتماعية ما فيه. وهذا يستدعي بطبيعة الحال. التَّشَبُّثَ بالفردية وتشجيع التحزب الأعمى وتكوين أصنام يعبدونها الغافلون ، وما هو إلاَّ التهريج بعينه وتضحية الخير العام لمصاحبة الافراد البارزين ، وتلك إحدى العلل المستعصية التي نكبت بها مصر (بل الشرق العربي) طويلاً وما زالت تن من عواقبها

فوسط هذه الظروف الأليمة كُؤِنَتْ في الاسكندرية منذ عامين. (رابطة الأدب الجديد) لمقاومة هذه العوامل المفسدة ولنشر مبادئ الثقافة الحديثة على قدر ما يبلغ نفوذها ، ونحن نتمنى لهذه « الرابطة » الصالحة التوفيق المستمر ، ونرجو أن تنشأ على غرارها « روابط » أخرى في جميع عواصم القطر المصري بل وفي أهم عواصم العالم العربي ، وأن يؤدي ذلك الى تعاون أدبي قيم جليل الفوائد لشعوب الضاد جميعاً . والقاهرة بدورها تستقبل الآن تكوين (رابطة الادب الجديد) فيها لنفس الاغراض التي قامت من أجلها شقيقته في الاسكندرية . وتتلخص مبادئ « الرابطة » في بث روح الاخاء والتعاون الأدبي — ذلك التعاون الذي يشجع نشر أحسن الآداب العصرية ، وانتشار الأدباء المغموذين الجديرين بالذكر ، ورفع مستوى الثقافة الفكرية بيننا ، وتهذيب أخلاقنا نحن الأدباء الذين ينظر إلينا الجمهور كقدوة له . ولن يعنى ذلك الاخاء الأدبي بحال من الأحوال تنازل أى أديب عن شخصيته ، ولكنه يعنى التفتح عن عبادة الأصنام ، والاندماج في تقدير المبادئ العالية ، والتعااضد على خدمة ألوان الجمال الأدبي ، مع الاحتفاظ السكلى بحرية الرأى والنقد . ويعنى ذلك أيضاً أنه متى اتفقت الآراء على نشر رأى تهذيبي أو أدبي في الشعب تضافرت الجهود وتعاونت على تحقيقه بغير ظهور شخصي وبدون طنطنة كثيراً ما تعودنا مماعها دون نتيجة حيوية مأثورة

ويبلغ عدد الأعضاء المؤسسين للرابطة ٢١ عضواً من أدباء مصر البارزين

وهم يؤلفون مجلس ادارتها ، ويجوز لمن يقتنع بصلاحيّة مبادئها ويرتاح اليها أن ينضم اليها كمضو مشترك نظير بدل اشتراك سنوى قدره ١٥ قرشاً صرياً . وله حينئذ حق حضور اجتماعاتها الشهرية التي تعقد في يوم الخميس من كل شهر للخطابة ، كما له حق الحصول في نهاية السنة على مجموعة محاضرات « الرابطة » مطبوعة . والمرجو بمرور الزمن أن تنشأ « للرابطة » أقسام دراسية متنوعة للتاريخ واللغة والشعر والفنون الجميلة الخ . على مثال الاقسام العلمية التي في نية (المجمع المصري للثقافة العلمية) أن يكونها وسينشر في « العصور » في عدد مقبل قانونها الاساسى . وجميع المكاتبات توجه الى سكرتير « الرابطة » الاستاذ كامل افندى كيلانى .
بدار العصور



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

كتاب

الفصحى

ودروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

سؤال

الحضرة الاستاذ اسماعيل مظهر.

تحية . وبعد ربما يأخذكم العجب أو يعترىكم الملل لورود كتاب من شخص لا معرفة شخصية بينه وبينكم ولا صلة الا صلة العلم . ولكن اعتماداً على علمكم الجم وجبكم لخدمة الحقيقة تجرأت على تسطير هذه السطور

لا أريد أن أقدم نفسي الآن ، ولا أنوى اظهار مبلغ رغبتى فى تتبع أفكاركم ودراسة مؤلفاتكم ، فهذه ستكشفها لكم الايام ولا ضرورة لذكرها الآن . وكل ما أقصده من كتابى هذا هو ان تسكرموا وتبدوا رأيكم فيما يلى عسى أن تهدأ أفكارى المضطربة لتتمكن من السير فى هذه الحياة على سراط مستقيم.

أ كتب هذه الاسطر وقد انتهيت من مطالعة كتابك ملقى السيل ، ولا أكتملك ان فصوله الاخيرة أعجبتنى أكثر من فصوله الاولى حتى انى طالعت تلك أكثر من مرة . ولكنى خرجت من الكتاب ولدى فكرة مؤاها انكم قصدتم عند كتابة كتابكم التوفيق بين الدين والعلم ، وهذه الفكرة تجلى أيضاً فى كثير من كتاباتكم فى العصور . انكم نهجتم فيما كتبتموه طريقاً وسطاً بين جمال الدين الافغانى زعيم المتعصبين والدكتور شمىل الناشر لمذهب بختر فى الشرق . والعفو يا سيدى ان قلت إن هذا التوفيق لا ينطبق على العلم المادى ، ولا ينتج نتيجة يجوز للانسان ان يدين بها بل يولد الشك فى العقل الانسانى والشك بما يزيد فى عذاب النفس .

ان جيوش الدين مولى الادبار امام جيوش العلم ، وان الفوز سيكون طبعاً لحليف العلم فلماذا لا يدين بما يأتينا به العلم وتترك ما يوحىه لنا الدين ؟ ربما يخشى البعض ضياع أخلاقنا ولكن لا محل لهذا الخوف لان الخلق المتخذ من العقل خير من المتخذ من العاطفة ، أو قل ان الخلق العلمى المادى خير من الخلق الدينى ، وان اخلاقنا اليوم آخذة فى التحول من الدين الى المادة ، ولا يسعد ان يأتينا دور نطلق به الخلق الدينى ثلاثاً ل نرمى أنفسنا فى أحضان الخلق المادى .

انى أشعر انكم شا كون لا تعتقدون اعتقاداً جازماً بالدين ولا تؤمنون بالحقائق
 العلمية ايماناً يجعلكم تتركون الدين جانباً فهل انا مصيب فيما أشعر؟ هاك البرهان ...
 تعتقد ياسيدى بان . الاعتقاد بالله ضرورة أولية للاحتفاظ بالفة العقل الانسانى .
 وباعتقادك هذا تعني ان الدين أمر ضرورى لسعادة الانسان عقلياً ، ولكن الالفة
 العقلية غير متوقفة على الاعتقاد بالله وبالدين فحسب وانما هي متوقفة على الاعتقاد
 بأية عقيدة سواء كانت مادية أو دينية . ولما كانت العقائد الدينية لاتتفق والعلم وانما
 هما على طرفى تقيض ، ولان العقل يتأثر من الحقائق العلمية قبل ان يتأثر من العقائد
 الدينية ، ولان سعادة الانسان المادية والمعنوية تتوقف على مقدار ما يحصله الانسان
 من المادة ، لاتبقى فائدة من الاعتقاد بالله أو بالاحرى بالدين . وعلى هذا ليس من
 الضرورى ان يترك الانسان الدين جاناً ليمسك باهداب المادة ؟
 هذا ما عن لى أن أسطره لكم الآن فعسى ان تفضلوا بابداء رأيكم به لعل
 أصلح أفكارى ان كانت على ضلال .

المخلص

حسن أحمد السلطان

(العصور) موعدا بالرد على هذا الكتاب فى العدد القادم



ظهر الجزء الاول والثانى من

أَصْلُ الْأَنْوَاعِ

وَنَشُونَهَا بِالْإِنْخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظِ الصُّبُوفِ الْغَالِبَةِ فِي السَّاحِرِ عَلَى الْبَقَاءِ

فاطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة

التحنيط عند قدماء المصريين

- ٣ -

أما الطريقة الثانية فمصاريفها تبلغ قيمتها من ثمانين إلى مائة جنيه. وهذه الطريقة كان يقتصر فيها على حقن الجثة من الفتحة في الخصر اليسر المذكورة سابقا بمحلول النطرون وزيت الارز فتذوب الاحشاء بعد مدة قصيرة ولا يبقى في الجسد سوى الجلد والعظم ثم ينقعون الجثة في ماء النطرون مدة السبعين يوما وبعدها تخرج ويوضع (الجثة) في سرير التحنيط لتجف وتنشف بعد تنظيفها من هذا النطرون وبما حقنت به أيضاً واخراج الامعاء التي ذابت بالحقن . وبعده تظلى الجثة بالبسم وتلف بلفائف كتان رخيص نوعا جملة مرات مع طلى اللفائف بالمواد الصمغية كما ذكرنا في الطريقة الاولى . ثم تتلى الصلوات كما ذكر ويدهن الوجه بطبقة حمراء وتحقن الجمجمة بالمواد العطرية والعقاقير وتسلم لاهلها ليحجروا عمل الصناديق اللازمة لها والرسومات والحليات حسبما يشاءون .

أما طريقة التحنيط الثالثة ومصاريفها قليلة وهى تعمل لجثث الطائفة الفقيرة حيث توضع في حلول النطرون فقط المدة المذكورة سابقا وتحقن ببعض الطيب وتملأ برماد وجير وتظلى بالجير أحيانا من الخارج وتلف بلفائف بسيطة وقليلة ثم تدفن بمقابر الصحراء أو المغائر غربى النيل كالمغائر التى غرب الأقصر واسيوط مثلا فوق بعض أو بجانب بعض

ملحوظة : وإذا لم يمكنهم استحضار الأربعة قدر المذكورة سابقا فيعوضوا عنها بأربعة تماثيل من الشمع تمثل الأربعة آلهة المذكورة وتوضع في الجوف مع الاحشاء ملحوظة : أما السيدات اللاتي من الطبقة العليا فكان اهلن يقيهن بالمنزل ثلاثة أيام وأحيانا أربعة وبعدها ينقلن لأجراء عملية التحنيط .

ملحوظة أخرى : كل جسد بشرى مصرى أو أجنبى وجد ماتا إما بالغرق فى النيل أو بفضة تمساح فكان يحنط تحنيطاً من الدرجة الأولى على مصاريف أهالى المدينة التى وجد بقرها بكل سخاء ومزاحمة ولا يسمح لأقاربه ولا لأصحابه بمسه بشئ قط بل كنهه النيل هم

وخدم الذين يحملونه على ايديهم واكتافهم ويدفونهم بكل اجلال كما عظم رجل في المقابر المقدسة .

وأما تحنيط الحيوانات والطيور والحشرات والتي تعتبر مقدسة عند المصريين فكان بسيطاً بواسطة محلول النطرون كالعاداة المتبعة والحقن والتليح والبلاسم والتقييط . وكان الشعب يحزن على موتها — :

فتلا عند موت القطه (الهر) الممثلة للعبودة (بست) عندهم فيخلق كل أهل المنزل حواجهم وبعد تحنيطها تنقل إلى مدينة بوبست (تل بستا) بالقازيق الآن وتدفن هناك بالمدفن المقدسة :

وإذا كان كلب الممثل لكوكب الشعري النيامية فيخلقون الرأس وكل الجسم وبعد تحنيطه يدفن بالبلدة التي مات فيها بدون نقل وإنما في المدفن المقدسة المخصصة لذلك .

وإذا كان ثور الممثل هي أو النيل أو هور الخ يحنط ويدفن في منف في الموضع المعروف باسم سيرايوم الآن بصقارة : — وكذا إذا كانت بقرة الممثلة هاتهور أيضاً : — وإذا كان قرد الممثل توت وإذا كان ابن آوى الممثل المعبود (أنوب) أو إذا كان (دب) الذي يوجد بالصدفة فبعد تحنيطها تدفن بمحل وجودها بدون انتقال : — أما إذا كان الطير الممثل (هور) « الشمس » فتنتقل إلى مدينة (بوتو) بعد تحنيطها وتدفن هناك : — وإذا كان مثل طير اللقلق الممثل (توت) فينتقل إلى مدينة أرمنت .

ملحوظة : — من أنواع تجارب بلاد العرب التي جمعت لهم مواصلة بمصر هي الرواع واللسان والميعة وبعض العقاقير الأخرى التي كانت تلزم للحنيط علاوة على الموجود بمصر من الأصناف الأخرى وأنه كانت مدقة التحنيط عندهم والدفن والحزن كما يأتي : —

(١) ٨٦ يوماً تنظيف وغسيل وحنيط : —

(٢) ٣٥ يوماً تقييط الجثة

فيكون جملة ذلك ١٢١ يوماً كلها مدة البكاء والحزن على الفقيد

(٣) وأربعة أيام استعداد للدفن فيكون جملة ذلك ١٢٥ يوماً

عبد المجيد سيد أحمد

يتبع

فهرست العدد

ص	
١٦٢ -	مطالعات في سفر الخروج اسماعيل مظهر
١٧٥ -	شعر التصوير - الصيرفي وزوجته أبو شادی
١٧٦ -	سيويه والكسانی - شعر . . .
١٧٧ -	على السفود - عباس محمود العقاد . . .
١٨٨ -	شیطان بنتور - المحادثان الأولى والثانية لأمير الشعراء شوقي بك
٢٠٠ -	الفضاء والمادة ابراهيم حداد
٢٠٤ -	Ascenseur - بحث لغوی يوسف أحمد
٢٠٨ -	خطرات في السياسة والتاريخ - عن لورد مورلي محمد رفعت
٢٢٣ -	الغراب والبستاني - شعر رمزي لآبي شادی ومحمد عبدالله مصطفى
٢٢٥ -	رد مفتوح لمحرم العصور اسکندر حداد
٢٣٧ -	النقد والتأليف
٢٣٧ -	مرجريت أو غادة الكيليا الدكتور أحمد زكي
٢٣٩ -	سفر التكوين الأستاذ خبر ضومط
٢٤١ -	ابراهيم باشا في سوريا سليمان أبو عز الدين
٢٤٣ -	عقد الأبحار الأستاذ أحمد النهوري
٢٤٥ -	الخواطر الغراب في النحو والأعراب الأستاذ جبر ضومط
٢٤٨ -	العدل الآلهي حسن حسين
٢٥١ -	اللؤلؤ المنفود في دفع نقود أمين ظاهر خير الله
٢٥٣ -	بين الصحف والمجلات
٢٥٣ -	مجلة المنار - فاتحة المجلد الثلاثين
٢٥٨ -	المقتطف - الله والعالم - بقلم المرحوم الدكتور صروف يولييسنة ١٩٢٩

تابع الفهرست

ص

- ٢٦٠ - المقتطف - في سبيل العربية - الدكتور أبو شادى يوليو سنة ١٩٢٩
- ٢٦١ - مجلة الهلال - التسمية - محمود سامى يوليو سنة ١٩٢٩
- ٢٦٢ - مجلة المشرق - قس بن ساعدة - ميشيل سليم كيد - يوليو سنة ١٩٢٩
- ٢٦٦ - مضى الأمس - مطارحة شعرية - بين الأستاذ الدكتور عبد الله عبدالعزيز والدكتور أبو شادى
- ٢٦٧ - بين الأدباء - رسائل مطوية - الأستاذ أحمد الزين وفريد بن وحدى والأستاذ سيد ابراهيم والدكتور أبو شادى
- ٢٧٢ - نظرات في تاريخ الاسلام - كامل كيلانى
- ٢٧٧ - سنابل وأزهار - مختارات من الأدب
- ٢٨٢ - الايمان - ترجمة نثرية لقصيدة من عمل لامرئين نصيف جورجى نيقلولوس
- ٢٨٧ - نساء العرب والحرب - حسن عبد الوهاب
- ٢٩٣ - شقيقة الدهر أوام الهول - حسن كامل الصيرفى
- ٢٩٤ - مفتاح القلوب - قصيدة - عبد الرحمن شكرى
- ٢٩٥ - ابو مسلم الخراسانى - مؤرخ
- ٣٠٠ - في سبيل الصحافة - محمد عبد الجليم البرعى
- ٣٠٨ - نفثات - قصيدة - جميل صدقى الزهاوى
- ٣١٢ - رابطة الادب الجديد
- ٣١٥ - سؤال - حسن احمد السلطان
- ٣١٧ - التحنيط عند قدماء المصريين - عبد المجيد سيد احمد